صور من

سير رجال

حول رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف

علي بن محمد كمال بن عبد ربه

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban


ISBN 2-7451-3877-4

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾

[سورة الفتح: ٢٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، نحمدك ربنا حمداً يبلغنا رضاك، فلك الحمد حتى ترضى، ونصلي ونسلم على رسولك وخاتم خلقك سيدنا محمد، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحابته والسائرين على منهاجه إلى يوم الدين.

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.

وبعد:

فلقد تناولت أقلام كثيرة حياة الصحابة، إما عن طريق التأريخ لأفراد منهم، وإظهار جوانب العظمة في ذواتهم، وإما عن طريق تناول بعض جوانب حياتهم وتصنيف هذه الجوانب فقهياً وسلوكياً، وجاءت كل هذه الجهود مشكورة إذ أصابت جوانب هامة من حياة هؤلاء الصفوة الذين لم يكونوا صفوة رجال عصرهم فحسب بل صفوة الزمان كله.

ومن هنا رأيت أن أجمع أخبار الصحابة التي وردت في المصادر المعتبرة والتي نقلها أصحابها بوسائل نقل العلم الدقيقة في أعصارهم، وذلك دون تدخل مني، أو إلماح إلى القارىء بشأن موقف دون آخر، وإنما جعلت الخبر أمام القارىء يستشف منه ما تمليه عليه حساسيته باللغة والشرع، وهي لغة يسرها الإسلام والطبع السليم.

وبهذا يعتبر هذا الكتاب نوعاً من تقريب التراث العربي الإسلامي، حيث إنه يخلو من العنعنات التي اهتم بها علماء السلف الأجلاء، وقد وضعوها لحكمة اقتضتها ضرورة الدقة في المنقول عنهم والمادة المنقولة، وليس هذا الأمر ضرورياً عند القارىء الذي يريد أن يتعرف معالم حياة الصحابة وشمائلهم من أقرب الطرق، حيث الحاجة ـ الآن ـ ماسة إلى تعرف ذلك.

والعناية بالتراث أمر ضروري في هذه المرحلة، وبخاصة أن لغته جامعة، مكثفة،

موحية ناقلة للمعنى من أقرب طرقه، في جلاء وصدق دون زخرفة، لأنها لغة فاضت بها نفوس رجالها، فخرجت دون تأنق، فعبرت وأخبرت، وتراثنا العربي الإسلامي في حاجة إلى أن تقرأه الأجيال في أوضح صورة، وهو ـ في الأصل ـ قد استمد روعته من روعة المادة التي يحملها . . . (الإسلام).

وقد جاء هذا الكتاب ـ كسائر كتب التراث ـ محتوياً على جوانب حيوية متعددة، ففيه التاريخ حيث يؤرخ لفترة من أخصب الفترات في تاريخ البشرية من حيث خيرية العطاء، وسمو الروح، ونزاهة الضمير، وعلو البذل، فهو يؤرخ لجماعة تربوا تحت جناح النور المحمدي الذي وهبه الله للعالمين، ولكل فرد في هذه الجماعة سمات متعددة، وجوانب من العظمة نادرة التكرر.

وفي هذا الكتاب أيضاً الفقه، فلم يكن الصحابة رضوان الله عليهم، ينطلقون في هذه الحياة على غير هدى، فمعهم الوحي وشخص الرسول يفهمون عنه، وينفذون، ولا يتجاوزون ما شرع الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وفيه الأدب الكبير، أدب النفوس العظيمة حين يزكيها الإسلام، وحين تتحدث وتتفاعل مع كل شؤون الحياة، وأدب الدفاع عن الحق شعراً ونثراً، فنجد شعراً رائعاً يشيد بالرسول الكريم وصحابته، والإسلام وما صنعه في النفوس من تحولات على مستوى الأفراد والجماعات، والحث على الجهاد في سبيل الله، والمنافحة عن العقيدة، وبيان ما في الإسلام من خلق رفيع، فيا لروعة الأساليب النبوية، وأساليب الصحابة في آرائهم وإجاباتهم، وتعبيرهم عن ذوات أنفسهم!.

ولقد انتهجت منهجاً في جمع وتهذيب الأخبار عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، يتلخص في الآتي:

ـ اعتمدت على مصادر موثوق بها، لا تقع تحت تأثير تيارات فكرية أو مذهبية، مؤكداً على صحة الخبر من خلال تعاونها على ذكره دون تخريج، وهذه المصادر:

١ـ أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

٢ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المالكي.

٣ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي.

٤ـ البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

٥ـ تاريخ الخلفاء، للحافظ جلال الدين السيوطي.

٦ـ حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.

٧ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري.

٨ـ الزهد، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

٩ـ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

١٠ـ السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري.

١١ـ صفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

١٢ـ فتوح الشام، للواقدي.

١٣ـ كتاب فتوح البلدان، لأحمد بن جابر المعروف بالبلاذري.

١٤ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي.

ـ جمعت الأخبار نافياً عنها ما قال عنه العلماء: (غريب ـ ضعيف ـ موضوع).

ـ قمت بحذف العنعنات، واكتفيت بما لا بد من وجوده فيها، حتى يسهل على القارىء البحث متى شاء.

ـ أخذت الأخبار الوافية، ونسقت بينها وبين غيرها.

ـ لم أقم بتخريج مواطن أخذ الأخبار؛ نظراً لأن مصادرها معدودة ومحدودة، فلم أثقل الحواشي بأمور مكررة، واكتفيت بذكرها كما سلف.

ـ بينت شرح الألفاظ الغريبة معتمداً على لسان العرب لابن منظور، والمعجم الوسيط.

ـ رتبت كل شخصية بادئاً بالاسم والنسب، وثنيت بالصفة غالباً وبعدها تاريخ الإسلام، وما صحب ذلك من جهاد في سبيل الله في عهد الرسول أو في عهد الراشدين حتى زمن الفتنة، وختمت كل شخصية بتاريخ الوفاة.

ـ سميت الكتاب: «صور من سير رجال حول رسول الله ﷺ».

وهذا العدد من الصحابة الذين ترجمت لهم جزء قليل من جمع كثير، فقد ثبت عن الإمام الثوري أنه قال: مَن قَدَّم علياً ـ على عثمان ـ فقد أذرى على اثني عشر ألفاً مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

اللهم اعصمنا بدينك، وطواعيتك وطواعية رسولك، وجنبنا حدودك، اللهم إذ هديتنا للإسلام فلا تنزعنا منه، ولا تنزعه منا حتى تقبضنا إليك ونحن مسلمون.

كتبه

علي بن محمد كمال بن عبد ربه

محمد رسول الله ﷺ والذين معه

بعث الرسول ﷺ والعالم فوضى، فيه من مناحي الفساد ما فيه، مما يسترعي اهتمام الرجل الشديد، وقد نظر الرسول الكريم إلى تلك الصورة البغيضة بعين الأنبياء، فرأى إنسانية مهددة تخضع لغير الواحد جلّ شأنه، تتخذ أصناماً آلهة، مما يدل على أن العقول قد بلغت غاية الفساد، رأى صورة منكرة لكل نواحي الحياة، ولكن كيف يواجه هذه الحياة ونفسية الناس معقدة التركيب، كثيرة المنافذ تتعاورها الأهواء والعادات، وهي إلى الفساد السهل أميل؟ وكيف يتجشم عبء عالمية الرسالة الموكول إليه حملها، وقد أرسل ليخرج عباد الله جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ويخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان والمذاهب إلى عدالة الإسلام يأمر عباد الله بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم، والأغلال التي كانت عليهم.

أتى النبي ﷺ بيت الدعوة والإصلاح من بابه، ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه، ذلك القفل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين قبله؛ وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه. ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده، ورفض الأوثان والعباد والكفر بالطاغوت بكل معاني الكلمة، وقام في القوم ينادي: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا!» ودعاهم إلى الإيمان برسالته، والإيمان بالآخرة.

ومكث رسول الله ﷺ ثلاث عشرة حجة يدعو إلى الله وحده والإيمان برسالته واليوم الآخر في كل صراحة، لا يلين ولا يستكين ولا يحابي ولا يداهن، ويرى في ذلك دواء من كل ذلك، وقامت قريش وصاحوا به من كل جانب وأضرموا البلاد عليه ناراً ليحولوا بينه وبين أبنائهم وإخوانهم، فأصبح الإيمان به والانحياز إليه جداً، لا يتقدم إليه إلا جاد مخلص هانت عليه نفسه، وعزم على أن يقتحم لأجله النيران، فتقدم فتية من قريش لا يستخفهم طيش الشباب، ولا يستهويهم مطمع من مطامع الدنيا، إنما همهم الآخرة وبغيتهم الجنة، سمعوا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم، فضاقت عليهم الحياة الجاهلية بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم ورأوا أنهم لا يسعهم إلا الإيمان بالله ورسوله، فآمنوا وتقدموا إلى النبي ﷺ وهو في بلدهم وبين سمعهم وأبصارهم، وأسلموا أنفسهم وأرواحهم إليه، وهم من حياتهم على خطر، ومن البلاء والمحنة على يقين، سمعوا القرآن يقول: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]،

وسمعوا قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] فما كان من قريش إلا ما توقعوه، قد نثرت كنانتها وأطلقت عليهم كل سهم من سهامها، فما زادهم كل هذا إلا ثقة وتجلداً، وقالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

هذا، والرسول ﷺ يغذي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالإيمان، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن، وخشوع قلب، وخضوع جسم، وحضور عقل، فيزدادون كل يوم سمو روح، ونقاء قلب، ونظافة ضمير وتحريراً ومقاومة للشهوات، ونزوعاً إلى رب الأرض والسماء، ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس.

والتقى أهل مكة بأهل يثرب لا يجمع بينهم إلا الدين الجديد. فكان أروع منظر لسلطان الدين شهده التاريخ. وكان الأوس والخزرج لم ينفضوا عنهم غبار حرب بعاث. ولا تزال سيوفهم تقطر دماً، فألف الإسلام بين قلوبهم، ثم آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين المهاجرين، فكانت أخوة تزرى بأخوة الأشقاء وتبدد كل ما روي في التاريخ من خلة الأخلاء.

كانت هذه الجماعة الوليدة ـ المؤلفة من أهل مكة المهاجرين وأهل يثرب الأنصار ـ نواة للأمة الإسلامية الكبيرة التي أخرجت للناس، ومادة للإسلام، فكان ظهور هذه الجماعة في هذه الساعة العصيبة وقاية للعالم من الانحلال الذي كان يهدده، وعصمة للإنسانية من الفتن والأخطار التي أحدقت بها. لذلك قال الله تعالى لما حض على الأخوة والألفة بين المهاجرين والأنصار: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

الداعية والدعوة

الدعوة فن له أوضاع وخطط وأصول ومناهج، فلا ينهض به إلا كل راغب في أن يردد التاريخ اسمه، ولا يحذقه إلا كل من يعانيه أو لقن مبادئه وأهدافه، وكان من ذوي الفطرة والاستعداد. ومن أجل هذا ينبغي أن يكون القائمون بأية دعوة على علم ودراية بأصول هذا الفن الشاق الخطير، حتى يظفروا بالعون والتأييد، ويكتب لرسالتهم النجاح والخلود.

ومن المقرر في هذا الفن أن تتوافر الحصافة في الداعية، فيختار الظرف المواتي لإعلان دعوته، وإحكام ضربته، وتسديد رميته.

وأن يكون بعيد النظر فيتطلع دائماً إلى الأمام، فكثيراً ما استيقظت الفتنة بين

رجالات الإسلام وكادت تؤدي إلى أوخم العواقب، لو لم يتداركها الداعية الأول محمد الرسول ﷺ بثاقب الفكر، وماضي الرأي، فإذا الفتنة تخمد، وإذا العصبية للقبيلة أو حمية الجاهلية تهدأ كما حدث منه ﷺ عندما ثار النزاع بين المهاجرين والأنصار إثر غزوة بني المصطلق.

وأن يحكم خطته فلا يجهر بدعوته إلا إذا أعد لها العدّة، وحسب ألف حساب للظروف المعوقة، أو الأحداث المفاجئة.

وأن يكون من ذوي الفراسة، فيمكنه سبر أغوار النفس الإنسانية وقراءة أفكار الرجال، والوقوف على نياتهم المستسرة، فلا يأتمن على سره إلا من يلمح فيه الأمان، وصدق الإيمان، وأن يكون أهلاً للصدارة فيفضل قومه إدراكاً وفهماً، أو تجتمع فيه من السمات التي لا تجمع لأحد المعاصرين له في بيئته.

والداعية ينبغي له أن يكون قوي الحجة، فيرى الرأي بعد أن يقلبه على وجوهه، ثم يكون له من المنطق والإقناع ما يمكنه من أن يفرضه على أتباعه والمقربين إليه.

والداعية كذلك ينبغي أن يكون بيِّن القول، والإقناع، واضح الحجة حتى يستطيع أن يبلغ نفوس منكريه قبل محبذيه، وكبار الدعاة الذين قصّ التاريخ علينا سيرهم كانوا من هذا الطراز، حتى إن موسى عليه السلام عندما لم يجد في نفسه القدرة على إبلاغ دعوته إلى قومه، استعان بأخيه هارون؛ حتى يكمل بعض هذا النقص المستعلن فيه كداعية، فقال: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤]. فيم أجابه ربه؟ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٥] والداعية خبير بنفوس الرجال، يعرف كيف يختار رجاله ويصطفي أعوانه، وكيف يفيد من كل منهم، وكيف يختار العمل المناسب للرجل الملائم.

والداعية القدير هو الذي يكون على علم بنفسية الشعوب، وعقلية الجماهير، فيعرف كيف ينفذ إليها وكيف يسيطر عليها، وكيف يجعلها إلى جانبه؛ فاستهواء الشعوب أمر عسير إذ إنها حساسة إلى أبعد حدود الحساسية فيكفي خطأ واحد، ليردها عن الطريق التي بدأت تسير فيها ويفرقها عن العلم الذي أخذت تلتف حوله، إذ يستبد بها العناد غير حافلة بما يصيبها بعد من الضلال ووعورة الطريق.

والداعية لا يتعجل الأمور، بل يكون طويل الأناة فلا يأخذ الأمور غلابا، وبخاصة في النزعات الإصلاحية، بل يتعرف مواطن الضعف ثم يأخذ في الإصلاح رويداً رويداً، الإصلاح الذي تجمجم به النفوس ولا تقوى على الأخذ به، لأنها تخشى غضبة السلطان أو نزوة الطاغية.

والداعية فوق كل شيء وقبل كل شيء، ينبغي أن يكون قوي الإيمان، ماضي العزم على استعداد للتضحية، وهذه السمات هي التي تفرق بين داعية صادق، وآخر دَعِيّ.

إن كل دعوة ناجحة لها تاريخها الحافل بالاستشهاد والتضحية وقوة العقيدة، والثبات على المبدأ؛ هكذا كانت الرسالات.

وينبغي أن يكون عند الداعية المقدرة على الاهتمام بالآخرين، والاهتمام بأن يعطيهم ما عنده من الخير.

وينبغي أن يكون عنده المقدرة على المتابعة والتوجيه المستمر؛ فالاهتمام وحده لا يكفي إن كان اهتمام اللحظة العابرة ثم ينقطع بانتهاء اللحظة أو انتهاء المناسبة. فالتربية عملية مستمرة لا يكفي فيها توجيه عابر. مهما كان مخلصاً ومهماً كان صواباً في ذاته - إنما يحتاج الأمر إلى المتابعة والتوجيه المستمر.

وليس معنى التوجيه المستمر هو المحاسبة على كل هفوة؛ فذلك ينفر ولا يربي، فالمربي الحكيم يتغاضى أحياناً أو كثيراً ما يتغاضى عن الهفوة وهو كاره لها لأنه يدرك أن استمرار التنبيه إليها قد يحدث رد فعل مضاد في نفس المتلقي، ولكن إهمال التنبيه ضار كالإلحاح فيه... وحكمة المربي وخبرته هي التي تدله على الوقت الذي يحسن فيه التغاضي والوقت الذي يحسن فيه التوجيه. ولكن ينبغي التنبه دائماً من جانب المربي إلى سلوك من يربيه سواء قرر تنبيهه في هذه المرة أو التغاضي عما يفعل. فالتغاضي شيء، والغفلة عن التنبيه شيء آخر. أولهما قد يكون مطلوباً بين الحين والآخر، أما الثاني فعيب في التربية خطير.

بهذه التهيئة الربانية لقيادة البشرية كان الرسول ﷺ يرعى أصحابه ويوجههم ويربيهم على منهج الإسلام... وهؤلاء الذين تلقوا منه مباشرة وتربوا على عينه ﷺ هم الذين كتبوا التاريخ!.

كان في رسول الله ﷺ من صفات العظمة الخارقة ما يحبب فيه أتباعه حباً كان يغيظ قريشاً حتى قال أبو سفيان حانقاً: «ما رأيت أحداً يحبه الناس كحب أصحاب محمد محمداً!».

وكان فيه من صفات القيادة والزعامة ما يجعله مطاع الأمر بين أتباعه بغير سلطان. وما كان له عليهم من سلطان قبل إقامة الدولة إلا سلطان الحب الخالص والإعجاب العميق. وكان شديد الاهتمام بهم، يرعى كل واحد منهم كأنما هو صاحبه الأوحد أو صاحبه الأثير عنده، وكان يمنحهم من الحب ما تقرّ به نفوسهم فيطمئنون على مكانتهم عنده، ويبادلونه من الحب بأقصى ما تستطيع نفوسهم الصافية، ولقد تقدم العلم الحديث في كل ميادينه وبخاصة علم النفس، وفن الدعوة؛ ومع هذا التقدم فلم يأتنا بجديد، أو

دل على أمر أغفله صاحب الدعوة. لقد استطاع محمد ﷺ أن يفيد من كل دقيقة وكبيرة، من كل صغير وجليل، حتى كانت دعوته أمثل الدعوات وأقواها وأنشطها. فهذه الملايين من المسلمين في هذه المئات من السنين لأصدق شاهد على نجاح دعوته، ودقة خطته، ولقد حاول المحاولون من أعداء الإسلام أن يتكثروا عليه، وأن يطفئوا نوره على قوتهم واقتدارهم وافتنانهم، فلم يبلغوا منه منالاً ولن يبلغوه، لقد تمكن من النفوس فآمن المسلم به إيماناً قوياً لا تجدي معه فتنة أو إغراء أو وعيد.

أصحاب النبي ﷺ[1]

يقول المولى جلّ شأنه، في حقهم:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]... تضمنت هذه الآية الكريمة من كتاب الله شيئاً من خلال رسول الله وشمائل صحابته الذين شرفهم الله تعالى بتلك الصحبة، وكتب لهم السبق إلى الإيمان به وبالنور الذي أنزل معه. وصحابة رسول الله ﷺ هم أولئك الذين ﴿ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧]، وهم أولئك ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] وتلك الأوصاف في جملتها هي شمائل المؤمنين الذين توغل الإيمان في قلوبهم، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهي الخلال التي اقتبسوها من إمامهم المصطفى ﷺ، فأحيا بها موات القلوب، وأضاء بها ظلمات النفوس، وطهر الأرض من الرجس والأوثان وملأ الدنيا نوراً وعدلاً، كما ملئت ظلاماً وجوراً.

ولقد كان لأولئك الصحب في رسول الله صلوات الله عليه النور الذي به يهتدون،

(١) في تعريف الصحابي قال الحافظ ابن حجر: «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره كالأعمى. ويخرج بقيد «الإيمان» من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى. وقولنا: «به» يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أولاً، يدخل محل احتمال، ومن هؤلاء «بحيرا الراهب» ونظراؤه. ويدخل في قولنا «مؤمناً به» كل مكلف من الجن والإنس... وخرج بقولنا: «ومات على الإسلام» من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته ـ وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة، فإنه أسلم معها، وهاجر إلى الحبشة، فتنصر هو، ومات على نصرانيته.

والإمام الذي به يقتدون، كما أخبر بذلك كتاب الله في قوله جلّ شأنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

والحقيقة أنه لم يكن هناك مسؤولية أشق من تلك المسؤولية، ولم تكن هنالك تبعة أخطر من تلك التبعة التي ألقيت أعباؤها على الرسول الكريم، وعلى ذلك الرعيل الأول من صحابته الأبرار، لأنها مسؤولية كثيرة الجوانب متعددة الأبعاد والاتجاهات، تتسع لتشمل حياة الفرد في مجتمعه الصغير، وحياة المجتمع الإنساني الكبير بدقائقه وتفصيلاته، وتتعمق حتى تصل إلى أغوار النفس الإنسانية، وتمس خلجات القلوب، وحركات العقول، وتبحث في أسرار الوجود، وعظمة الملكوت، وتتدبر في خلق السماوات والأرض، وفيما وراء الطبيعة والحياة.

وفي هذه الآية الكريمة نرى ما وصف به الله تعالى صحابة نبيه إذ كانت تلك الآية على وجازتها، وكانت تلك الأوصاف على قلتها، جماع كثير من الأخلاق والشمائل التي هي ألزم اللوازم للمؤمنين الصادقين.

فهم أقوياء أشداء على الكفار والمعاندين، وهم ضعاف أمام إخوانهم المؤمنين، لا يحملون لهم ضغناً، ولا يرفعون في وجوههم سيفاً.

وهاتان خلتان من صميم الخلال التي تميز المؤمنين وأصحاب العقائد الخالصة الذين لا يحبون إلا في الله ولا يبغضون إلا لله، أي أن عواطفهم تدور مع عقيدتهم، ومع مقتضيات إيمانهم، لأنهما المحور الذي يدور حوله تفكيرهم، والأساس الذي يبنون عليه سلوكهم وعلاقاتهم في هذه الحياة الدنيا، ولا تتحكم فيهم عصبية جاهلية ولا شهوة من شهوات الدنيا الفانية.

ولم تكن تلك الشدة التي وصف الله بها عباده المؤمنين، وصحابة رسوله الأمين، شدة الحمقى أو المغرورين، ولا شدة البغاة المعتدين الذين يستبدون بالضعفاء أو المستضعفين، ولكنها الشدة على الطغاة، وعلى المعتدين الآثمين الذين كفروا بربهم، واعترضوا سبيل دعوتهم، وأجمعوا على حربهم وحاولوا أن يئدوا رسالتهم في مهدها. فتصدى لهم المؤمنون، ولقوهم بشجاعة قلوبهم وقوة إيمانهم، وإن قلّت فئتهم، وضعفت شوكتهم، لأنهم أقوياء بربهم، يؤمنون بنصره وتأييده، وهم يعرفون أنهم أصحاب حق، ونصراء حق، ودعاة إلى الحق الذي لا مرية فيه ولم يشعروا أن حياتهم أغلى عندهم من كرامتهم، أو كرامة العقيدة التي جرت فيهم مجرى الأرواح في الأجساد، أو مجرى الدماء في العروق ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، وقد قال لهم ربهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقد صدَّقوا وصدَقوا ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقد تكرر ذلك الوصف لأولئك الصحابة الصادقين بالشدة على الكفار، والرحمة بالمؤمنين في آية أخرى من الكتاب الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

فهي إذن شدّة الإباء، وحمية العقيدة، التي يبدو فيها المؤمن قوياً عزيزاً شامخاً بأنفه، لا تهوله الأعداد، ولا تفزعه كثرة العتاد، حتى أصبح ـ بما ثبته الله ـ يرى كثرة أعدائه في نور بصيرته قلة، وقوتهم ضعفاً، فثبت في مواقف يشيب لهولها الولدان، وهانت عليه حياته في سبيل نصرة دينه، وإعلاء كلمة الله.

وكذلك كانت شدتهم مظهر عزتهم من عزة دينهم وشرف عقيدتهم، وهيهات أن يرضى مؤمن بالذل، أو يقيم على الهوان، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

ولقد صبر أولئك المؤمنون ما وسعهم الصبر على البلاء، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وقدموا أرواحهم قرباناً لدينهم، وزلفى إلى ربهم يملؤهم اليقين بأنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

هذه هي شدة الصحابة الأطهار على المشركين والكفار، بلغ من تشددهم عليهم أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ويتحرزون من أبدانهم أن تمس أبدانهم. بل إن الغيرة على الدين، وعلى من جاء به، كانت تدفع أولئك الصحابة إلى الشدة مع أقرب الناس إليهم، وأمسهم بهم رحماً، لأنهم نسوا ذلك الرحم، وماتت فيهم تلك العصبية، ولم يبق إلا رحم الدين وآصرة العقيدة.

وذلك من أعجب ما فعل الإسلام بتلك القلوب المؤمنة، فقد انتزع منها بتلك السرعة المذهلة حمية الجاهلية، وعصبيتها للآباء أو للأهل أو للقبيلة وأوليائها، ولم يبق فيها إلا ذلك الولاء لله ورسوله، وللدين الذي جمع شملهم، ووحد قلوبهم.

الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة

ولقد بعث الإيمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنيناً غريباً إلى الجنة واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة، وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي عين، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء.

تقدم أنس بن النضر يوم أُحد وقد انكشف المسلمون فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب الكعبة، إني أجد ريحها من دون أحد، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به

المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال عمير: بخ بخ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك: بخ بخ؟» فقال عمير: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منها، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»، فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل.

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما توجه الرسول إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال له رسول الله: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد»، وقال لبنيه: «وما عليكم أن تدعوه لعل الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه الشهادة»، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أُحد شهيداً.

قال شداد بن الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه فقال: أهاجر معك، فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يراعي ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أقتل ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله ليصدقنك»، ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به النبي ﷺ وهو مقتول فقال: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: «صدق الله فصدقه».

أما الخلق الآخر الذي وصفت به الآية الكريمة أصحاب محمد ﷺ فهو الرحمة بالمؤمنين، أو التراحم بينهم فقد كان ذلك الخلق مظهراً من مظاهر التكامل في بناء المجتمع الإسلامي الوليد الذي وضع الرسول أساسه الراسخ في كلمته الخالدة التي قال فيها: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». وفي كلمته الأخرى التي شبه فيها

المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

وقد كان الرسول الإمام المثل الأعلى لصحابته وللمؤمنين في هذا الخلق الكريم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

ويتخذ هذا الخلق مظهراً عملياً منذ أول يوم وطئت فيه أقدام المهاجرين أرض المدينة المنورة في ذلك الإخاء بين المهاجرين والأنصار الذين قاسموهم عيشهم ونزلوا لهم عن ديارهم وعما تحرص عليه النفوس من مال الدنيا ومتاعها.

ثم انظر بعد ذلك إلى آثار الرحمة وإلى فضيلة الإيثار ونكران الذات في تلك النفوس الكبار، نفوس صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام.

جاء رجل إلى رسول الله وقد أصابه الجهد فقال: يا رسول الله، إني جائع فأطعمني! فبعث الرسول إلى أزواجه: «هل عندكن شيء؟» فقلن جميعاً: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء، فقال للرجل: «ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة!»، ثم قال: «من يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله؟»... فقام رجل من المؤمنين، فقال: أنا يا رسول الله! فأتى به منزله، فقال لأهله: «هذا ضيف رسول الله ﷺ فأكرميه، ولا تدخري عنه شيئاً!». ونظر إلى أولاده فقال: قومي، فعلليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئاً ثم أصبحي سراجك ـ أي أوقديه ـ فإذا أخذ الضيف ليأكل فقومي كأنك تصلحين السراج، فأطفئيه، وتعال نمضغ ألسنتنا لأجل ضيف رسول الله حتى يشبع! ففعلت ذلك، وظن الضيف أنهما يأكلان معه، فشبع هو، وباتا طاويين... فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله فلما نظر إليهم تبسم وقال: «لقد عجب من فعالكما أهل السماء!».

وأهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به أحد إلى واحد، حتى تداولها أهل سبعة أبيات، حتى رجعت إلى أولئك.

في سبيل المثل العليا

أما النفقة في سبيل الله، وفي سبيل الرحمة بالمؤمنين، فقد كان صحابة رسول الله ﷺ أزهد الناس في متاع الحياة الدنيا، وكانوا أحرصهم على ما عند الله مما هو خير وأبقى... ومن الطبيعي ألا يبخل بماله من كان يجود بنفسه، ومن كان يضحي بدمه وروحه راضياً في سبيل المثل العليا التي يؤمن بها، ذلك قياس عام في سائر صحابة رسول الله رضوان الله عليهم، ولكننا نجتزىء هنا بالإشارة إلى شيء يسير من صنيع ذي النورين عثمان بن عفان، فقد سمع رسول الله ﷺ يقول: «من يزيد في مسجدنا»، أي يوسعه، فأسرع عثمان رضي الله عنه فاشترى موضع خمس سوار، فزاده في المسجد،

وجهز جيش العسرة في غزوة «تبوك» بتسعمائة وخمسين فرساً.

وكان المسلمون يشربون من ركية (بئر) يملكها يهودي كان يبيع لهم الماء، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري رومة - اسم تلك البئر - فيجعلها للمسلمين، يضرب بدلوه في دلائهم، وله بها مشرب في الجنة؟».

فجاء عثمان إلى ذلك اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، واتفق هو واليهودي على أن يكون لكل منهما يوم، فكان إذا جاء يوم عثمان استقى المسلمون من البئر ما يكفيهم يومين، فلا يحتاجون لشراء الماء من اليهودي في يومه، فلما رأى اليهودي ذلك قال لعثمان: أفسدت عليّ ركيتي، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه منه عثمان بثمانية آلاف درهم، ووهبها كلها للمسلمين، وهو يشرب منها كواحد منهم.

وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ يسرعون إلى التضحية والفداء، ويسرعون إلى البذل والعطاء، كما كانوا يترفعون عن الصغائر، ويقذعون أنفسهم عن التطلع إلى شهوات النفوس، ومتاع الحياة الدنيا، ويعفون عند المغانم، وقد أثنى على أولئك الصحابة الأطهار إمامهم رسول الله حيث قال لهم: «إنكم لتقلون عند الطمع، وتكثرون عند الفزع» وذلك من أعظم ما يمدح به ذوو المروءات الذين يبرزون للنجدة عند الشدائد، ويتوارون عن النظار عندما تبرق بروق الأطماع...

لقد انقلبت نفسيتهم بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلاباً عجيباً، فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته ظهراً لبطن؛ تغلغل الإيمان في أحشائه وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم، واقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها؛ وغمر العقل والقلب بفيضانه، وجعل منه رجلاً غير الرجل وظهرت منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة، ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق، ولا يزال موضع حيرة ودهشة منه إلى الأبد، وعجز العلم عن تعليله بشيء غير الإيمان الكامل العميق.

أخلاق مكينة

وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، كان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون تحول هذا الإيمان نفساً لوامة عنيفة، ووخزاً لاذعاً للضمير وخيالاً مروعاً، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة

الشديدة ويتحملها مطمئناً مرتاحاً من سخط الله وعقوبة الآخرة.

فمن ذلك ما روى مسلم بن الحجاج القشيري صاحب الصحيح بسنده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمي، أتى رسول الله ﷺ وقال: «يا رسول الله إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن أتطهر»، فرده، فلما كان من الغد أتاه فقال: «يا رسول الله إني قد زنيت» فرده الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: «أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً؟» فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى. فأتاه الثالثة فأرسل إليهم فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كانت الرابعة حفر له ثم أمر فرجم.

قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني، وأنه ردها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً إني لحبلى. قال: «لا. فاذهبي حتى تلدي». قال: فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: هذا قد ولدته. قال: «فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته أتته بالصبي، في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها. فاستقبلها خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله سبه إياها قال: «مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت[1].

إيمان العفاف والكرامة

وكان هذا الإيمان حارساً لأمانة الإنسان وعفافه وكرامته، يملك نفسه من النزوع أمام المطامع والشهوات الجارفة وفي الخلوة والوحدة حتى لا يراها أحد، وفي سلطانه ونفوذه حيث لا يخاف أحداً. وقد وقع في تاريخ الفتح الإسلامي من قضايا العفاف عند المغنم وأداء الأمانات إلى أهلها والإخلاص لله، ما يعجز التاريخ البشري عن نظائره، وما ذاك إلا نتيجة رسوخ الإيمان ومراقبة الله واستحضار علمه في كل مكان وزمان.

حدَّث الطبري قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله عندنا ولا يقارنه. فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه. فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، وخص صاحب المكس بالذكر لقبح ذنبه؛ لتكرر ظلمه للناس، ومعنى المكس: الجباية، وغلب استعماله فيما يأخذه أعوان الظلمة عند البيع.

عامر بن عبد قيس.

وكأن هذا الإيمان بالله رفع رأسهم عالياً وأقام صفحة عنقهم فلا تنحني لغير الله أبداً. لا لملك جبار ولا لحبر من الأحبار ولا لرئيس ديني ولا دنيوي. وملأ قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة والفخفخة، فإذا نظروا إلى الملوك وحشمهم وما هم فيه من ترف ونعيم وزخرف، فكأنهم ينظرون إلى صور ودمى قد كسيت ملابس الإنسان.

عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص وعمارة عن يساره القسيسون جلوس صامتين، وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله.

أرسل سعد ـ قبل القادسية ـ ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي والحرير، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة. ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وبعد، فهذا طرف يسير من الحديث عن صحابة الرسول وصورة سريعة من شمائلهم السمحة وأخلاقهم الرضية، بعد أن هداهم الله للإسلام، وسعدوا بصحبة الرسول الإمام، وأشربوا في قلوبهم حب الله وحب رسوله، وذاقوا حلاوة الإيمان، وانجلت عن أبصارهم وبصائرهم غياهب الشرك والوثنية، وودعوا ما كان عليه أسلافهم في الجاهلية وحياة الظلام إلى حياة المعرفة والنور، وأصبحوا مثلاً للخير والفضيلة، وقدوة لمن اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ شبّه صحابته بالنجوم تهتدي بها السراة في حالك الظلمات في قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم!». ثم استطاعوا بتلك الشيم الفاضلة والنفوس الزكية، والقلوب المؤمنة أن يقودوا جحافل النصر إلى الفتح المبين، وإلى موطن العزة والكرامة، وينشروا راية الأمن والسلام، ويرفعوا راية العرب والإسلام عالية خفاقة في مشارق الأرض ومغاربها، ويغرسوا في الإنسانية مبادىء الحق والعدل والتوحيد.

١ ـ حذيفة بن اليمان

«صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين»

اسمه

حذيفة بن اليمان وهو حذيفة بن حسل، ويقال: حسيل، بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، أبو عبد الله العبسي، واليمان لقب حسل بن جابر. وقال ابن الكلبي: هو لقب جروة بن الحارث، وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان؛ لأنه حالف الأنصار، وهم من اليمن.

وهاجر إلى النبي ﷺ فخيّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة.

مقتل أبيه

وقد شهد «اليمان» هو وابنه «حذيفة» أحداً، فاستشهد اليمان يومئذ، قتله بعض الصحابة غلطاً، ولم يعرفه؛ لأن الجيش يختفون في لأمة[١] الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بيِّنة وإلا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر، ولما شدوا على اليمان يومئذ بقي حذيفة يصيح: أبي! أبي! يا قوم! فراح خطأ، فتصدق حذيفة عليهم بديته.

سبب عدم شهوده بدراً

قال حذيفة: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، فأخذنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمداً! فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا العهد علينا: لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأخبرنا النبي ﷺ فقال: «نفي بعهدهم، ونستعين الله عليهم».

اختصاصه بسر النبي ﷺ

وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة؛ علمه

(١) لأمة الحرب: سلاحها كله، من سيف ورمح ومغفر ونبل وغيره.

بهم رسول الله ﷺ، وسأله عمر: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ قال «نعم، واحد»، قال: من هو؟ قال: «لا أذكره»، قال حذيفة: فعزله، كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر، وقد ناشده عمر: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحداً بعدك.

سؤاله الرسول ﷺ عن الشر

قال حذيفة: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنّا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، فقلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ فقال: «نعم! وفيه دخن»، فقلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستسنون بغير سنّتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على جذع شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

حديثه عن رفع الأمانة

قال حذيفة: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا انظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر[1] قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت[2]، ثم ينام نومة، فتقبض الأمانة، فيظل أثرها مثل أثر المجل[3] كجمر دحرجته على رجلك فنفطت[4] فتراه منتبراً[5] وليس فيه شيء»، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، قال: «فيصبح الناس فيتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجلده وأظرفه وأعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

---

(١) الجذر: الأصل من كل شيء، وتفتح الجيم وتكسر.
(٢) الوكت: الأثر اليسير في الشيء كالنقطة.
(٣) المجل: يقال مجلت يده إذا صلبت وتخشن جلدها وتعجر.
(٤) نفطت يده من العمل: خرج بها بثور. (قرحت).
(٥) منتبراً: بارزاً مرتفعاً.

نبذ من أقواله رضي الله عنه

قال حذيفة: القلوب أربعة: قلب أغلف؛ فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كشجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غالب.

لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً، وبكى بكاء كثيراً فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحب إليّ، ولكن لا أدري علام أقدم، على رضا من الله أم على سخط؟.

وقيل: لما حضره الموت قال: هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحبك، فبارك لي في لقائك. ثم مات.

في ليلة الأحزاب

وحذيفة بن اليمان هو الذي ندبه رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو.

ثناء عمر رضي الله عنه عليه

روى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فتمنوا ملء البيت الذي كانوا فيه مالاً وجواهر ينفقونها في سبيل الله، فقال عمر: لكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله عزَّ وجل، ثم بعث بمال إلى أبي عبيدة، وقال: انظر ما يصنع، فقسمه، ثم بعث بمال إلى حذيفة، وقال: انظر ما يصنع فقسمه، قال: فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.

ولايته

بعث عمر حذيفة على المدائن، فقرأ عهده عليهم، فقالوا: سل ما شئت. قال: طعاماً آكله، وعلف حماري هذا ما دمت فيكم من تبن. فأقام فيهم ما شاء الله ثم كتب إليه عمر: أقدم، فلما بلغ عمر قدومه، كمن له على الطريق، فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك.

لما ثقل حذيفة أتاه ناس من بني عبس، فقال لهم: أي ساعة هذه؟ قالوا: جوف الليل أو آخر الليل، فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: أجئتم بأكفاني؟ قالوا: نعم. فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيراً منها، وإلا يسلب سلباً.

وفاته

مات حذيفة بعد قتل عثمان بأربعين ليلة، سنة ست وثلاثين وقيل بعده بأشهر.

٢ ـ مصعب بن عمير

«أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين»

اسمه

مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، يكنى أبا محمد. دخل على رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكتم إسلامه. وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً، فلما علموا به حبسوه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم خرج في الهجرة الثانية.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير. فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقال: هو مكانه، وأصحابه على أثري. ثم أتانا بعده عمرو ابن أم مكتوم أخو بني فهر الأعمى.

إسلامه وهجرته

أخرج ابن سعد قال: كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً[(١)]، وكان أبواه يحبانه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي[(٢)] من النعال، فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة[(٣)] ولا أرق حلة، ولا أنعم من مصعب بن عمير». فبلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فدخل عليهم فأسلم وصدق به، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً، فبصر به عثمان بن طلحة، فأخبر أمه وقومه فحبسوه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين من رجعوا، فرجع متغير الحال، قد حرج ـ يعني غلظ ـ، فكفت أمه من العذل. وكان من أنعم الناس عيشاً قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا فتحسف[(٤)] جلده تحسف الحية، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويقرئهم القرآن، وكان يأتيهم في دورهم، فيدعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم خلق كثير، وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له، فجمع بهم في دار بني خيثمة.

---

(١) سبيباً: غزير الشعر مع طول ونعومة.
(٢) الحضرمي: المصنوع في حضرموت اليمن.
(٣) اللمة: شعر الرأس المتدلي إلى المنكبين.
(٤) تحسف جلده: تغير وانكمش وخشن.

ثم قدم على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية، فأقام بمكة قليلاً ثم قدم قبل رسول الله ﷺ المدينة، فهو أول من قدمها. وعن ابن شهاب قال: لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ، ورجعوا إلى قومهم، فدعوهم إلى الإسلام سراً، وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك، أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك فليدع الناس بكتاب الله؛ فإنه قمن أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمناً ويهدي الله تعالى على يده حتى قلّ دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم، فأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ وكان يدعى المقرىء.

قال ابن شهاب: وكان أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ.

عن سعد بن مالك: كنا قبل الهجرة يصيبنا ظلف العيش وشدته فلا نصبر عليه، فما هو إلا أن هاجرنا فأصابنا الجوع والشدة فاستضلعنا بهما وقوينا عليهما. فأما مصعب بن عمير فإنه كان أترف غلام بمكة بين أبويه قماشاً، فلما أصابه ما أصابنا لم يقو على ذلك. فلقد رأيته وإن جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية، ولقد رأيته ينقطع به فما يستطيع أن يمشي، فنعرض له القسي ثم نحمله على عواتقنا. ولقد رأيتني مرة قمت أبول من الليل، فسمعت تحت بولي شيئاً يجافيه، فلمست بيدي فإذا قطعة من جلد بعير، فأخذتها فغسلتها حتى أنعمتها، ثم أحرقتها بالنار ثم رضختها فشققت منها ثلاث شقات فاقتويت[١] بها ثلاثاً.

عن علي رضي الله عنه قال: خرجت في غداة شاتية من بيتي جائعاً حرضاً[٢] قد أذلقني البرد، فأخذت إهاباً معطوناً كان عندنا، فجببته ثم أدخلته في عنقي ثم حزمته على صدري أستدفىء به، فوالله ما في بيتي شيء آكل منه، ولو كان في بيت النبي ﷺ لبلغني، فخرجت في بعض نواحي المدينة فاطلعت إلى يهودي في حائط من ثغرة جدار فقال: ما لك يا أعرابي، هل لك في كل دلو بتمرة؟ فقلت: نعم فافتح الحائط، ففتح لي فدخلت، فجعلت أنزع دلواً ويعطيني تمرة حتى امتلأت كفي، قلت: حسبي منك الآن، فأكلتهن ثم كرعت الماء، ثم جئت إلى النبي ﷺ فجلست إليه في المسجد وهو في عصابة من أصحابه، فاطلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه في بردة له مرقوعة؛ فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حاله الذي هو عليها انذرفت عيناه فبكى، ثم قال: «كيف أنتم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في أخرى، وسترت بيوتكم كما تستر

(١) اقتويت: تقويت بها، وكنت ذا قوة.
(٢) حرض فلان: فسدت معدته.

الكعبة؟»، قلنا: نحن يومئذ خير نكفي المؤونة ونتفرغ للعبادة؛ قال: «بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ».

وعن عمر بن الخطاب قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون».

وعن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

وقال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل: قتل مصعب، وأخذ اللواء ملك في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: «تقدم يا مصعب»، فالتفت إليه الملك وقال: لست بمصعب، فعرف النبي ﷺ أنه ملك أيّد به.

وعن عبيد بن عمير قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أحد مر على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية.

وعن خباب قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله عز وجل، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم نجد له شيئاً نكفنه فيه إلا نمرة(١)، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه. فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها ونجعل على رأسه اذخراً، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها. أخرجاه في الصحيحين.

٣ ـ خبيب بن عدي

«أول من سنّ الركعتين عند القتل» ـ «بليع الأرض»

اسمه

خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي.

---

(١) نمرة: كساء فيه خطوط بيض وسود.

شهد أحداً مع النبي ﷺ وكان فيمن بعثه رسول الله ﷺ مع بني لحيان فأسروه هو وزيد بن الدثنة، فباعوهما من قريش، فقتلوهما بمكة بالتنعيم.

وروى البخاري من حديث أبي هريرة، قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً، فأمر عليهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا الحي من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب. فاتبعوا آثارهم. فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك.

فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة، ونزل إليهم نفر على العهد والميثاق، منهم: خبيب، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر. فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، فوالله لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء أسوة، يريد القتلى، فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر.

فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً عندهم أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بُنَيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مُجْلِسه على فخذه والموسى بيده، قال: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة.

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، وقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم عدداً، ولا تبق منهم أحداً، اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما أتى إلينا. وقال:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
وكلهم يبدي العداوة جاهداً ... إلي، لأني في وثاق بمضيع
إلى اللّه أشكو غربتي بعد كربتي ... وما جمع الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صيرني على ما أصابني ... فقد بضعوا لحمي وقد ضل مطمعي
وذلك في ذات الإلٰه وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد عرضوا بالكفر والموت دونه وقد ذرفت عيناي من غير مدمع
وما بي حذار الموت؛ إني لميت ولكن حذاري حر نار تلفع
فلست بمبد للعدو تخشعاً ولا جزعاً؛ إني إلى اللّه مرجعي
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في اللّه مصرعي

وصلب بالتنعيم، وكان الذي تولى صلبه عقبة بن الحرث وأبو هبيرة العبدري وقال عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم: هو أول من سنّ الركعتين عند القتل. وعن عقبة بن الحارث قال: والله ما أنا قتلته، لأنا كنت أصغر من ذلك، ولكن أخذ بيدي أبو ميسرة العبدري فوضع الحربة على يدي، فأخذ بها ثم قتله.

قال موهب: قال لي خبيب، وكانوا جعلوه عندي: أطلب إليك ثلاثاً: أن تسقني العذب، وأن تجنبني ما ذبح على النصب، وأن تُؤْذنّي إذا أرادوا قتلي.

وقال سعيد بن عامر بن حذيم: شهدت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً شيك بشوكة. ثم نادى: يا محمد.

وقد روي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: كنت فيمن حضر قتل خبيب، فلقد رأيت أبا سفيان حين دعا خبيب فقال: اللهم أحصهم عدداً، يلقيني إلى الأرض فزعاً من دعوة خبيب. وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع زالت عنه الدعوة.

عن إبراهيم بن إسماعيل قال: أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش، قال فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون، فرقيت فيها فحللت خبيباً فوقع إلى الأرض فانتبذت عنه غير بعيد ثم التفت فلم أر خبيباً، ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم ير لخبيب أثر حتى الساعة.

وعن الضحاك أن النبي ﷺ أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته فوصلا إلى التنعيم، فوجدا حوله أربعين رجلاً نشاوى[1] فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء، فندر بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسمي «بليع الأرض»، وذكر القيرواني في «حلى العلى» أن خبيباً لما قتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فأداروه مراراً ثم عجزوا فتركوه.

(١) نشاوى: جمع نشوان، وهو السكران.

٤ ـ خباب بن الأرت

«السابق المفتتن، المعذب الممتحن»

اسمه ونسبه

اختلف في نسبه فقيل: خزاعي، وقيل: تميمي، وهو الأكبر، وهو خباب بن الأرت بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو يحيى، وهو عربي، لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة، وقيل: هو حليف بن زهرة، وقال ابن منده وأبو نعيم، قيل: هو مولى عتبة بن غزوان، وقيل: مولى أنمار بنت سباع الخزاعية وهي من حلفاء بني زهرة فهو تميمي النسب، خزاعي الولاء، زهري الحلف؛ لأن مولاته أم أنمار كانت من حلفاء عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، والد عبد الرحمن بن عوف.

إسلامه

وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن كان يعذب في الله تعالى، كان سادس ستة في الإسلام. قال مجاهد: أول من أظهر إسلامه رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وخباب، وصهيب، وبلال، وعمار، وسمية أم عمار.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس.

قال الشعبي: إن خباباً صبر ولم يعط الكفار ما سألوا، فجعلوا يلزقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم متنه.

قال خباب بن الأرت: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجده النبي ﷺ قاعداً مع عمار وصهيب وبلال وخباب بن الأرت في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم، فخلوا به ﷺ فقالوا: إن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرانا العرب قعوداً مع هذه الأعبد فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٢ـ٥٣]. فرمى ﷺ بالصحيفة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: «سلام عليكم»، فدنونا منه حتى

وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ [الكهف:٢٨] قال: فكنا بعد ذلك نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه، وإلا صبر أبداً حتى نقوم.

وعن خباب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببرد له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ فجلس محمراً وجهه، فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر في الأرض، ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه، ما يصرفه عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب، ما يصرفه عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله عزَّ وجل، والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون».

وقال أبو صالح: كان خباب قيناً يطبع(١) السيوف؛ وكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتيه، فأخبرت مولاته بذلك؛ فكانت تأخذ الحديدة المحماة فتضعها على رأسه؛ فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «اللهم انصر خباباً». فاشتكت مولاته أم أنمار رأسها، فكانت تعوي مثل الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فكان خباب يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها. وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

تحمله الشدائد

قال خباب: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث. قال: إني إذا مت ثم بعثت جئني وسيكون لي ثم مال وولد، فسوف أقضيك. فقلت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧].

قال الشعبي: سأل عمر بن الخطاب خباباً رضي الله عنهما عما لقي من المشركين، فقال: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فنظر. فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل، قال خباب: لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك(٢) ظهري.

ولما هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين تميم مولى خراش بن الصمة، وقيل: آخى بينه وبين جسبر بن عتيك.

عن عبد الله بن خباب بن الأرت، عن أبيه، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها، فقالوا: يا رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصليها؟ قال: «أجل، إنها صلاة

---

(١) القين: الحداد وطبع الشيء: صنعه وصاغه.

(٢) ودك: هو دسم اللحم ودهنه.

رغبة ورهبة، إني سألت الله عزَّ وجل فيها ثلاثاً، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بسنّة[1] فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها».

خوف خباب بن الأرت وبكاؤه على بسط الدنيا

عن يحيى بن جعدة قال: عاد خباباً رضي الله عنه ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، ترد على محمد ﷺ الحوض، فقال: كيف بهذا؟ وأشار إلى أعلى البيت وأسفله، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما يكفي أحدكم كزاد الراكب».

عن طارق بن شهاب قال: عاد خباباً نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غداً، قال: فبكى، وقال: أما إنه ليس بي جزع، ولكنكم ذكرتموني أقواماً وسميتم لي إخواناً، وإن أولئك قد مضوا بأجورهم كلهم، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم، والله، ما شددت لها من خيط ولا منعتها من سائل، ثم بكى، فقلنا: ما يبكيك؟ قال: أبكي أن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئاً وإنا بقينا بعدهم حتى لم نجد لها موضعاً إلا التراب.

ثم قال: إنه قد مضى قبلنا أقوام لم ينالوا من الدنيا شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى نلنا ما لا يدري أحدنا في أي شيء يضعه إلا في التراب، وإن المسلم يؤجر في كل شيء أنفقه إلا فيما أنفق في التراب.

وعند البخاري، عن خباب قال: هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله؛ فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً وكان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه؛ فقال لنا النبي ﷺ: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر»، ومنا من ينعت له ثمرته فهو يهدبها.

عن حارثة بن مضرب قال: دخلنا على خباب وقد اكتوى في بطنه سبع كيات، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت» لتمنيته، فقال بعضهم: اذكر صحبة النبي ﷺ والقدوم عليه، فقال: قد خشيت أن يبقى ما عندي حتى القدوم عليه، هذه أربعون ألفاً دراهم في البيت، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ ما أملك درهماً، وإن في جانب بيتي لأربعين ألف درهم!! قال: ثم أتى بكفنه، فلما رآه بكى فقال: لكن

(١) بسنة: يقال: أخذتهم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا.

حمزة لم يوجد له كفن إلا بردة ملحاء إذا جعلت على رأسه قلصت عن قدميه، وإذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه، حتى مدت على رأسه وجعل على قدميه الإذخر.

وعن شيخ من أصحاب عبد الله بن خباب، قال: بينما نحن في المسجد إذ جاء خباب بن الأرت، فجلس فسكت فقال له القوم: إن أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدثهم أو لتأمرهم، قال: بم آمرهم؟ ولعلي آمرهم بما لست فاعلاً.

وروى قيس بن مسلم عن طارق قال: عاد خباباً نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: أبشر أبا عبد الله ترد على إخوانك الحوض، فقال: إنكم ذكرتم لي إخواناً مضوا، ولم ينالوا من أجورهم شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما نخاف أن يكون ثواباً لتلك الأعمال.

ذكر مرضه ووفاته

عن قيس بن أبي حازم، قال: دخلنا على خباب وقد اكتوى سبع كيات، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

ونزل الكوفة ومات بها، وهو أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة، وكان موته سنة سبع وثلاثين. قال زيد بن وهب: سرنا مع علي حين رجع من صفين، حتى إذا كان عند باب الكوفة إذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا، فقال: ما هذه القبور؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك إلى صفين، فأوصى أن يدفن في ظاهر الكوفة، وكان الناس إنما يدفنون موتاهم في أفنيتهم، وعلى أبواب دورهم، فلما رأوا خباباً أوصى أن يدفن بالظهر دفن الناس، فقال علي رضي الله عنه: رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً، ثم دنا من قبورهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين، أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، وأرضى الله عز وجل.

قال أبو عمر بن عبد البر: مات خباب سنة سبع وثلاثين بعدما شهد صفين مع علي رضي الله عنه والنهروان، وصلى عليه علي، وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين سنة، قال: وقيل مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر رضي الله عنه. قال ابن الأثير: الصحيح أنه مات سنة سبع وثلاثين، وأنه لم يشهد صفين، فإنه كان مرضه قد طال به فمنعه من شهودها. قال ابن الجوزي: توفي خباب بالكوفة سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليه علي بن أبي طالب حين منصرفه من صفين، وهو أول ميت قبر بظهر الكوفة.

٥ ـ سالم مولى أبي حذيفة

«إن سالماً شديد الحب لله عزَّ وجلَّ»

اسمه

سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن الموالي، من خيار الصحابة وكبارهم، وهو معدود في المهاجرين، لأنه لما أعتقته مولاته زوج أبي حذيفة تولى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة ولذلك عد في المهاجرين، وهو معدود أيضاً في الأنصار في بني عبيد لعتق مولاته الأنصارية زوج أبي حذيفة، وهو يعد في قريش لما ذكرنا وفي الأنصار لما وصفنا.

وكان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه، فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة، فلما أنزل الله ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] رد كل أحد تبنى ابناً من أولئك إلى أبيه، ومن لم يعرف من أبوه ردّه إلى مواليه.

سبقه وهجرته

وروي عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: وآخى النبي ﷺ بين سالم مولى أبي حذيفة، وبين أبي عبيدة بن الجراح.

ويعد في القراء مع ذلك أيضاً، وكان يؤم المهاجرين بقباء وفيهم عمر قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة.

وقد روي أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونفر من الصحابة من مكة، يؤمهم إذا سافر معهم، لأنه كان أكثرهم قرآناً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرط في الثناء عليه.

شهد سالم مولى أبي حذيفة بدراً وقتل يوم اليمامة شهيداً هو ومولاه أبو حذيفة، فوجد رأس أحدهما عند رجلي الآخر، وذلك سنة اثنتي عشرة من الهجرة.

عن القاسم بن محمد أنّ سهلة بنت سهيل أتت رسول الله ﷺ وهي امرأة أبي حذيفة فقالت: يا رسول الله! إن سالماً معي، وقد أدرك ما يُدرك الرجال، فقال: «أرضعيه فقد حرم عليك ما يحرم من ذي المحرم».

قالت أم سلمة: أبى أزواج رسول الله ﷺ أن يدخل أحد عليهن بهذا الرضاع، وقلن: إنما هي رخصة لسالم خاصة.

مناقبه

عن عائشة قالت: استبطأني رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: «ما حبسك؟»، قلت: إن في المسجد لأحسن من سمعت صوتاً بالقرآن. فأخذ رداءه وخرج يسمعه، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك».

عن سالم مولى أبي حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليجاءنّ بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء، ثم قذفهم في النار»، فقال سالم: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قل لنا هؤلاء القوم حتى نعرفهم، فوالذي بعثك بالحق إني أتخوف أن أكون منهم، فقال: «يا سالم، أما إنهم كانوا يصومون ويصلون، ولكنهم إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله تعالى أعمالهم».

وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ ذكر سالماً مولى أبي حذيفة فقال: «إن سالماً شديد الحب لله عزَّ وجل».

وعن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت سالماً مولى أبي حذيفة، فسألني عنه ربي عزَّ وجلَّ: ما حملك على ذلك؟ لقلت: ربّ سمعت نبيك ﷺ وهو يقول: «يحب الله عزَّ وجل حقاً من قلبه».

عن أبي رافع أنّ عمر بن الخطاب قال: من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو من مال الله. فقال سعيد بن زيد: أما إنك لو أشرت برجل من المسلمين لائتمنك الناس، وقد فعل ذلك أبو بكر الصديق ولائتمنته الناس. فقال: قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً، وإني جاعل هذا الأمر في هؤلاء النفر الستة. ثم قال: لو أدركني أحد رجلين، ثم جعلت إليه الأمر لوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح.

فإن صحّ فهو دال على جلالة هذين في نفس عمر، وذلك على أنه يجوز الإمامة في غير القرشي. والله أعلم.

عن عبيد الله بن الهاد أنّ سالماً باع ميراثه عمر بن الخطاب، فبلغ مائتي درهم، فأعطاها أمه، فقال: كليها.

مقتله

وعن أحمد بن عبيد الله، قال: استشهد سالم مولى أبي حذيفة باليمامة. أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله، فقطعت. ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤] إلى أن قتل.

وجاء من رواية الواقدي أن محمد بن ثابت بن قيس قال: لما انكشف المسلمون

يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ. فحفر لنفسه حفرة فقام فيها، ومعه راية المهاجرين يومئذ، ثم قاتل حتى قتل.

٦ ـ أبان بن سعيد

«مجير عثمان بن عفان يوم الحديبية»

اسمه ونسبه

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأموي.

وأمه هند بنت المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقيل: صفية بنت المغيرة وعمة خالد بن الوليد بن المغيرة.

يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف، أسلم بعد أخويه خالد وعمر، وقال لما أسلما:

ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهد لما يفري في الدين عمرو وخالد
أطاعا معاً أمر النساء فأصبحا يعينان من أعدائنا من يكابد

فأجابه عمرو:

أخي ما أخي لا شاتم أنا عرضه ولا هو عن بعض المقالة مقصر
يقول: إذا اشتدت عليه أموره ألا ليت ميتاً بالظريبة ينشر
فدع عنك ميتاً قد مضى لسبيله وأقبل على الحي الذي هو أقفر

يعني بالميت على الظريبة: أباه أبا أحيحة بن العاص بن أمية، دفن به وهو جبل يشرف على الطائف.

إسلامه

أسلم أبان بين الحديبية وخيبر، وكانت الحديبية في ذي القعدة من سنة ست، وكانت غزوة خيبر في المحرم سنة سبع، وقال أبو نعيم: أسلم قبل خيبر وشهدها، وهو الصحيح، لأنه قد ثبت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ بعث أبان بن سعيد بن العاص في سرية من المدينة، فقدم أبان وأصحابه على رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر، ورسول الله ﷺ بها.

وكان سبب إسلامه أنه خرج تاجراً إلى الشام، فلقي راهباً فسأله عن رسول الله ﷺ

وقال: إني رجل من قريش، وإن رجلاً منا خرج فينا يزعم أنه رسول الله أرسله مثل ما أرسل موسى وعيسى، فقال: ما اسم صاحبكم؟ قال: محمد، قال الراهب: إني أصفه لك، فذكر صفة النبي ﷺ وسنه ونسبه، فقال أبان: هو كذلك، فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب، ثم ليظهرن على الأرض، وقال لأبان: اقرأ على الرجل الصالح السلام. فلما عاد إلى مكة سأل عن النبي ﷺ ولم يقل عنه وعن أصحابه كما كان يقول. وكان ذلك قبيل الحديبية.

ثم إن رسول الله ﷺ سار إلى الحديبية، فلما عاد عنها تبعه أبان فأسلم وحسن إسلامه.

وقيل: إنه هو الذي أجار عثمان لما أرسله النبي ﷺ يوم الحديبية إلى مكة وحمله على فرسه وقال: «اسلك من مكة حيث شئت آمناً».

عن الزهري: أن عبد الله بن سعيد بن العاص أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول: إن رسول الله ﷺ بعث أبان بن سعيد بن العاص على سرية من المدينة قبل نجد، فقدم أبان وأصحابه على رسول الله ﷺ بخيبر بعد أن فتحها، وإن حزم خيلهم ليف فقال أبان: اقسم لنا يا رسول الله؛ قال أبو هريرة: فقلت: لا تقسم لهم يا رسول الله، فقال أبان: وأنت بها يا وبر تحدر من رأس ضال[1]، فقال النبي ﷺ: «اجلس يا أبان»، ولم يقسم لهم رسول الله ﷺ.

واستعمله رسول الله ﷺ على البحرين لما عزل عنها العلاء بن الحضرمي، فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ فرجع إلى المدينة، فأراد أبو بكر أن يرده إليها فقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ وقيل: بل عمل لأبي بكر على بعض اليمن، والله أعلم.

وكان أبوه يكنى أبا أحيحة بولد له اسمه أحيحة، قتل يوم الفجار، والعاصي قتل ببدر كافراً؛ قتله علي، وعبيدة قتل ببدر أيضاً كافراً، قتله الزبير، وأسلم خمسة بنين وصحبوا رسول الله ﷺ ولا عقب لواحد منهم إلا العاصي بن سعيد فجاء العقب منه حَسْبُ.

وكان أبان أحد من تخلف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم، فلما بايعوه بايع؛ وقد اختلف في وقت وفاته، فقال ابن إسحاق: قتل أبان وعمرو ابنا سعيد يوم اليرموك، ولم يتابع عليه، وكانت اليرموك بالشام لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر.

---

(١) الوبر: دويبة على قدر السنور، والضال باللام، في اللسان مادة ضيل: مكان أو جبل بعينه، يريد به توهين أمره وتحقير قدره، قال ابن الأثير: ويروى بالنون، وهو أيضاً جبل في أرض دوس، وقيل: أراد به الضأن من الغنم، فتكون ألفه همزة.

وفاته

وقال أبو حسان الزيادي: مات سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان، ومما يدل على أنه تأخرت وفاته عن خلافة أبي بكر ما روي من طريق سليمان بن وهب الأنباري، قال: حدثنا النعمان بن بزرج قال: لما توفي رسول الله ﷺ بعث أبو بكر أبان بن سعيد إلى اليمن فكلمه فيروز في دم دادويه الذي قتله ابن مكشوح، فقال ابن لقيس: أقتلت رجلاً مسلماً؟ فأنكر قيس أن يكون دادويه مسلماً وأنه إنما قتله بأبيه وعمه، فخطب أبان، فقال: إن رسول الله ﷺ قد وضع كل دم كان في الجاهلية فمن أحدث في الإسلام حدثاً أخذناه به، ثم قال أبان لقيس: الحق بأمير المؤمنين عمر وأنا أكتب لك أني قضيت بينكما. فكتب إلى عمر بذلك فأمضاه.

٧ ـ حمزة بن عبد المطلب

«سيد الشهداء»

اسمه

حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمار وأبو يعلى، الإمام البطل الضرغام أسد الله، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما ثوبية مولاة أبي لهب كما ثبت في الصحيحين، وقريبه من أمه أيضاً لأن أم حمزة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بنت عم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم النبي ﷺ ولد قبل النبي ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع. وأسلم في السنة الثانية من البعثة ولازم نصر رسول الله ﷺ وهاجر معه.

قصة إسلامه

قال ابن هشام: حدثني رجل من أسلم، كان واعية: أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم.

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلّم وتحدّث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة، فلما مر بالمولاة[1] وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما لقي

(١) هي مولاة عبد الله بن جدعان.

ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام[١]، وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فَرُدّ ذلك عليّ إن استطعت.

فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة؛ فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، تم حمزة رضي الله عنه على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ.

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وإن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

في غزوة بدر

قال يزيد بن رومان: وأول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لحمزة.

وعن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر ودنا الناس منا إذا رجل منهم على جمل له أحمر، يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ: «يا علي ناد لي حمزة ـ وكان أقربهم من المشركين ـ من صاحب الجمل الأحمر؟ وماذا يقول لهم؟». فجاء حمزة فقال: هو عتبة، وشيبة والوليد، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء ولكن يبارزنا من بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة بن الحارث». (رواه الإمام أحمد).

قصة قتله في أحد

عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عديّ بن الخيار في زمن معاوية غازين، فمررنا بحمص، وكان وحشي بها، فقال ابن عدي: هل لك أن نسأل وحشياً كيف قتل حمزة؟ فخرجنا نريده، فسألنا عنه فقيل لنا: إنكما ستجدانه بفناء داره على طنفسة له، وهو رجل قد غلب عليه الخمر، فإن تجده صاحياً تجده رجلاً عزيباً، فأتيناه، فإذا نحن بشيخ كبير أسود مثل البعاث على طنفسة له، وهو صاح، فسلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال ابن عدي: والله، ابن الخيار أنت. قال: نعم.

فقال: والله ما رأيتك منذُ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، وهي

(١) كنية أخرى لأبي جهل، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم.

على بعيرها فلمعت لي قدماك. قلنا: إنا أتينا لتحدثنا كيف قتلت حمزة. قال: سأحدثكما بما حدثت به رسول الله ﷺ: كنت عبد جبير بن مطعم، وكان عمهُ طعمة بن عدي قُتل يوم بدر، فقال لي: إن قتلت حمزة فأنت حرُ، وكنت صاحب حربة أرمي قلّ ما أخطىء بها. فخرجت مع الناس، فلما التقوا أخذت حربتي وخرجت انظر حمزة حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق[١] يهد الناس بسيفه هدّاً ما يليق به شيئاً.

فوالله إني لأتهيأ إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزّى الخزاعي، فلما رآه حمزة قال: هلمّ إليّ يا ابن مقطعة البظور! ثم ضربه حمزة، فوالله ما أخطأ رأسه، ما رأيت شيئاً قط كان أسرع من سقوط رأسه، فهززت حربتي، حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت في ثنته[٢] حتى خرجت بين رجليه. فوقع، فذهب لينوء[٣] فغلب، فتركته وإياها حتى إذا مات قمتُ إليه فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي حاجة بغيره. فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف، فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت عليّ الأرض بما رحبت، وقلت: ألحق بالشام أو اليمن أو بعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل: ويحك! والله لن يقتل محمد أحداً دخل في دينه. فخرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله ﷺ فقال: «وحشي؟»، قلت: نعم، قال: «اجلس فحدثني كيف قتلت حمزة»، فحدثته كما أحدثكما، فقال: «ويحك! غيّب عني وجهك فلا أرينَّك». فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان، حتى قبض.

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة خرجت معهم بحربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس نظرت إلى مسيلمة وفي يده السيف، فوالله ما أعرفه. وإذا رجل من الأنصار يريده من ناحية أخرى، فكلانا يتهيأ له، حتى إذا أمكنني دفعت عليه حربتي فوقعت فيه، وشد الأنصاري عليه فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله، فإن أنا قتلته فقد قتلت خيرَ الناس بعد رسول الله ﷺ وقتلت شرّ الناس.

البكاء على حمزة

عن ابن عمر قال: رجع رسول الله ﷺ يوم أحد فسمع نساء بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال: «لكن حمزة لا بواكي له»، فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عند فرقد فاستيقظ وهن يبكين، فقال: «يا ويحهن! أهن ها هنا حتى الآن؟! فمروهن فليرجعن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم».

عن ابن عباس قال: لما قتل حمزة أقبلت صفية أخته، فلقيت علياً والزبير فأرياها

(١) الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسواد.
(٢) الثنة: ما بين أسفل البطن إلى العانة.
(٣) أي: ينهض متثاقلاً.

أنهما لا يدريان، فجاءت النبي ﷺ فقال: «فإني أخاف على عقلها»، فوضع يده على صدرها ودعا لها، فاسترجعت وبكت. ثم جاء، فقام عليه، وقد مثل به فقال: «لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع». ثم أمر بالقتلى فجعل يصلي عليهم سبع تكبيرات، ويرفعون ويترك حمزة، ثم يجاء بسبعة فيكبر عليهم سبعاً حتى فرغ منهم.

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد، قال الله: أنا أبلغهم عنكم. أنزلت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]».

ومن حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به، فجعل ينظر إليه منظراً كان أوجع قلبه منه فقال: «رحمك الله، أي عم لقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات».

عن أنس قال: لما كان يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جدع ومثل به فقال: «لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى يحشره الله في بطون السباع والطير».

تكفين حمزة

وكفن في نمرة إذا خمر رأسه بدت رجلاه، وإذا خمرت رجلاه بدا رأسه. ولم يصل على أحد من الشهداء(١). وقال: أنا شهيد عليكم. وكان يجمع الثلاثة في قبر والاثنين، فيسأل: أيهما أكثر قرآناً؟ فيقدمه في اللحد. وكفن الرجلين والثلاثة في ثوب.

دعاء النبي ﷺ بعد أحد

لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «استمروا حتى أثني على ربي عز وجل»، فصاروا خلفه صفوفاً فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا بركاتك ورحمتك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم القيامة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني

(١) يراجع مبحث الشهيد، وغسله، وتكفينه، والصلاة عليه، في كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» المجلد الأول، ص ٥٢٥ من طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إلٰه الحق».

قال كعب بن مالك يرثي حمزة:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل؟
على أسد الإلٰه غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل؟
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسول
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
أبا يعلى لك الأركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول

٨ ـ حاطب بن أبي بلتعة

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾

اسمه

حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة، من بني خالفة بطن من لخم، وقال ابن ماكولا: حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل بن العتيك بن سعاد بن راشدة بن جزيلة بن لخم بن عدي، حليف بني أسد، وكنيته أبو عبيد الله، وقيل أبو محمد، وقيل: إنه من مذحج، وهو حليف لبني أسد بن عبد العزى، ثم للزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

وقيل: بل كان مولى لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد، فكاتبه، فأدى كتابته يوم الفتح، وشهد بدراً؛ قاله موسى بن عقبة وابن إسحاق، وشهد الحديبية، وشهد الله تعالى له بالإيمان في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآية.

عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[١]؛ فإن بها ظعينة[٢] معها كتاب، فخذوه منها فأتوني به».

---

(١) موضع بين مكة والمدينة.
(٢) الظعينة: المرأة في الهودج.

فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنجردن الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها[1] قال: فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال: «ما هذا يا حاطب؟»، قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً وارتداداً عن ديني، ولا رضاء بالكفر، فقال رسول الله ﷺ: «صدق»، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق.

فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدراً؛ فما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم!».

قال: وفيه نزلت هذه السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وكان سبب هذا الكتاب أن النبي ﷺ لما أراد أن يغزو مكة عام الفتح دعا الله تعالى أن يعمي الأخبار على قريش، فكتب إليهم حاطب يعلمهم بما يريده رسول الله ﷺ من غزوهم، فأعلم الله رسوله بذلك، فأرسل علياً والزبير.

حاطب رسول إلى المقوقس

وأرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس، صاحب الإسكندرية؛ سنة ست، فأحضره، وقال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبياً؟ قال: قلت: بلى، هو رسول الله. قال: فما له لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلدته؟ قال له: فعيسى ابن مريم، أتشهد أنه رسول الله؟ فما له حيث أراد قومه صلبه لم يدع عليهم حتى رفعه الله؟ فقال: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم. وبعث معه هدية لرسول الله ﷺ منها: مارية القبطية، وسيرين أختها، وجارية أخرى، فاتخذ مارية لنفسه، فهي أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، فهي أم عبد الرحمن، ووهب الأخرى لأبي جهم بن حذيفة العدوي وأرسل معه من يوصله إلى مأمنه.

وفاته

وتوفي حاطب سنة ثلاثين، وصلى عليه عثمان، وكان عمره خمساً وستين سنة.

---

(١) أي: ضفائرها.

٩ ـ خزيمة بن ثابت بن الفاكه

«ذو الشهادتين»

اسمه

خزيمة بن ثابت بن الفاكه ـ بالفاء وكسر الكاف ـ ابن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غياث ـ بالمعجمة التحتانية وقيل بالمهملة والنون ـ ابن عامر بن خطمة ـ بفتح المعجمة وسكون المهملة ـ واسمه عبد الله بن جشم ـ بضم الجيم وفتح المعجمة ـ ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الخطمي، وأمه كبشة بنت أوس الساعدية، أبو عمارة ـ من السابقين الأولين شهد بدراً وما بعدها. وقيل: أول مشاهده أحد وكان يكسر أصنام بني خطمة، وكانت راية خطمة بيده يوم الفتح.

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي. فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه. حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته.

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: «أو ليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعتك، فقال النبي ﷺ: «بلى قد ابتعته منك». فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك. فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً.

حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي، وطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: بم تشهد؟ قال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين.

وقد روي في بعض طرق هذا الحديث أن النبي ﷺ قال لخزيمة: «بم تشهد ولم تكن معنا؟»، قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء أفلا أصدقك بما تقول؟.

قال الخطابي: ووجه هذا الحديث أن النبي ﷺ حكم على الأعرابي بعلمه إذ كان النبي ﷺ صادقاً باراً وجرت شهادة خزيمة في ذلك مجرى التوكيد لقوله له ﷺ والاستظهار بها على خصمه. فصارت في التقدير مع قول رسول الله ﷺ كشهادة رجلين في سائر القضايا. رحمه الله.

في مؤتة

قال الواقدي: قال خزيمة بن ثابت: حضرت مؤتة، فبارزت رجلاً فأصبته، وعليه بيضة فيها ياقوتة، فلم يكن همي إلا الياقوتة، فأخذتها فلما انكشفنا وانهزمنا رجعت بها إلى المدينة، فأتيت النبي ﷺ فنفلنيها، فبعتها زمن عمر بمائة دينار.

مع القرآن

وعن زيد بن ثابت، قال: لما كتبنا المصاحف، فقدت آية كنت سمعتها من رسول الله ﷺ فوجدتها عند خزيمة بن ثابت: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وعن أنس قال: افتخر الحيان من الأنصار، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة: حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز له العرش: سعد، ومنا من حمته الدبر[١]: عاصم بن أبي الأقلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادتين: خزيمة بن ثابت.

وقال الواقدي: عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً وشهد صفين وقال: أنا لا أقاتل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية». فلما قتل عمار قال: قد بانت لي الضلالة، ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

وقال المرزباني: قتل مع علي بصفين، وهو القائل:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا   أبو حسن مما نخاف من الفتن
وفيه الذي فيهم من الخير كله   وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

وقال ابن سعد: شهد بدراً وقتل بصفين.

١٠ ـ عبد الله بن سلام

«يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت»

اسمه

عبد الله بن سلام بن الحارث، الإمام الحبر المشهود له بالجنة أبو الحارث الإسرائيلي حليف الأنصار، يكنى أبا يوسف. وكان اسمه الحصين. فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله. وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وهو حليف

(١) الدبر: النحل والزنابير.

القوافلة، من بني عوف بن الخزرج، ومن خواص أصحاب النبي ﷺ.

عن زرارة بن أبي أوفى، عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس إليه[١] فكنت فيمن أتى، فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب، فسمعته يقول: «أيها الناس، أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فقال: يا رسول الله إني سائلك عن ثلاث خصال لا يعلمها إلا نبي. قال: «سل». قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول ما يأكل منه أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟.

قال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهن جبريل آنفاً». قال: جبريل ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: «أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق تحشر الناس إلى المغرب؛ وأما أول ما يأكل منه أهل الجنة فزيادة كبد حوت. وأما شبه الولد أباه وأمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها».

قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله. وقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي يبهتوني عندك، فأرسل إليهم فسلهم من عبد الله بن سلام فيكم؟

قال: فأرسل إليهم فقال: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وعالمنا وابن عالمنا، وأفقهنا وابن أفقهنا. قال: أرأيتم إن أسلم تسلمون؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. قال: فخرج ابن سلام فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا. فقال ابن سلام: هذا الذي كنت أتخوف منهم. (انفرد بإخراجه البخاري).

مرّ عبد الله بن سلام في السوق عليه حزمة من حطب، فقيل له: أليس أغناك الله؟ قال: بلى، ولكن أردت أن أقمع الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر».

خطبة عبد الله بن سلام رضي الله عنه في الفتنة

أخرج الطبراني عن عبد الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام لما استأذن على الحجاج بن يوسف، أذن له، فدخل وسلم، وأمر رجلين مما يلي السرير أن يوسعا، فأوسعا له فجلس، فقال له الحجاج: لله أبوك، أتعلم حديثاً حدثه أبوك عبد الملك بن مروان عن جدك عبد الله بن سلام؟ قال: فأي حديث، رحمك الله، قال:

(١) ذهبوا مسرعين إليه.

حديث المصريين حين حصروا عثمان قال: قد علمت ذلك الحديث، أقبل عبد الله بن سلام وعثمان محصور فانطلق فدخل عليه فوسعوا له حتى دخل، فقال: السلام عليك أمير المؤمنين، فقال: عليك السلام، ما جاء بك يا عبد الله بن سلام؟ قال: جئت لأثبت حتى أستشهد أو يفتح الله لك، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قاتلوك، فإن يقتلوك خير لك وشر لهم، فقال عثمان: أسألك بالذي لي عليك من الحق لما خرجت إليهم، خير يسوقه الله بك وشر يدفعه بك الله، فسمع وأطاع، فخرج عليهم، فلما رأوه اجتمعوا وظنوا أنه قد جاءهم ببعض ما يسرون به، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد، فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً يبشر بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه، وأظهر من اتبعه على الدين كله ولو كره المشركون، ثم اختار له المساكن فاختار المدينة فجعلها دار الهجرة وجعلها دار الإيمان، فوالله ما زالت الملائكة حافين بالمدينة منذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم، وما زال سيف الله مغموداً عنكم منذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم. ثم قال: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فمن اهتدى فإنما يهتدي بهدى الله، ومن ضلّ فإنما يضل بعد البيان والحجة، وإنه لم يقتل نبي فيما مضى إلا قتل به سبعون ألف مقاتل كلهم يقتل ولا قتل خليفة قط إلا قتل به خمسة وثلاثون ألف مقاتل كلهم يقتل به، فلا تعجلوا على هذا الشيخ بقتل، فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله يوم القيامة ويده مقطوعة مشلولة، اعلموا أنه ليس لوالد على ولد حقّ إلا ولهذا الشيخ عليكم مثله. قال: فقاموا فقالوا: كذبت اليهود، كذبت اليهود. فقال: كذبتم والله وأنتم آثمون، ما أنا بيهودي، وإني لأحد المسلمين، يعلم الله بذلك ورسوله والمؤمنون، وقد أنزل الله في القرآن: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وقد أنزل الله الآية الأخرى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وأخرجا في الصحيحين، من حديث قيس بن عبادة قال: كنت جالساً في مسجد المدينة في ناس فيهم بعض أصحاب النبي ﷺ، فجاء رجل في وجهه أثر خشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج فاتبعته، فدخل منزله فدخلت فأخبرته فقال: لا ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه: رأيتني في روضة، وسط الروضة عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، وفي أعلاه عروة، فقيل لي: ارقه، فقلت: لا أستطيع. فجاءني منصف ـ يعني خادماً ـ فقال بثيابي من خلفي، فأخذت بالعروة. فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال: «تلك الروضة الإسلام، وذاك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت، والرجل عبد الله بن سلام».

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: قدمت المدينة فأتيت عبد الله بن سلام، فإذا رجل متخشع، فجلست إليه، فقال: يا ابن أخي، إنك جلست إلينا وقد حان قيامنا فتأذن؟.

وفاته

قال ابن سعد: وتوفي عبد الله بن سلام بالمدينة سنة ثلاث وأربعين رحمه الله.

١١ ـ أنس بن مالك بن النضر

«اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيه»

اسمه

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، واسمه تيم الله، بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار.

أمه أم سليم بنت ملحان. ذهبت به أمه إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، وكان له يومئذ تسع سنين، ويقال: ثمان، ويقال: عشر.

خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمى به ويفتخر بذلك، وكان يجتمع هو وأم عبد المطلب جدة النبي ﷺ واسمها سلمى بنت عمر بن زيد بن أسد بن خداش بن عامر بن غنم، وكان يكنى أبا حمزة، كناه النبي ﷺ ببقلة كان يجتنيها.

صفته

وكان يخضب بالصفرة، وقيل بالحناء، وقيل بالورس، وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكانت له ذؤابة فأراد أن يجزها فنهته أمه وقالت: كان النبي يمدها ويأخذ بها. وداعبه النبي ﷺ فقال له: «يا ذا الأذنين».

مشاهده

قال محمد بن عبد الله الأنصاري: حدثني أبي، عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: أشهدت بدراً مع رسول الله ﷺ؟ قال: لا أم لك؟ وأين غبت عن بدر؟ قال محمد بن عبد الله: خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً عشر سنين، وقيل: تسع، وقيل: ثماني سنين.

دعاء النبي ﷺ لأنس

عن أنس قال: قالت أم سليم: يا رسول الله، ادع الله لأنس، فقال: «اللهم أكثر ماله، وولده، وبارك له فيه».

قال أنس: فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين.

عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، قال: «أنا فاعل». قلت: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»، قلت: فإذا لم ألقك؟ قال: «فأنا عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فأنا عند الحوض لا أخطىء هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة». (رواه أحمد).

مناقبه

وروى الزهري عن أنس قال: قدم النبي المدينة وأنا ابن عشر سنين، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة. وقيل: خدم النبي ﷺ عشر سنين، وقيل: خدمه ثمانياً، وقيل سبعاً.

عن أبي خلدة قال: قلت لأبي العالية: سمع أنس من النبي ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك.

وعن ثابت أن أبا هريرة قال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم. يعني أنس بن مالك.

وعن معتمر بن سليمان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ما بقي أحد صلى القبلتين كلتيهما غيري.

وعن ثابت البناني قال: شكا قيّم لأنس بن مالك في أرضه العطش، فصلى أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غشيت أرضه ثم ملأ صهريجه. فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه؟ فنظر، فإذا هي لم تَعْدُ أرضه.

وعن أبي غالب قال: لم أر أحداً كان أضن بكلامه من أنس بن مالك.

وعن ثابت قال: كان أنس إذا أشفى على ختم القرآن من الليل أبقى منه سورة حتى يختمه مع عاليه.

وعنه قال: كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: كان لأنس ثوبان على المشجب كل يوم، فإذا صلى المغرب لبسهما، فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائماً يصلي.

وعن يزيد بن خصيفة قال: تنخم أنس بن مالك في المسجد ونسي أن يدفنها، ثم

خرج حتى جاء إلى أهله فذكرها، فجاء بشعلة من نار فطلبها حتى وجدها، ثم حفر لها فأعمق فدفنها.

وعن سلمة بن وردان قال: سمعت أنس بن مالك يقول: ارتقى النبي ﷺ على المنبر درجة، فقال: «آمين»، فقيل له: علام أمنت يا رسول الله؟ فقال: «أتاني جبريل فقال: رغم أنف من أدرك رمضان فلم يغفر له، قل: آمين».

روى ابن أبي ذئب عن إسحاق بن يزيد قال: رأيت أنس بن مالك مختوماً في عنقه ختمة الحجاج. أراد أن يذله بذلك.

وكان عنده عصية لرسول الله ﷺ، فلما مات أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه.

عن أنس بن مالك قال: أخذت أم سليم بيدي فأتت بي رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني، وهو غلام كاتب، قال: فخدمته تسع سنين، فما قال لي لشيء صنعته: أسأت أو بئس ما صنعت.

ودعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، إحداهما حفصة، والأخرى أم عمرو، ومات وله من ولده وولد ولده مائة وعشرون ولداً، وقيل: نحو مائة، وكان نقش خاتمه صورة أسد رابض، وكان يشد أسنانه بالذهب، وكان أحد الرماة المصيبين ويأمر ولده أن يرموا بين يديه، وربما معهم فيغلبهم بكثرة إصابته، وكان يلبس الخز ويتعمم به.

وفاته

واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين.

١٢ ـ حبيش بن خالد

«صاحب حديث أم معبد»

اسمه

حُبيش بن خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حزام بن حبيشة بن كعب بن عمرو، وقيل: حبيش بن خالد بن حليف بن منقذ بن ربيعة.

وقيل: حبيش بن خالد بن ربيعة لا يذكرون منقذاً، الخزاعي الكعبي، أبو صخر، وأبوه خالد يقال له الأشعر، وهو أخو أم معبد، وصاحب حديثها.

عن حبيش بن خالد، صاحب رسول الله ﷺ قال: إن النبي ﷺ خرج من مكة مهاجراً هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما عبد الله بن أريقط، فمروا على خيمة أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبي[١] وتجلس بفناء القنة، ثم تسقي وتطعم، فسألوا لحماً وتمراً ليشروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً، وكان القوم مرملين مسنتين[٢]. فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: «هل بها من لبن؟»، قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «أتأذنين أن أحلبها؟»، قالت: بأبي أنت وأمي، نعم إن رأيت بها حلباً. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح ضرعها، وسمى الله عزَّ وجل ودعا لها في شاتها، فتفاجت[٣] ودرت، واجترت، ودعا بإناء يُرْبِضُ[٤] الرهط، فحلب فيه ثجاً[٥] حتى علاه البهاء[٦] ثم سقاها حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه ثانية بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، فبايعها، وارتحلوا عنها.

فقلما لبثت أن جاء زوجها يسوق أعنزاً عجافاً[٧] يتساوكن[٨] هُزالاً، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عارب، ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا. قال: صفيه يا أم معبد، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة[٩] أبلج[١٠] الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة[١١]

---

(١) يقال: امرأة برزة إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب، وهي مع ذلك عفيفة، وجلدة: قوية.

(٢) مسنتين: أي مجدبين أصابتهم السنة، وهي القحط.

(٣) تفاجت: أي بالغت في تفريج ما بين رجليها.

(٤) يربض الرهط: بالباء الموحدة وبالضاد المعجمة، أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويربضوا على الأرض. ومن رواه: يريض بالياء تحتها نقطتان، فهو من أرض الوادي إذا استنقع فيه الماء، ومنه قولهم: شربوا حتى أراضوا.

(٥) فحلب فيه ثجاً: أي سائلاً كثيراً.

(٦) والبهاء: أراد بهاء اللبن، وهو وبيص رغوته.

(٧) الأعنز العجاف: جمع عجفاء وهي المهزولة.

(٨) يتساوكن، يقال: تساوكت الإبل إذا اضطربت أعناقها من الهزال؛ أراد: تتمايل من ضعفها.

(٩) الحسن والبهجة.

(١٠) أبلج: البلج: إشراق الوجه وإسفاره.

(١١) والثجلة: ضخم البطن، ورجل أثجل بالثاء المثلثة.

ولم تزر به صعلة[١] وسيم قسيم[٢]، في عينيه دعج[٣]، في أشفاره وطف[٤]، وفي صوته صحل[٥]، في عنقه سطح[٦]، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن[٧]، إن صمت فعليه الوقار، إن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر[٨] ولا هذر[٩]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا بائن من طول، ولا تزدريه عين من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند[١٠].

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت سبيلاً. فأصبح صوت بمكة عال، يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى اللّه رب الناس خير جزائه ... رفيقين حَلاَّ خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصيّ ما زوى اللّه عنكم ... به من فعال لا يجاري وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... عليه صريحاً ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها لحالب ... يردها في مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت شبب يجاوب الهاتف، فقال:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليهم ويغتدي

---

(١) الصعلة: صغر الرأس.
(٢) وسيم قسيم: القسامة الحسن، ورجل قسيم الوجه أي: جميل كله.
(٣) الدعج: السواد في العين وغيرها، تريد أن سواد عينيه كان شديداً، والدعج أيضاً: شدة سواد العين في شدة بياضها.
(٤) والوطف: طول شعر الأجفان.
(٥) الصحل: بحة في الصوت، وروي بالهاء، وهو حدة وصلابة من صهيل الخيل.
(٦) والسطح: ارتفاع العنق وطوله.
(٧) والزجج في الحواجب تقوس وامتداد طول أطرافها.
(٨) والنزر: القليل الذي يدل على العي.
(٩) والهذر: الكثير، يعني: ليس بقليل ولا كثير.
(١٠) والمفند: هو الذي لا فائدة في كلامه.

ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب اللَّه في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد

مقتله

وأسلم حبيش، وشهد الفتح مع رسول الله ﷺ، فقتل يوم الفتح، هو وكرز بن جابر، كانا في خيل خالد بن الوليد، فسلكا غير طريقه، فلقيهما المشركون، فقتلوهما.

١٣ ـ الأقرع بن حابس

«إن لي من الولد عشرة ما قبلت واحداً منهم»

اسمه

الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

قال ابن دريد: اسم الأقرع: فراس، ولقب الأقرع لقرع كان في رأسه، والقرع: انحصاص الشعر.

قدومه على النبي ﷺ

قدم على النبي ﷺ مع عُطارد بن حاجب بن زرارة، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم وغيرهم من أشراف تميم بعد فتح مكة، وقد كان الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحنيناً، وحضرا الطائف.

فلما قدم وفد تميم كان معهم، فلما قدموا المدينة قال الأقرع بن حابس، حين نادى: يا محمد، إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال رسول الله ﷺ: «ذلكم الله سبحانه».

وقيل: بل الوفد كلهم نادوا بذلك، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال: «ذلكم، فما تريدون؟»، قالوا: نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ: «ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا، ولكن هاتوا» فقال الأقرع بن حابس لشاب منهم: قم يا فلان فاذكر قومك، فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه، وآتانا

أموالاً نفعل فيها ما نشاء، فنحن خير من أهل الأرض، أكثرهم عدداً وأكثرهم سلاحاً، فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وبفعال هو أفضل من فعالنا.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب النبي ﷺ: «قم فأجبه»، فقام ثابت فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوهاً، وأعظم الناس أحلاماً، فأجابوه، والحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله، وعزاً لدينه، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا نفسه وماله، ومن أباها كان رغمه في الله تعالى علينا هيناً، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... نحن الرؤوس وفينا يقسم الربع[1]
ونطعم الناس عند المحل كلهم ... من السديف[2] إذا لم يؤنس القزع
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله ﷺ: «عليَّ بحسان بن ثابت»، فحضر، وقال: قد آن لكم تبعثوا إلى هذا العود، والعود الجمل المسن، فقال له رسول الله ﷺ: «قم فأجبه»، فقال: أسمعني ما قلت، فأسمعه، فقال حسان:

نصرنا رسول اللّه والدين عنوة ... على رغم عات من معد وحاضر
بضرب كإيزاغ المخاض مشاشة[3] ... وطعن كأفواه اللقاح الصوادر
وسل أحداً يوم استقلت شعابه ... بضرب لنا مثل الليوث الحوادر
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدارعين ونتمي ... إلى حسب من جذم غسان قاهر
فأحياؤنا من خير من وطىء الحصى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر
فلولا حياء اللّه قلنا تكرماً ... على الناس بالخيفين[4] هل من منافر

فقام الأقرع بن حابس فقال: إني، والله يا محمد، لقد جئت لأمر ما جاء له

---

(١) يريد ربع الغنيمة، وكان الملك يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه، ويسمى ذلك الربع: المرباع.
(٢) السديف: شحم السنام، والقزع السحاب، أي نطعم الشحم عند القحط.
(٣) إيزاغ المشاش، والمشاش: بول النوق الحوامل، والمراد هنا إخراجه دفعة دفعة.
(٤) الخيف: الوادي، ويطلق على عدة أماكن في الحجاز، ويثنى في الشعر.

هؤلاء، قد قلت شعراً فاسمعه، قال: «هات»، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا   إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأنا رؤوس الناس من كل معشر   وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حسان فأجبه»، فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم   يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم[1] علينا؟ تفخرون وأنتم   لنا خول[2] من بين ظئر[3] وخادم

فقال رسول الله ﷺ: «لقد كنت غنياً يا أخا بني دارم أن يذكر منك ما كنت ترى أن الناس قد نسوه»، فكان قول رسول الله ﷺ أشد عليهم من قول حسان.

ثم رجع حسان إلى قوله:

وأفضل ما نلتم من المجد والعلى   ردافتنا[4] من بعد ذكر المكارم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم   وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا للّه نداً وأسلموا   ولا تفخروا عند النبي بدارم
وإلا ورب البيت مالت أكفنا   على رؤوسكم بالمرهفات الصوارم

فقام الأقرع بن حابس فقال: يا هؤلاء، ما أدري ما هذا الأمر؟ تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أرفع صوتاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتاً وأحسن قولاً. ثم دنا إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «لا يضرك ما كان قبل هذا».

وفي وفد بني تميم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات: ٤].

عن أبي هريرة: أبصر الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ وهو يقبل الحسن، وقال ابن أبي عمر: أو الحسين، فقال: إن لي من الولد عشرة ما قبلت واحداً منهم! فقال رسول الله ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم».

وشهد الأقرع بن حابس مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق، وشهد معه فتح الأنبار، وهو كان على مقدمة خالد بن الوليد.

---

(١) هبلتم: فقدتم وثكلتم.
(٢) الخول: حشم الرجل وأتباعه.
(٣) الظئر: المرضع.
(٤) الردافة كالوزارة بمعنى، وأرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة، بمنزلة الوزراء في الإسلام، واحدهم ردف.

وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش.

١٤ ـ ابن أم مكتوم

«مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»

اسمه

مختلف في اسمه، فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زياد بن الأصم بن رواحة القرشي العامري.

وأما أهل العراق فسموه: عمراً. وأمه أم مكتوم هي عاتكة بنت عبد الله ابن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية.

إسلامه

أسلم بمكة، وهو من السابقين المهاجرين، وكان ضريراً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال، وسعد القرظ، وأبي محذورة، مؤذن مكة. هاجر بعد وقعة بدر بيسير، قاله ابن سعد، وقد كان النبي ﷺ يحترمه، ويستخلفه على المدينة، فصلى ببقايا الناس.

عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام ـ وذكر آخر ـ وكان يتصدى لهم كثيراً ويقبل عليهم رجاء أن يؤمنوا، فأقبل عليه رجل أعمى يقال له عبد الله ابن أم مكتوم وهو يناجيهم. فجعل عبد الله يستقرىء رسول الله ﷺ في آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى عنه وكره كلامه وأقبل على الآخرين.

فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١، ٢]. فلما نزل فيه ما نزل أكرمه النبي ﷺ وكلمه، يقول له: «ما حاجتك؟» و«هل تريد مني شيئاً؟»، وإذا ذهب من عنده قال: «هل لك حاجة في شيء؟».

وفي رواية: أتى ابن أم مكتوم النبي ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره.

حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وفي نفسه يقول: هؤلاء

الصناديد وإنما أتباعه العميان والشغلة والعبيد، فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ [عبس: ١، ٢] فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه يقول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي».

عن أبي إسحاق، سمع البراء يقول: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم يقرئان الناس القرآن.

وعن أبي ظلال، قال: كنت عند أنس، قال: متى ذهبت عينك؟ قلت: وأنا صغير، فقال: إن جبريل أتى رسول الله ﷺ وعنده ابن أم مكتوم فقال: متى ذهب بصرك؟ قال: وأنا غلام، فقال: قال الله تعالى: «إذا أخذت كريمة عبدي لم أجد له جزاء إلا الجنة».

عن عبد الله بن معقل، قال: نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة كانت ترفقه وتؤذيه في النبي ﷺ، فتناولها فضربها فقتلها، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال هو: والله إن كانت لترفقني ولكن آذتني في الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: «أبعدها الله، قد أبطلت دمها».

عن خارجة بن زيد، عن أبيه، قال: كنت إلى جنب النبي ﷺ فغشيته السكينة، فوقعت فخذه على فخذي فما وجدت شيئاً أثقل منها، ثم سرى عنه، فقال لي: «اكتب»، فكتب في كتف:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]، فقام عمرو ابن أم مكتوم فقال: فكيف بمن لا يستطيع. فما انقضى كلامه حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة ثم سُري عنه فقال: اكتب ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾.

قال زيد: أنزلها الله وحدها فكأني أنظر إلى ملحفها عند صدع الكتف.

عن ابن أبي ليلى، أن ابن أم مكتوم قال: أي رب! أنزل عذري. فأنزلت ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ فكان بعد يغزو ويقول: ادفعوا إليّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر وأقيموني بين الصفين.

وعن أنس: أن عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم، كان يقاتل يوم القادسية وعليه درع له حصينة سابغة.

وفاته

قال الواقدي: شهد القادسية ومعه الراية، ثم رجع إلى المدينة فمات بها. ولم نسمع له بذكر بعد عمر.

ويقال: استشهد يوم القادسية.

١٥ ـ العلاء بن الحضرمي

«يا علي يا عظيم، يا حليم، أخف عليهم موتي، ولا تطلع على عورتي أحداً»

اسمه

العلاء بن عبد الله بن أكبر بن ربيعة بن مقنع بن حضرموت. كان من حلفاء بني أمية ومن سادة المهاجرين. وأخوه ميمون بن الحضرمي هو المنسوب إليه بئر ميمون التي بأعلى مكة احتفرها قبل المبعث.

وأخواهما عمرو وعامر.

إسلامه

أسلم قديماً، وبعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام.

مع الصديق أبي بكر

عن عروة قال: بعثه ـ يعني العلاء ـ أبو بكر الصديق في جيش قبل البحرين. وكانوا قد ارتدوا. فسار إليهم وبينه وبينهم البحر ـ يعني الرقراق ـ حتى مشوا فيه بأرجلهم، فقطعوا كذلك مكاناً كانت تجري فيه السفن، وهي اليوم تجري فيه أيضاً، فقاتلهم وأظهره الله عليهم وبذلوا الزكاة.

وروي عن أبي هريرة: بعثني رسول الله ﷺ مع العلاء بن الحضرمي ووصاه بي فكنت أؤذن له.

وقال المسور بن مخرمة: بعث النبي ﷺ العلاء إلى البحرين ثم عزله بأبان ابن سعيد.

قال محمد بن سعد: بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي، فخرج من المدينة في ستة عشر راكباً، وكتب أن ينفر معه كل من مر به من المسلمين إلى عدوهم. فسار العلاء فيمن تبعه حتى لحق بحصن جواثا فقاتلهم، فلم يفلت منهم أحد. ثم أتى القطيف وبها جمع فقاتلهم فانهزموا، فانضمت الأعاجم إلى الزارة، فأتاهم العلاء، فنزل على ساحل البحر، فقاتلهم وحاصرهم إلى أن توفي الصديق. فطلب الزارة الصلح فصالحهم، ثم قاتل أهل دارين فقتل المقاتلة وحوى الذراري. وبعث عرفجة إلى ساحل فارس فقطع السفن وافتتح جزيرة بأرض فارس، واتخذ لها مسجداً.

وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي الدعوة، اتفق له في

الغزوة التي وجهها أبو بكر لقتال من ارتد من أهل البحرين أنه نزل منزلاً فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم ـ وذلك ليلاً ـ ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من الهم والغم ما لا يحد ولا يوصف، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض، فنادى منادي العلاء فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس ألستم المسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا، فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم. ونودي بصلاة الصبح، حين طلع الفجر، فصلى بالناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه وجثا الناس، ونصب في الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى وهو يجتهد في الدعاء، فلما بلغ الثالثة إذا قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل من كل فج بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سلكاً، فسقوا الإبل عَلَلاً بعد نهل، كان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السرية.

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة ـ وقد حشدوا وجمعوا خلقاً عظيماً ـ نزل ونزلوا وباتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ سمع العلاء أصواتاً عالية في جيش المرتدين، فقال: هل من رجل يكشف لنا خبر هؤلاء؟ فقام عبد الله بن حذف، فدخل فيهم، فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فوره والجيش معه فكسبوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيماً، وقلَّ من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة عظيمة جسيمة.

وكان الحطم بن ضبيعة أخو بني قيس بن ثعلبة من سادات القوم نائماً، فقام دهشاً حين اقتحم المسلمون عليهم فركب فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، ارفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: أجهز عليّ، فقال: لا أفعل، فوقع صريعاً كلما مرَّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحطم فاقتلني فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله وقال: واسوأتاه، لو أعلم ما به لم أحركه.

ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق، ذهب من فر منهم أو أكثرهم في البحر إلى دارين ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي في قسم الغنيمة ونقل الأثقال وفرغ من ذلك وقال للمسلمين: اذهبوا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي

يا محيي، يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، لا إلٰه إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر فلقي عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مخبراً، واستاق الذراري والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئاً سوى عليقة فرس لرجل من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم غنائم المسلمين فيهم، فأصاب الفارس ألفين والراجل ألفاً، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر، وهو عفيف بن المنذر:

ألم تر أن اللّٰه ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل
دعونا إلى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

وقد ذكر سيف بن عمر التميمي أنه كان مع المسلمين في هذه المواقف والمشاهد التي رأوها من أمر العلاء، وما أجرى الله على يديه من الكرامات، رجل من أهل هجر راهب فأسلم حينئذ، فقيل له: ما دعاك إلى الإسلام؟ فقال: خشيت إن لم أفعل أن يمسخني الله لما شاهدت من الآيات. قال: وقد سمعت في الهواء وقت السحر دعاء، قالوا: ما هو؟ قال: اللهم أنت الرحمٰن الرحيم، لا إلٰه غيرك، والبديع ليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، والذي لا يموت، وخالق ما يرى، وكل يوم أنت في شأن، وعلمت اللهم كل شيء علماً، قال: فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله، قال: فحسن إسلامه وكان الصحابة يسمعون منه.

عن الشعبي أن عمر كتب إلى العلاء بن الحضرمي وهو بالبحرين أن سر إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله، وظننت أنك أغنى منه، فاعرف له حقه.

فخرج العلاء في رهط منهم أبو هريرة وأبو بكرة فمات العلاء قبل أن يصل إليها.

وكان أبو هريرة يقول: رأيت من العلاء ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبداً: قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم يريد البحرين فدعا الله بالدهناء فنبع لهم ماء فارتووا ونسي رجل منهم بعض متاعه فردّ فلقيه ولم يجد الماء. ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة فمطرنا وحفرنا له بسيوفنا ودفناه ولم نلحد له.

من دعواته المستجابة

عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له فيهن: نزلنا منزلاً فطلب الماء ليتوضأ فلم يجده فقام فصلى ركعتين

وقال: اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ منه ونشرب فإذا توضأنا لم يكن لأحد فيه نصيب غيرنا. فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا؟ فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي: نسيت إداوتي. فجئت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط. ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم فقال: يا عليم يا حليم، يا علي يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً. فتقحم البحر فخضنا ما بلغ لبودنا، فخرجنا إليهم فلما رجع أخذه وجع الذن فمات فطلبنا ماء نغسله فلم نجده فلففناه في ثيابه ودفناه.

فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماء كثير فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه. فرجعنا فطلبناه فلم نجده. فقال رجل من القوم: إني سمعته يقول: يا علي يا عظيم يا حليم أخف عليهم موتي، أو كلمة نحوها، ولا تطلع على عورتي أحداً. فرجعنا وتركناه.

وعن عمرو بن ثابت قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجتها الأطباء فلم يقدروا حتى وصلت إلى صماخه فأسهرت ليله ونغصت عليه نهاره. فأتى رجلاً من أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه فقال: ويحك، إن كان شيء ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة. قال: وما هي رحمك الله؟ قال: يا علي يا عظيم، يا حليم يا عليم. فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكت الحائط، وبرىء رحمه الله.

وفاته

مات العلاء في طريقه إلى البصرة سنة إحدى وعشرين، وقيل أربع عشرة، وقيل خمس عشرة.

١٦ ـ حكيم بن حزام

«أسلمت على ما أسلمت من خير»

اسمه

حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي.

عن مصعب بن عثمان قال: دخلت أم حكيم بن حزام الكعبة مع نسوة من قريش وهي حامل متم بحكيم بن حزام، فضربها المخاض في الكعبة، فأتيت بنطع حيث

أعجلتها الولادة فولدت حكيم بن حزام في الكعبة على النطع، وكان حكيم من سادات قريش ووجوهها في الجاهلية وفي الإسلام، وكان كثير الصدقة والبر والعتاقة.

حبه لرسول الله ﷺ

كان شديد المحبة لرسول الله ﷺ، ولما كان بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب لا يبايعون ولا يناكحون، كان حكيم يقبل بالعير يقدم من الشام، فيشتريها بكمالها، ثم يذهب بها فيضرب أدبارها حتى يلج الشعب يحمل الطعام والكسوة تكرمة لرسول الله ﷺ ولعمته خديجة بنت خويلد.

هو الذي اشترى زيد بن حارثة، فابتاعته منه عمته خديجة، فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه.

وكان اشترى حلة ذي يزن وأهداها لرسول الله ﷺ فلبسها قال: فما رأيت شيئاً أحسن منه فيها.

ومع هذا ما أسلم إلا يوم الفتح هو وأولاده كلهم.

وقد كان حكيم شهد مع المشركين بدراً، وتقدم إلى الحوض، فكاد حمزة أن يقتله، فما سحب إلا سحباً بين يديه، فلهذا كان إذا اجتهد في اليمين يقول: لا، والذي نجاني يوم بدر.

سبب تأخر إسلامه

وعن محمد بن سعد يرفعه: أن حكيم بن حزام بكى يوماً، فقال له ابنه: ما يبكيك؟ قال: خصال كلها أبكاني، أما أولها فبطء إسلامي حتى سبقت في مواطن كلها صالحة، ونجوت يوم بدر وأحد فقلت: لا أخرج أبداً من مكة ولا أوضع مع قريش ما بقيت.

فأقمت بمكة ويأبى الله عزَّ وجل أن يشرح صدري للإسلام، وذلك أني أنظر إلى بقايا من قريش لهم أسنان متمسكين بما هم عليه من أمر الجاهلية فأقتدي بهم، ويا ليت أني لم أقتد بهم فما أهلكنا إلا الاقتداء بآبائنا وكبرائنا.

فلما غزا النبي ﷺ مكة جعلت أفكر، فخرجت أنا وأبو سفيان نستروح الخبر، فلقي العباس أبا سفيان فذهب به إلى النبي ﷺ ورجعت فدخلت بيتي، فأغلقته علي ودخل النبي ﷺ مكة فآمن الناس، فجئته فأسلمت وخرجت معه إلى حنين.

قال الزبير: وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: جاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام، فباعها بعد من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم. فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش؟ فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى: يا ابن أخي

إني اشتريتها في الجاهلية بزق خمر إني اشتريت بها داراً في الجنة، أشهدك أني قد جعلتها في سبيل الله.

إنفاق حكيم بن حزام رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي حازم قال: ما كان بالمدينة أحد سمعنا به كان أكثر حملاً في سبيل الله من حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: لقد قدم أعرابيان المدينة يسألان من يحمل في سبيل الله؟ فدلا على حكيم بن حزام فأتياه في أهله، فسألهما ما يريدان؟ فأخبراه ما يريدان، فقال لهما: لا تعجلا حتى أخرج إليكما، وكان حكيم يلبس ثياباً يؤتى بها من مصر كأنها الشباك ثمنها أربعة دراهم، ويأخذ عصاً في يده، ويخرج معه غلامان له، وكلما مر بكناسة أو قمامة فرأى فيها خرقة تصلح في جهاز الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله أخذها بطرف عصاه فنفضها، ثم قال لغلاميه: أمسكا بسلعتكما في جهازكما، فقال الأعرابيان أحدهما لصاحبه وهو يصنع ذلك: ويحك؟ انج بنا، فوالله ما عند هذا إلا لقط القشع، فقال له صاحبه: ويحك! لا تعجل حتى ننظر، فخرج بهما إلى السوق فنظر إلى ناقتين جليلتين سمينتين خلفتين، فابتاعهما وابتاع جهازهما، ثم قال لغلاميه: رما بهذه الخرق ما ينبغي له المرمة من جهازكما، ثم أوقراهما طعاماً وبراً وودكاً وأعطاهما نفقة ثم أعطاهما الناقتين، قال: يقول أحدهما لصاحبه: والله ما رأيت من لاقط قشع خيراً من اليوم.

وأخرج الطبراني عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه باع داراً له من معاوية رضي الله عنه بستين ألفاً، فقالوا: غبنك والله معاوية، فقال: والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق خمر، أشهدكم أنها في سبيل الله والمساكين والرقاب؛ فأينا المغبون؟، وفي رواية: بمائة ألف.

وعن أبي بكر بن سليمان قال: حج حكيم بن حزام معه مائة بدنة قد أهداها وجللها الحبرة وكفها عن أعجازها ووقف مائة وصيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقة الفضة قد نقش في رؤوسها «عتقاء الله عز وجل عن حكيم بن حزام».

رد حكيم بن حزام رضي الله عنه المال

أخرج عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب، قال: أعطى النبي ﷺ حكيم بن حزام رضي الله عنه يوم حنين عطاء فاستقله فزاده، فقال: يا رسول الله، أي عطيتك خير؟ قال: «الأولى»، فقال النبي ﷺ: «يا حكيم بن حزام، إن هذا المال خضرة حلرة فمن أخذه بسخاوة نفس وحسن أكلة بورك له فيه، ومن أخذه باستشراف نفس وسوء أكلة لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني»، قال: فوالذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً

أبداً، قال: فلم يقبل ديواناً ولا عطاء حتى مات، قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم إني أشهدك على حكيم بن حزام أني أدعوه لحقه من هذا المال وهو يأبى، فقال: إني والله ما أرزأك ولا غيرك شيئاً.

وعند الشيخين عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم إن هذا المال خضر حلو...» فذكر الحديث نحوه إلى أن قال: فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعوه ليعطيه العطاء، فأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي.

وفاته

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: قدم حكيم بن حزام المدينة ونزلها وبنى بها داراً، ومات بها سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله.

١٧ ـ أبو طلحة زيد بن سهل

«لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»

اسمه

أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حزام بن عمرو بن زيد مناة الأنصاري، شهد العقبة مع السبعين وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرماة المذكورين. وله من الولد: عبد الله، وأبو عمير، أمهما أم سليم بنت ملحان.

إسلامه

عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سليم، فقالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا مسلمة، لا تحل لي، فإن تسلم فذلك مهري. فأسلم، فكان ذلك مهرها.

قيل: ما سمعنا بمهر كان قط أكرم من مهر أم سليم الإسلام.

حبه لله ورسوله

عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ إن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة الله، أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي ﷺ: «بخ، بخ، وذاك مال رابح، ذاك مال رابح وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. وأخرجاه في الصحيحين.

مشاهده ومناقبه

وعنه قال: كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله. قال: فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله نحري دون نحرك. (رواه الإمام أحمد).

وعن أنس أيضاً: لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ وأبو طلحة بين يديه مجوّباً عليه بحجفة[1]، وكان رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول الرسول ﷺ: «انثرها لأبي طلحة»، ثم يشرف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت، ولا تشرف لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك.

وروي أيضاً عنه عن النبي ﷺ قال: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة» (رواه الإمام أحمد).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلاً فله سلبه». فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم.

وعنه أن النبي ﷺ لما حلق في حجته بدأ بشقه الأيمن وقال: «هكذا»، فوزعه بين الناس فأصابهم الشعرة والشعرتان وأقل من ذلك وأكثر، ثم قال بشقه الآخر: «هكذا»، فقال: أين أبو طلحة؟ فدفعه إليه.

وعنه أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفر حتى لقي الله.

وعنه أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عاماً.

إطعام أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه

عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها لفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردتني ببعضه ثم

(١) الحجفة: الترس. ومجوباً عليه، أي: يقيه بها.

أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت له فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟»، قال: فقلت: نعم، فقال: «الطعام؟»، فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا»، قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي ما عندك يا أم سليم» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت عليه أم سليم عكة لها فأدمته، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» حتى أكل القوم كلهم وشبعوا؛ والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون، وأخرجه أيضاً البخاري عن أنس بنحوه.

صبر أبي طلحة وأم سليم على فقد ولدهما

أخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت أم سليم رضي الله عنها إلى أبي أنس فقالت: جئت اليوم بما تكره، فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي، قالت: كان أعرابياً اصطفاه الله واختاره وجعله نبيّاً، قال: ما الذي جئت به؟ قالت: حرمت الخمر، قال: هذا فراق بيني وبينك. فمات مشركاً. وجاء أبو طلحة رضي الله عنه إلى أم سليم قالت: لم أكن أتزوجك وأنت مشرك، قال: لا والله ما هذا دهرك[1]، قالت: فما دهري؟ قال: دهرك في الصفراء والبيضاء[2]، قالت: فإني أشهدك وأشهد نبي الله ﷺ أنك إن أسلمت فقد رضيت بالإسلام منك، قال: فمن لي بهذا؟ قالت: يا أنس قم فانطلق مع عمك، فقام فوضع يده على عاتقي، فانطلقنا حتى إذا كنا قريباً من نبي الله ﷺ فسمع كلامنا، فقال: «هذا أبو طلحة بين عينيه عزة الإسلام» فسلّم على نبي الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فزوجه رسول الله ﷺ على الإسلام، فولدت له غلاماً، ثم إن الغلام درج وأعجب به أبوه فقبضه الله تبارك وتعالى، فجاء أبو طلحة فقال: ما فعل ابني يا أم سليم؟ قالت: خير ما كان، فقالت: ألا تتغدى قد أخرت غداءك اليوم؟ قالت: فقدمت إليه غداءه فقلت: يا أبا طلحة عارية استعارها قوم وكانت العارية عندهم ما قضى الله، وإن أهل العارية أرسلوا إلى عاريتهم فقبضوها، ألهم أن يجزعوا؟ قال: لا، قالت: فإن ابنك قد فارق الدنيا، قال: فأين هو؟ قالت: ها هو ذا في المخدع، فدخل فكشف عنه واسترجع، فذهب إلى رسول

---

(١) دهرك: أي همك وغايتك.

(٢) الصفراء والبيضاء يراد بهما الذهب والفضة.

الله ﷺ فحدثه بقول أم سليم فقال: «والذي بعثني بالحق لقد قذف الله تبارك وتعالى في رحمها ذكراً لصبرها على ولدها»، قال: فوضعته، فقال نبي الله ﷺ: «اذهب يا أنس إلى أمك فقل لها: إذا قطعت سرر ابنك فلا تذيقيه شيئاً حتى ترسلي به إليّ»، قال: فوضعته على ذراعي حتى أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه، فقال: «ائتني بثلاث تمرات عجوة» قال: فجئت بهن فقذف نواهن، ثم قذفه في فيه فلاكه، ثم فتح فاه الغلام فجعله في فيه، فجعل يتلمظ فقال: «أنصاري يحب التمر»، فقال: «اذهب إلى أمك فقل: بارك الله لك فيه وجعله براً تقياً».

وعند البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أتى أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «أعرستم الليلة؟» قال: نعم، قال: «اللهم بارك لهما». فولدت غلاماً، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: «أمعه شيء؟» قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي وحنكه به وسماه عبد الله. وفي رواية أخرى عنده فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لهما في ليلتهما» قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

وفاته

وعنه أن أبا طلحة غزا البحر فمات، فلم يوجد له زيرة، يدفن فيها سبعة أيام فلم يتغير.

قال الواقدي: أهل البصرة يرون أنه دفن في جزيرة وإنما دفن بالمدينة سنة أربع وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان.

قال ابن الجوزي: وما روينا عن أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا والله أعلم.

١٨ ـ خالد بن الوليد رضي الله عنه

«اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك»

اسمه

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، القرشي، المخزومي، سيف الله، أبو سليمان.

أمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ.

وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، ووهم من زعم أنه أسلم سنة خمس.

إسلامه

عن عمرو بن العاص قال: خرجت عامداً لرسول الله ﷺ فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين تريد يا أبا سليمان؟ قال: أذهب والله أسلم، فحتى متى؟ قلت: وما جئت إلا لأسلم، فقدمنا جميعاً، فتقدم خالد فأسلم وبايع ثم دنوت فبايعته ﷺ ثم انصرفت.

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حب الإسلام، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء وأن محمداً سيظهر. ودافعته قريش بالراح يوم الحديبية فقلت: أين المذهب؟ وقلت: أخرج إلى هرقل، ثم قلت أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعاً لها مع عيب ذلك عليَّ، ودخل رسول الله ﷺ مكة عام القضية، فتغيبت، فكتب إليّ أخي:

«لم أر أعجب من ذهاب رائك عن الإسلام، وعقلك عقلك، ومثل الإسلام يجهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به. فقال: ما مثل خالد جهل الإسلام فاستدرك يا أخي ما فاتك».

فلما أتاني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرتني مقالة النبي ﷺ فأرى في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلد أخضر واسع، فقلت: إن هذه لرؤيا، فذكرتها بعد لأبي بكر، فقال: هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام، والضيق الشرك. فأجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ، وطلبت مَنْ أُصاحبُ، فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة، وخرجنا جميعاً فأدلجنا سحراً.

فلما كنا بالهدة إذا عمرو بن العاص، فقال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك. فقال: أين مسيركم؟ فأخبرناه، وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي ﷺ، فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان. فلما طلعت على رسول الله ﷺ سلمت عليه بالنبوة فرد عليّ السلام بوجه طلق فأسلمت. فقال رسول الله ﷺ: «وقد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسْلِمك إلا إلى خير».

وبايعت رسول الله ﷺ وقلت: استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله، فقال: «إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله»، قلت: يا رسول الله عليّ ذلك[١]، قال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع[٢] فيه من صد عن سبيلك».

وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما. فوالله ما كان رسول الله ﷺ من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يحزبه.

خالد مع النبي ﷺ

عن أبي هريرة قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً فجعل الناس يمرون فيقول رسول الله ﷺ: «من هذا؟»، فأقول: فلان، حتى مرّ خالد فقال: «من هذا؟» قلت: خالد بن الوليد، فقال: «نعم عبد الله، هذا سيف من سيوف الله».

وعن عمرو بن أبي سلمة أن النبي ﷺ بعث خالداً إلى أكيدر دومة فأخذوه فأتوا به فحقن له دمه وصالحه على الجزية، وأرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاء عظيماً ثم ولاّه حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً وفتح دمشق.

وروي أن خالد بن الوليد فقد قلنسوته يوم اليرموك، فقال: اطلبوها، فلم يجدوها، فلم يزل حتى وجدوها، فإذا هي خلفه، فسئل عن ذلك، فقال: اعتمر النبي ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا تبين لي النصر.

وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة فأبلى فيها، وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى، وكان بيتاً عظيماً لقريش وكنانة مضر بنخلة فهدمها وجعل يقول: كفرانك اليوم ولا سبحانك، إني رأيت الله قد أهانك.

عن أبي أمامة بن سهل: أن ابن عباس أخبره أن خالد بن الوليد الذي كان يقال له سيف الله أخبره أنه دخل على خالته ميمونة مع رسول الله ﷺ فوجد عندها ضباً محنوذاً قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فقدمته لرسول الله ﷺ فرفع يده، فقال خالد: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: «لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»، فأخذته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر ولم ينه.

عن أبي العالية: أن خالد بن الوليد قال: يا رسول الله، إن كائداً من الجن يكيدني، قال: «قل أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، ومن شر ما يعرج في السماء وما ينزل منها، ومن شر كل

(١) على ذلك: زدني على ذلك دعاء منك.
(٢) أوضع: أعان من صد عن سبيل الله، وأسرع في نصرته.

طارق يطرق بخير يا رحمٰن». ففعلت، فأذهب الله عني.

قصة خالد بن الوليد مع بني جذيمة

أخرج ابن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه حين افتتح مكة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب وسليم بن منصور ومدلج بن مرة، فوطؤوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخلوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا. فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد». ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك». فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدي ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أصنع هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل. ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: «أصبت وأحسنت». ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ثلاث مرات.

سرية خالد بن الوليد إلى العزى

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزىّ[(١)] ليهدمها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال لا، قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها». فرجع خالد وهو متغيظ، فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس[(٢)]، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها اثنين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «نعم، تلك العزى، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبداً». وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها[(٣)] بنو شيبان من بني سليم.

---

(١) العزى: صنم لقريش وبني كنانة.

(٢) ثائرة الرأس: منتشرة شعر الرأس.

(٣) السدنة: القائمون على خدمتها ورعايتها.

مسير خالد بن الوليد إلى أهل الردة

روى الإمام أحمد من طريق وحشي بن حرب، أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم عبد الله وأخو العشيرة، خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله، سله الله على الكفار والمنافقين».

ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق، واعده أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء ـ وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب ـ وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي، ثم يذهب بعده إلى بني تميم، وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان، وبعث إلى بني جديلة والغوث وطيء يستدعيهم إليه، فبعثوا أقواماً منهم بين أيديهم ليلحقوهم على أثرهم سريعاً.

وكان الصديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم. فذهب عدي إلى قومه بني طيء فأمرهم أن يبايعوا الصديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل أبداً ـ يعنون أبا بكر رضي الله عنه ـ فقال: والله ليأتينكم جيش فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يفتل لهم في الذروة والغارب حتى لانوا.

وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن طليعة، فتلقاهما طليحة وأخوه سلمة فيمن معهما، فلما وجدا ثابتاً وعكاشة تبارزوا فقتل عكاشة جبال بن طليحة، وقيل: بل كان قتل جبالاً قبل ذلك وأخذ ما معه، وحمل عليه طليحة فقتله. وقتل هو وأخوه سلمة وثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين فشق ذلك على المسلمين، وقد قال طليحة في ذلك:

عَشِيةَ غَادرتُ ابنَ أَقرَمَ ثاوياً ... وعكاشة الغنمي تحت مجال
أقمت له صدر الحمالة إنها ... معودة قبل الكماة[1] نزال
فيوم تراها في الجلال مصونة ... ويوم تراها في ظلال عوالي
وإن يك أولاد أصبن ونسوة ... فلم يذهبوا فرغاً بقتل جبال

ومال خالد إلى بني طيء، فخرج إليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إليّ من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار. فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق،

(١) الكماة: جمع كمي، وهو الفارس المغوار.

فانضافوا إلى جيش خالد وقصد خالد بني أديلة فقال له: يا خالد، أجلني أياماً حتى آتيهم فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئاً. فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء خالداً بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه رضي الله عنه، قالوا: ثم سار خالد حتى نزل بأجأ وسلمى، وعبى جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له بزاخة، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن التف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عيينة بن حصن في سبعمائة من قومه، بني فزارة، واصطف الناس.

وجلس طليحة ملتفاً في كساء له يتنبأ لهم ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عيينة يقاتل ما يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول: أجاءك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحاً كرحاه، وحديثاً لا تنساه، قال: يقول عيينة: أظن أن قد علم الله، سيكون لك حديث لا تنساه.

ثم قال: يا بني فزارة انصرفوا، وانهزم وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه، فلما أوقع الله بطليحة وفزارة ما أوقع، قالت بنو عامر وسليم وهوازن: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله، ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا.

قال ابن كثير: وقد كان طليحة الأسدي ارتد في حياة النبي ﷺ، فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن، وارتد عن الإسلام وقال لقومه: والله لنبي من بني أسد أحب إليّ من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك، فلما كسرهما خالد هرب طليحة بامرأته إلى الشام فنزل على بني كلب وأسر خالد عيينة بن حصن، وبعث به إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك فجعل الولدان والغلمان يطعنونه بأيديهم، ويقولون: أي عدو الله، ارتددت عن الإسلام؟ فيقول: والله ما كنت آمنت قط. فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقن دمه، ثم حسن إسلامه بعد ذلك، وكذلك مَنَّ على قرة بن هبيرة، وكان أحد الأمراء، مع طليحة، فأسره مع عيينة.

وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك أيضاً، وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق، واستحيى أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد، أن استشره في الحرب ولا تؤمره ـ يعني معاملته له بنقيض ما كان

قصده من الرياسة في الباطن ـ وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي، فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصرد والصوام، قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام. إلى غير ذلك من الخرافات والهذيانات السمجة.

وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره فكتب إليه: ليزدك ما أنعم الله به خيراً، واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جد في أمرك ولا تلن ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به، ومن أخذت ممن حاد الله أو ضاده ممن يرى أن في ذلك صلاحاً فاقتله.

فأقام خالد ببزاخة شهراً، يصعد فيها ويصوب ويرجع إليها في طلب الذين وصاه بسببهم الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهراً يأخذه بثأر من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من حرقه بالنار، ومنهم من رضخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب، رضي الله عنهم.

وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما قدم وفد بزاخة ـ أسد وغطفان ـ على أبي بكر يسألونه الصلح، خيرهم أبو بكر بين حرب مجلية أو حطة مخزية، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الحطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكراع وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة نبيه والمؤمنين أمراً يعذرونكم به، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا نؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وأن قتلاكم في النار، وتدون قتلانا ولا ندي قتلاكم، فقال عمر: أما قولك: تدون قتلانا، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله لا ديات لهم، فامتنع عمر وقال عمر في الثاني: نعم ما رأيت.

ورواه البخاري من حديث الثوري بسنده مختصراً.

خالد مع أم زمل

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلال يوم بزاخة من أصحاب طليحة، من بني غطفان، فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زمل ـ سلمى بنت مالك بن حذيفة ـ وكانت من سيدات العرب كأمها أم قرفة، وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها وعزة قبيلتها وبيتها، فلما اجتمعوا إليها زمرتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وناشب إليهم آخرون من بني سليم وطيء وهوازن وأسد، فصاروا جيشاً كثيفاً وتفحل أمر هذه المرأة،

فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالاً شديداً وهي راكبة على جمل أمها الذي كان يقال له: من يمس جملها فله مائة من الإبل، وذلك لعزها. فهزمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق رضي الله عنه.

خبر مالك بن نويرة اليربوعي التميمي

كان قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة لعنهما الله، ثم ترحلت إلى بلادها ـ فلما كان ذلك ـ ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له البطاح، فقصدها خالد بجنوده، وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به الصديق، فقال لهم خالد: إن هذا الأمر لا بد من فعله، وفرصة لا بد من انتهازها، وإنه لم يأتني فيها كتاب، وأنا الأمير وإليّ ترد الأخبار، ولست بالذي أجبركم على المسير، وأنا قاصد البطاح. فسار يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به.

فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نويرة، فبث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة فإنه متحير في أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة ـ الحرث بن ربعي الأنصاري ـ أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا، فيقال: إن الأسارى باتوا في كبولهم في ليلة شديدة البرد، فنادى منادي خالد: أن أدفئوا أسراكم. فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوهم، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة، فلما سمع الداعية خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

واصطفى خالد امرأة مالك بن نويرة وهي أم تميم ابنة المنهال، وكانت جميلة، فلما حلت بنى بها، ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأنبه على ما صدر منه من متابعة سجاح، وعلى منعه الزكاة وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه، وأمر برأسه فجعل مع حجرين وطبخ على الثلاثة قدراً، فأكل منها خالد تلك الليلة ليرهب بذلك الأعراب من المرتدة وغيرهم، ويقال: إن شعر مالك جعلت النار تعمل فيه إلى أن نضج لحم القدر ولم تفرغ الشعر لكثرته، وقد تكلم أبو قتادة مع خالد فيما صنع وتقاولا في ذلك حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر مع أبي قتادة في خالد، وقال للصديق: اعزله فإن في سيفه رهقاً، فقال أبو بكر لا أشيم[(١)] سيفاً سلّه الله على الكفار.

---

(١) أشيم: أغمد.

وجاء متمم بن نويرة فجعل يشكو إلى الصديق خالداً، وعمر يساعده وينشد الصديق ما قال في أخيه من المراثي، فوداه الصديق من عنده. ومن قول متمم في ذلك:

وكنا كندماني جذيمة برهة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير ما حيينا وقبلنا ... أباد المنايا قوم كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أيضاً:

لقد لامني عند العبور على البكى ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال: أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له: إن الأسى يبعث الأسى ... فدعني فهذا كله قبر مالك

والمقصود أنه لم يزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرض الصديق ويذمره على عزل خالد عن الإمرة ويقول: إن في سيفه لرهقاً، حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة، وقد لبس درعه التي من حديد، وقد صدىء من كثرة الدماء، وغرز في عمامته النشاب المضمخ بالدماء. فلما دخل المسجد قام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهم من عمامة خالد فحطمها، وقال: أرياء قتلت أمرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته؟ والله لأرجمنك بالجنادل. وخالد لا يكلمه، ولا يظن إلا أن رأى الصديق فيه كرأي عمر، حتى دخل على أبي بكر فاعتذر إليه فعذره وتجاوز عنه ما كان منه في ذلك وودى[١] مالك بن نويرة، فخرج من عنده وعمر جالس في المسجد، فقال خالد: هلم إليّ يا ابن أم شملة، فلم يرد عليه وعرف أن الصديق قد رضي عنه.

واستمر أبو بكر بخالد على الإمرة، وإن كان قد اجتهد في قتل مالك بن نويرة وأخطأ في قتله، كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى ابني جذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا: صبأنا صبأنا[٢]، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فوداهم رسول الله ﷺ حتى رد إليهم ميلغة الكلب، ورفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، ومع هذا لم يعزل خالداً عن الإمرة.

مقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله

لما رضي الصديق عن خالد بن الوليد وعذره بما اعتذر به، بعثه إلى قتال بني حنيفة باليمامة، وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد من المرتدين إلا نكل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سَجاح فشردهم

(١) ودى: دفع ديته.
(٢) صبأنا: أي أنهم على دين الصابئة.

وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصديق خالداً بسرية لتكون ردءاً له من ورائه وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حنيفة، لأنهم نحو أربعين ألفاً من المقاتلة، فجعل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل فناجزهم فنكب، فانتظر خالداً، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عقربا في طرف اليمامة والريف وراء ظهورهم وندب الناس وحثهم.

فحشد له أهل اليمامة، وجعل على مجنبتي جيشه المحكم بن الطفيل، والرّجال عنفوة بن نهشل، وكان الرجال هذا صديقه الذي شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب في الأمر، وكان هذا الملعون من أكبر ما أضلّ أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، لعنهما الله، وقد كان الرجال هذا قد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ البقرة، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة.

قال سيف بن عمر عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يوماً عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال بن عنفوة، فقال: إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد، فهلك القوم وبقيت أنا والرّجال وكنت متخوفاً لها، حتى خرج الرّجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرّجال أعظم من فتنة مسيلمة.

وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيداً وأبا حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين، وقيل ستين فارساً، عليهم مجاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر، وهو راجع إلى قومه، فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصدقهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم، سوى مجاعة فإنه استبقاه مقيداً عنده؛ لعلمه بالحرب والمكيدة ـ وكان سيداً في بني حنيفة، شريفاً مطاعاً، ويقال: إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي، فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية، فقال له: أيها الرجل إن كنت تريد عداً بعدول هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل ـ يعني مجاعة بن مرارة ـ فاستبقاه خالد مقيداً، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصي به خيراً. فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم.

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو

حنيفة خيمة خالد بن الوليد وهموا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجاعة وقال: نعمت الحرة هذه، وقد قتل الرحال بن عنفوة لعنه الله في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: اخلصنا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمي البراء بن معرور ـ وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء ظهر الرحال حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد، وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله.

وجعلت الصحابة يتواصلون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً، وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً، وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي. فقتل شهيداً رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه، وحمل ابن الوليد حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين ـ وكان شعارهم يومئذ يا محمداه ـ وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله. ودارت رحى المسلمين، ثم اقترب من مسيلمة، فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق، فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئاً، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانصرف عنه خالد وقد ميز خالد المهاجرين من الأنصار من الأعراب وكل بني أب على رايتهم، يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون.

وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولى الكفار الأدبار، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاؤوا، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت، وقد أشار عليهم محكم اليمامة ـ وهو محكم بن الطفيل لعنه الله ـ بدخولها، فدخلوها، وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقة عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف، ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل

اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلمة جدار أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم ـ قاتل حمزة ـ فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وأمير الوضاءة قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفاً من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم.

وخرج خالد وتبعه مجاعة بن مرارة يوسف في قيوده، فجعل يريه القتلى ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرجال بن عنفوة قال له خالد: أهذا هو؟ قال: لا، والله هذا خير منه، هذا الرجال بن عنفوة.

قال سيف بن عمر: ثم مروا برجل أصفر أخنس، فقال: هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا. ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالاً ومقاتلة فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجاعة، فانتظر الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقين إلى الصديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد ابن الحنفية رضي الله عنه.

ولما قدمت وفود بني حنيفة على الصديق قال لهم: أسمعونا شيئاً من قرآن مسيلمة، فقالوا: أو تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا بد من ذلك، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين تنقين لَكَمْ تنقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء، وذنبك في الطين، وكان يقول: والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، اللاقمات لقماً، وإهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه والمعتر فآووه والناعي فواسوه، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج من إل ـ أي: من عقل صحيح ـ؛ وكان يقول: والفيل وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، وكان يقول: والليل الدامس، والذئب

الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس، وتقدم قوله: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميج.

بعث خالد بن الوليد إلى العراق

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأبلة، ويأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحداً على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه. وأمره أن يستصحب كل امرىء مر به من المسلمين. وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه.

ونزل خالد الحيرة، فخرج إليه أشرافها، مع قبيصة بن إياس بن حيَّة الطاشي، وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم.

فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فقال لهم خالد: تباً لكم إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق العرب من سلكها. فلقيه رجلان أحدهما عربي والآخر أعجمي فتركه واستدل بالعجمي، ثم صالحهم على تسعين ألفاً، وفي رواية مائتي ألف درهم، فكانت أول جزية أخذت من العراق وحملت إلى المدينة هي والقريات قبلها التي صالح عليها ابن صلوبا.

وعن صالح بن كيسان: أن خالداً نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حيّة الطائي ـ وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ـ فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وتقروا بأحكام المسلمين، على أنّ لكم مثل ما لهم وعليكم مثل ما عليهم، فقال هانىء: وإن لم أشأ فمه؟ قال: فإن أبيتم ذلك أديتم الجزية عن يد، قال: فإن أبينا ذلك؟ قال: فإن أبيتم ذلك وطئتكم بقوم الموت أحب إليهم من الحياة إليكم، فقال هانىء: أجّلنا ليلتنا هذه فننظر في أمرنا، قال: قد فعلت. فلما أصبح القوم غدا هانىء فقال: إنه قد أجمع أمرنا على أن نؤدي الجزية، فهلم فلأصالحك.

قال ابن كثير: وقد كان مع نائب كسرى على الحيرة ممن وفد إلى خالد عمرو بن

عبد المسيح بن حبان بن بقيلة وكان من نصارى العرب، فقال له خالد: من أين أثرك؟ قال: من ظهر أبي، قال: ومن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: ويحك على أي شيء أنت؟ قال: على الأرض، قال: ويحك، وفي أي شيء أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ويحك تعقل؟ قال: نعم وأقيد، قال: إنما أسألك، قال: وأنا أجيبك، قال: أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم، قال: فما هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى يجيء الحليم فينهاه. ثم دعاهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، فأجابوا إلى الجزية بتسعين أو مائتي ألف.

ثم بعث خالد بن الوليد كتاباً إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازبته ووزرائه: «من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فالحمد لله الذي فض خدمكم وسلب ملككم ووهن كيدكم، وإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا، أما بعد فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهن واعتقدوا مني الذمة، وإلاّ فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة». فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون.

وقعة ذات السلاسل

وقال سيف بن عمر عن طليحة الأعلم عن المغيرة بن عيينة ـ وكان قاضي أهل الكوفة ـ قال: فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدي بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد ـ يعني في آخرهم ودليله رافع فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به، ويصادموا عدوهم وكان فرج الهند أعظم فروج فارس بأساً وأشدها شوكة، وكان صاحبه يحارب في البر والبحر وهو هرمز، فكتب إليه خالد فبعث هرمز بكتاب خالد إلى شيرى بن كسرى، وأردشير بن شيرى، وجمع هرمز، وهو نائب كسرى جموعاً كثيرة وسار بهم إلى كاظمة، وعلى مجنبتيه قباذ وأنوشجان ـ وهما من بيت الملك ـ وقد تفرق الجيش في السلاسل لئلا يفروا.

وكان هرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدهم كفراً، وكان شريفاً في الفرس، وكان الرجل كلما ازداد شرفاً زاد في حليته، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد بمن معه من الجيش وهم ثمانية عشر ألفاً فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك، فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل لأصبر الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى ثار لهم غدران من ماء. فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحاً شديداً، فلما تواجه الصفان وتقاتل الفريقان، ترجل هرمز ودعا إلى النزال، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفوا

ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغله عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب أكتافهم إلى الليل واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لكثرة من سلسل بها من فرسان وقر فارس، وأفلت قباذ وأنوشجان.

ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم، وبعث بالفتح والبشارة والخمس مع زر بن كليب إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعلن يقلن أمن خلق الله هذا أم شيء مصنوع؟ فرده الصديق مع زر، وبعث أبو بكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنفله سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجوهر وبعث خالد الأمراء يميناً وشمالاً يحاصرون حصوناً هنالك ففتحوها عنوة وصلحاً، وأخذوا منها أموالاً جمة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين ـ من لم يقاتل منهم ـ ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس.

الخورنق والسدير

ثم سار خالد، فنزل الخورنق والسدير بالنجف وبث سراياه ها هنا وها هنا، يحاصرون الحصون من الحيرة ويستنزلون أهلها قسراً وقهراً، وصلحاً ويسراً، وكان في جملة ما نزل بالصلح قوم من نصارى العرب فيهم ابن بقيلة، وكتب لأهل الحيرة كتاب أمان، فكان الذي راوده عليه عمرو بن عبد المسيح بن نقيلة ووجد خالد معه كيساً، فقال: ما في هذا؟ ـ وفتحه خالد فوجد فيه شيئاً ـ فقال ابن بقيلة: هو سم ساعة، فقال: ولم استصحبته معك؟ فقال: حتى إذا رأيت مكروهاً في قومي أكلته فالموت أحب إليّ من ذلك.

فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمٰن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه فبادرهم فابتلعه، فلما رأى ذلك ابن بقيلة قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالاً من هذا، ثم دعاهم وسألوا خالداً الصلح فصالحهم وكتب لهم كتاباً بالصلح، وأخذ منهم أربعمائة ألف درهم عاجلة، ولم يكن صالحهم حتى سلموا كرامة بنت عبد المسيح إلى رجل من الصحابة يقال له شويل، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كأن شرفها أنياب الكلاب فقال له: يا رسول الله هب لي ابنة بقيلة، فقال: هي لك، فلما فتحت ادعاها شويل وشهد له اثنان من الصحابة، فامتنعوا من تسليمها إليه وقالوا: ما تريد إلى امرأة ابنة ثمانين سنة؟ فقالت لقومها: ادفعوني إليه فإني سأفتدي منه، وإنه قد رآني وأنا شابة، فسلمت إليه، فلما خلا بها قالت: ما تريد إلى امرأة بنت ثمانين سنة؟ وأنا أفتدي منكم فاحكم بما أردت، فقال:

والله لا أفديك بأقل من عشر مائة. فاستكثرتها خديعة منها، ثم أتت قومها فأحضروا له ألف درهم، ولامه الناس وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة؟ وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمراً وأراد الله غيره، وإنا نحكم بظاهر قولك ونيتك عند الله، كاذباً أنت أم صادقاً.

وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن الشعبي: لما افتتح خالد الحيرة صلى ثماني ركعات بتسليمة واحدة.

ثم جاء ابن صلوبا فصالح خالداً على بانقيا وبسما وما حول ذلك على عشرة آلاف دينار، وجاءه دهاقين تلك البلاد فصالحوه على بلدانهم وأهاليهم كما صالح أهل الحيرة، واتفق في تلك الأيام التي كان قد تمكن بأطراف العراق واستحوذ على الحيرة وتلك البلدان وأوقع بأهل أليس والثنى وما بعدها بفارس ومن ناشب معهم ما أوقع من القتل الفظيع في فرسانهم، أن عدت فارس على ملكهم الأكبر أردشير وابنه شيرين فقتلوهما وقتلوا كل من ينسب إليهما، وبقيت الفرس حائرين فيمن يولوه أمرهم واختلفوا فيما بينهم، غير أنهم قد جهزوا جيوشاً تكون حائلة بين خالد وبين المدائن التي فيها إيوان كسرى وسرير مملكته، فحينئذ كتب خالد إلى من هنالك من المرازبة والأمراء والدولة يدعوهم إلى الله وإلى الدخول إلى دين الإسلام ليثبت ملكهم عليهم، وإلا فليدفعوا الجزية وإلا فليعلموا وليستعدوا لقدومه عليهم بقوم يحبون الموت كما يحبون الحياة، فجعلوا يعجبون من جرأة خالد وشجاعته ويسخرون من ذلك لحماقتهم ورعونتهم في أنفسهم، وقد أقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة سنة يتردد في بلاد فارس ها هنا وها هنا، يوقع بأهلها من البأس الشديد، والسطوة الباهرة، ما يبهر الأبصار لمن شاهد ذلك ويشنف أسماع من بلغه ذلك ويحير العقول لمن تدبره.

فتح خالد للأنبار وتسمى هذه الوقعة ذات العيون

ركب خالد في جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له شيرزاذ، فأحاط بها خالد وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم واجتمع معهم أهل أرضهم، فمانعوا خالداً أن يصل إلى الخندق فضرب معهم رأساً ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات العيون.

فراسل شيرزاذ خالداً في الصلح، فاشترط خالد أموراً امتنع شيرزاذ من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق بها

وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاذ ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفى له خالد بذلك.

وخرج شيرزاذ من الأنبار وتسلمها خالد، فنزلها واطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية، وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إياد، كانوا بها في زمان بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا خالداً قول بعض إياد يمتدح قومه:

قومي إياد لو أنهم أمم ... أو لو أقاموا فتهزل النعم

قوم لهم باحة العراق إذا ... ساروا جميعاً واللوح والقلم

ثم صالح خالد أهل البوازيج وكلواذى، قال: ثم نقض أهل الأنبار ومن حولهم عهدهم لما اضطربت بعض الأحوال، ولم يبق على عهده سوى البوازيج وبانقيا.

وقعة عين التمر

لما استقل خالد بالأنبار استناب عليها الزبرقان بن بدر، وقصد عين التمر وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العرب، وحولهم من الأعراب طوائف من التمر وتغلب وإياد ومن لاقاهم وعليهم ابن أبي عقة. فلما دنا خالد قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالداً، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا أعناكم. فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالداً، وقد ضعفوا ونحن أقوياء. فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم وسار خالد وتلقاه عقة، فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه: احفظوا مكانكم فإني حامل. وأمر حماته أن يكونوا من ورائه وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره وانهزم جيش عقة من غير قتال فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلال نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم أشد الحصار.

فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن، ثم أمر فضربت عنق عقة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضاً أجمعين، وغنم جميع ما في ذلك الحصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم باب فكسره خالد وفرّقهم في الأمراء وأهل الغناء، وكان حمران صار إلى عثمان بن عفان من الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك، وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد بهم وبذراريهم خيراً.

ولما قدم الوليد بن عقبة على الصديق بالخمس رده الصديق إلى عياض بن غنم مدداً له وهو محاصر دومة الجندل، فلما قدم عليه وجده في ناحية من العراق يحاصر قوماً، وهم قد أخذوا عليه الطرق فهو محصور أيضاً، فقال عياض للوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر وهو يستغيث به، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد:

لبث قليلاً تأتك الحلائب[١] ... يحملن آساداً عليها القشائب[٢]

كتائب تتبعها كتائب

خبر دومة الجندل

لما فرغ خالد من عين التمر قصد إلى دومة الجندل، واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي. فلما سمع أهل دومة الجندل بمسيره إليهم، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وتنوخ وكلب وغسان والضجاعم، فأقبلوا إليهم وعلى غسان وتنوخ ابن الأيهم، وعلى الضجاعم ابن الحدرجان وجماع الناس بدومة إلى رجلين أكيدر بن عبد الملك، والجودي بن ربيعة، فاختلفا فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائراً منه في حرب ولا يرى وجه خالد قوم أبداً، قلو أم كثروا، إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم. فأبوا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرب خالد، وفارقهم. فبعث إليه خالد عاصم بن عمرو فعارضه فأخذه، فلما أتى به خالداً أمر، فضربت عنقه وأخذ ما كان معه، ثم تواجه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة، وكل قبيلة مع أميرها من الأعراب.

وجعل خالد دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم، وافترق جيش الأعراب فرقتين، فرقة نحو خالد، وفرقة نحو عياض، وحمل خالد على من قبله، وحمل عياض على أولئك، فأسر خالد الجودي، وأسر الأقرع بن حابس وديعة، وفرت الأعراب إلى الحصن فملؤوه وبقي منهم خلق ضاق عنهم، فعطفت بنو تميم على من هو خارج الحصن فأعطوهم ميرة فنجا بعضهم، وجاء خالد فضرب أعناق من وجده خارج الحصن، وأمر بضرب عنق الجودي ومن كان معه من الأسارى، إلا أسارى بني كلب، فإن عاصم بن عمرو والأقرع بن حابس، وبني تميم أجاروهم، فقال لهم خالد: ما لي وما لكم أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: أتحسدونهم العافية وتحوذونهم الشيطان.

(١) الحلائب: ما يحمل عليه من الدواب.
(٢) القشائب: الدروع والأسلحة الجديدة.

ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة، وسبوا الذراري فبايعوهم بينهم فيمن يزيد واشترى خالد يومئذ ابنة الجودي، وكانت موصوفة بالجمال، وأقام بدومة الجندل ورد الأقرع إلى الأنبار، ثم رجع خالد إلى الحيرة، فتلقاه أهلها من أهل الأرض بالتقليس فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه: مر بنا فهذا فرح الشر.

خبر وقعتي الحصيد والمضيح

قال سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا: وكان خالد أقام بدومة الجندل فظن الأعاجم به وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبرقان، وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد وبعث عروة بن أبي الجعد البارقي وأمره بالخنافس، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاع بن عمرو أميراً على الناس، فالتقوا بمكان يقال له الحصيد، وعلى العجم رجل منهم يقال له روزبه، وأمده أمير آخر يقال له زرمهر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهزم المشركون فقتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً، وقتل القعقاع بيده زرمهر، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبد الله الضبي روزبه، وغنم المسلمون شيئاً كثيراً، وهرب من هرب من العجم، فلجأوا إلى مكان يقال له خنافس، فسار إليهم أبو ليلى بن فدكي السعدي، فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المضيح، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعراب قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود، وقسم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنامهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شبهوا إلا بغنم مصرعة.

وقد روى ابن جرير عن عدي بن حاتم قال: انتهينا في هذه الغارة إلى رجل يقال له حرقوص بن النعمان النمري، وحوله بنوه وبناته وامرأته، وقد وضع لهم جفنة من خمر، وهم يقولون: أحد يشرب هذه الساعة وهذه جيوش خالد قد أقبلت؟ فقال لهم: اشربوا شرب وداع فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها. فشربوا، وجعل يقول:

ألا يا اسقياني قبل نائرة الفجر ... لعل منايانا قريب ولا ندري

قال: فهجم الناس عليه، فضرب رجل رأسه فإذا هو في جفنته، وأخذت بنوه وبناته وامرأته، وقد قتل في هذه المعركة رجلان كانا قد أسلما ومعهما كتاب من الصديق بالأمان ولم يعلم بذلك المسلمون، وهما عبد العزى بن أبي رهم بن قرواش، قتله جرير بن عبد الله البجلي، والآخر لبيد بن جرير، قتله بعض المسلمين. فلما بلغ خبرهما

الصديق وداهما، وبعث بالوصاة بأولادهما، وتكلم عمر بن الخطاب في خالد بسببهما، كما تكلم فيه بسبب مالك بن نويرة، فقال له الصديق: كذلك يلقى من يساكن أهل الحرب في ديارهم، أي الذنب لهما في مجاورتهما المشركين، وهذا كما في الحديث: «أنا بريء من كل من ساكن المشرك في داره»، وفي الحديث الآخر: «لا ترى نارهما» أي لا يجتمع المسلمون والمشركون في محلة واحدة.

وقعة الفراض

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى وقعة الفراض، وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء. ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعاً كثيرة، واستمدوا تغلب وإياد والتمر، ثم ناهدوا خالداً فحالت الفرات بينهم، فقالت الروم لخالد: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم. فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة، فاقتتلوا هنالك قتالاً عظيماً بليغاً، ثم هزم الله جموع الروم وتمكن المسلمون من اقتفائهم، فقتل في هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرة أيام ثم أذن بالقفول إلى الحيرة، لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة وأظهر خالد أنه يسير في الساقة.

وسار خالد في عدة من أصحابه وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يسلك قبله قط، ويأتي له في ذلك أمر لم يقع لغيره فجعل يسير معتسفاً على غير جادة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة، ولم يعلم أحد بحج خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كان معه، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك أيضاً إلا بعدما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقته الجيش وكانت عقوبته عنده أن صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام، وقال له فيما كتب إليه يقول له: وإن الجموع لم تشج بعون الله شجيك، فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدل بعمل فإن الله له المن وهو ولي الجزاء.

دعوة خالد للأمير الرومي وقصة إسلامه

قال الواقدي: خرج جرجة[1] ـ أحد الأمراء من الصف ـ أي يوم اليرموك ـ واستدعى خالد بن الوليد، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا

(١) جرجة: اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك.

هزمتهم؟ قال: لا، قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: «أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين»، فقال جرجة: يا خالد إلام تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم، قال: فإن لم يعطها؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله، قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا!!.

قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة[1] وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء يخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات؛ وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع؛ وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا، فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك، وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلّى به ركعتين، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام، فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلّى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء وأصيب جرجة رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد.

عزله عن القيادة

عن عبد الله بن عمر قال: قدم أبو قتادة على أبي بكر فأخبره بقتل مالك بن نويرة وأصحابه، فجزع وكتب إلى خالد. فقدم عليه، فقال أبو بكر: هل تزيدون على أن يكون تأوّل فأخطأ؟ ثم رده وودى مالكاً وردّ السبي والمال.

وعن ابن إسحاق قال: دخل خالد على أبي بكر فأخبره واعتذر فعذره.

---

(١) عنوة: أي قهراً، بمعنى: أننا قبلناه مقتنعين به، والمراد بالأمر الإسلام فقد حملنا على اعتناقه بقوة حججه كما يتضح من النص.

عن حنظلة بن علي الأسلمي في حديث الردة: فأوقع بهم خالد وقتل مالكاً ثم أوقع بأهل بزاخة وحرقهم لكونه بلغه عنهم مقالة سيئة، وشتموا النبي ﷺ، ومضى إلى اليمامة فقتل مسيلمة، إلى أن قال: وقدم خالد بالمدينة بالسبي ومعه سبعة عشر من وفد بني حنيفة، فدخل المسجد وعليه قباء عليه صدأ الحديد، متقلداً السيف، في عمامته أسهم، فمر بعمر فلم يكلمه، ودخل على أبي بكر فرأى منه كل ما يحب، وعلم عمر فأمسك. وإنما وجد عمر عليه لقتله مالك بن نويرة وتزوج بامرأته.

عن جويرية ابن أسماء: قال: كان خالد بن الوليد من أمد الناس بصراً، فرأى راكباً وإذا هو قد قدم بموت الصديق وبعزل خالد.

عن عروة بن الزبير قال: شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا ففعلوا مثل ذلك، وشهد آخرون بنفي ذلك فقتلوا. وقدم أخوه متمم بن نويرة ينشد الصديق دمه ويطلب السبي، فكتب إليه برد السبي، وألح عليه عمر في أن يعزل خالداً وقال: إن في سيفه رهقاً، فقال: لا يا عمر، لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين.

وعن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام، وعزل خالد بن الوليد. قال: فقال خالد بن الوليد: بعث عليكم أمين هذه الأمة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله، نعم فتى العشيرة».

ولما عزله عمر بن الخطاب لم يزل مرابطاً بحمص حتى مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائداً فقال: إن خيلي وسلاحي على ما جعلته في سبيل الله عز وجل، وداري بالمدينة صدقة، قد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب، ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتي، وإنفاذ عهدي إلى عمر، فقدم بالوصية على عمر فقبلها وترحم عليه.

سبب عزل عمر خالداً

كان سبب عزل عمر خالداً ما ذكره الزبير بن بكار قال: كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر، أقدم على قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته فكره ذلك أبو بكر وعرض الدية على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد وكان أميراً عند أبي بكر بعثه إلى طليحة فهزم طليحة ومن معه ثم مضى إلى مسيلمة فقتل الله مسيلمة.

قال الزبير: وحدثني محمد بن مسلم عن مالك بن أنس قال عمر لأبي بكر: اكتب إلى خالد لا يعطي شيئاً إلا بأمرك، فكتب إليه بذلك فأجابه خالد: إما أن تدعني وعملي وإلا فشأنك بعملك. فأشار عليه عمر بعزله فقال أبو بكر: فمن يجزي عني جزاء خالد؟

قال عمر: أنا، قال: فأنت، فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر في الدار فمشى أصحاب النبي ﷺ إلى أبي بكر فقالوا: ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج إليه؟ وما لك عزلت خالداً وقد كفاك؟ قال: فما أصنع؟ قالوا: تعزم على عمر فيقيم، وتكتب إلى خالد فيقيم على عمله. ففعل، فلما قبل عمر كتب إلى خالد أن لا تعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمري. فكتب إليه خالد بمثل ما كتب إلى أبي بكر، فقال عمر: ما صدقت الله إن كنت أشرت على أبي بكر بأمر فلم أنفذه فعزله، ثم كان يدعوه إلى أن يعمل فيأبى إلا أن يخليه يفعل ما شاء فيأبى عمر.

كان عمر لا يخفى عليه شيء من عمله، وإن خالداً أجاز الأشعث بعشرة آلاف، فدعا البريد وكتب إلى أبي عبيدة أن تقيم خالداً وتعقله بعمامته وتنزع قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث؟ أمن مال الله أم من ماله؟ فإن زعم أنه من إصابة أصابها فقد أقر بخيانته، وإن زعم أنه من ماله فقد أسرف، واعزله على كل حال واضمم إليك عمله. ففعل ذلك، فقدم خالد على عمر فشكاه وقال: لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله يا عمر إنك في أمري غير مجمل، فقال عمر: من أين هذا الثراء؟ قال: من الأنفال والسهمان، ما زاد على الستين ألفاً فلك تقوم عروضه، قال: فخرجت عليه عشرون ألفاً فأدخلها بيت المال، ثم قال: يا خالد، والله إنك كريم عليّ وإنك لحبيب إليّ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء.

خالد لما حضرته الوفاة

عن أبي وائل قال: لما حضرت خالداً الوفاة قال: لقد طلبت القتل من مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي. وما من عملي شيء أرجى عندي بعد التوحيد من ليلة بتها وأنا متترس، والسماء تهلني ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار. ثم قال: إذا مت فانظروا إلى سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله.

فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله: ما على آل الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة.

النقع: التراب على الرؤوس، واللقلقة: الصراخ.

ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة، قال: لقد شاهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء.

وتوفي خالد بن الوليد بحمص، وقيل: بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين، وقيل: بل توفي بحمص ودفن بقرية على ميل من حمص سنة إحدى وعشرين أو اثنين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب.

قال الزبير: ولما حضرت خالداً الوفاة أوصى إلى عمر فتولى عمر وصيته وسمع راجزاً يذكر خالداً، فقال: رحم الله خالداً، فقال له طلحة بن عبيد الله:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال عمر: ما عتبت على خالد إلا في تقدمه وما كان يصنع في المال.

١٩ ـ عمرو بن العاص

«قد رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها»

اسمه

عمرو بن العاص بن وائل، أبو شداد بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي، السهمي، يكنى أبا عبد الله، ويقال: أبو محمد.

وأمه النابغة بنت حرملة، سبيت من بني جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

وأخوه لأمه عمرو بن أثاثة العدوي كان من مهاجرة الحبشة، وعقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط من بني الحارث بن فهر، وزينب بنت عفيف بن أبي العاص، أم هؤلاء وأم عمرو واحدة، وهي بنت حرملة سبيت من عنزة.

وذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر، فسأله فقال: أمي سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بني عنزة، ثم أحد بني جلان، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت له فأنجبت، فإن جعل لك شيء فخذه.

إسلامه

قيل: إن عمرو بن العاص أسلم سنة ثمان قبل الفتح، وقدم وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة مسلمين، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ نظر إليهم وقال: «قد رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها»، وكان قدومهم على رسول الله ﷺ مهاجرين بين الحديبية وخيبر.

وقيل: إنه لم يأت من أرض الحبشة إلا معتقداً للإسلام، وذلك أن النجاشي كان قال له: يا عمرو، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك، فوالله إنه لرسول الله حقاً. قال: أنت تقول ذلك؟ قال إي والله فأطعني. فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي ﷺ فأسلم قبل عام خيبر.

والصحيح أنه قدم مسلماً على رسول الله ﷺ في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وكان هم بالإقبال إلى رسول الله ﷺ في حين انصرافه من الحبشة، ثم لم يعزم له، وأمره رسول الله ﷺ على سرية نحو الشام قال له: «يا عمرو إني أريد أن أبعثك في جيش يسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»، فبعثه إلى أخوال أبيه العاص بن وائل من بلى يدعوهم إلى الإسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، فشخص عمرو إلى ذلك الوجه، فكان قدومه إلى المدينة في صفر سنة ثمان، ووجهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمان، فيما ذكر الواقدي وغيره، إلى السلاسل من بلاد قضاعة في ثلاثمائة.

وكانت أم والد عمرو من بلى فبعثه رسول الله ﷺ إلى أرض بلى وعذرة يستألفهم بذلك ويدعوهم إلى الإسلام، فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلاسل، وبذلك سميت تلك الغزوة بذات السلاسل، فخاف فكتب إلى رسول الله ﷺ من تلك الغزوة يستمده، فأمده بجيش من مائتي فارس من المهاجرين والأنصار وأهل الشرف، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمر عليهم أبا عبيدة، فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم، وإنما أنتم مددي. وقال أبو عبيدة: بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معي. فأبى عمرو، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ عهد إليّ إذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا، فإن خالفتني أطعتك، قال عمرو: فإني أخالفك. فسلم له أبو عبيدة، وصلى خلفه في الجيش كله وكانوا خمسمائة.

وولى رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على عمان، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ﷺ وعمل لعمر وعثمان ومعاوية، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ولاّه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن، وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء، وولى سعيد بن عامر بن خذيم حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وكتب إلى عمرو بن العاص فسار إلى مصر فافتتحها، وقتل المقاتلة وسبى الذرية، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر، فأقره عثمان عليها أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها، وولاها عبد الله بن سعد العامري.

صفة فتح مصر

لما استكمل عمر رضي الله عنه والمسلمون، فتح الشام، بعث عمرو بن العاص إلى مصر وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بسر بن أرطأة، وخارجة بن حذافة، وعمير بن وهب الجمحي، فأجمعا على باب مصر فلقيهم أبو مريم جاثليق[1] مصر ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات، بعثه المقوقس صاحب إسكندرية لمنع بلادهم، فلما

(١) جاثليق: عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية مقدم الأساقفة.

تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نعذر، ليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد. فبرزا إليه، فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد، فاسمعا إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا الذي أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا الإعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا منكم، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة.

ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً لأن لهم رحماً وذمة. فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم، واغتربوا، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً، أمنا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إن مثلي لا يخدع ولكن أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتناظرا قومكما وإلا ناجزتكم.

قالا: زدنا، فزادهم يوماً، فقالا: زدنا، فزادهم يوماً، فرجعا إلى المقوقس فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا. وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين، فقال الملأ منهم: ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم. فألح الأرطبون في أن يبيتوا للمسلمين، ففعلوا، فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأرطبون، وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع، وارتقى الزبير عليهم سور البلد، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو، فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم»: هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك، ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم ـ خمسين ألف، وعليهم ما حق لصونهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غاية رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين، وعلى النوبة

الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً، وكذا وكذا فرساً، على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة، شهد الزبير وعبد الله وابناه وكتب وردان وحضر».

فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر وعمروا الفسطاط، وظهر أبو مريم وأبو مريام فكَلّما عمراً في السبايا التي أصيبت بعد المعركة، فأبى عمرو أن يردها عليهما، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه. فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمر من كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمنوهم فيها أن يرد عليهم، وكل سبي أخذ ممن لم يقاتل فلا يرد عليه سباياه. وقيل: إنه أمره أن يخيروا من في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله، فمن اختار الإسلام فلا يرده إليهم، ومن اختارهم ردوه عليهم وأخذوا منه الجزية، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما فإنه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر الوفاء به.

ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين؛ وجمع السبايا وعرضوهم وخيّروهم، فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصلح بينهم. ثم أرسل عمرو جيشاً إلى الإسكندرية ـ وكان المقوقس صاحب الإسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم ـ فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته، وقال لهم: إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم، والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم. ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول: إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إليّ منكم ـ فارس والروم ـ ثم صالحه على أداء الجزية، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وذكر أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمرو يزمرهم ويحثهم على الثبات، فقال له رجل من أهل اليمن: إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد. قال له عمرو: اسكت فإنما أنت كلب. فقال له الرجل: فأنت إذاً أمير الكلاب. فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله ﷺ، فلما اجتمع إليه مَنْ هناك مِنَ الصحابة قال لهم عمرو: تقدموا فبكم ينصر الله المسلمين ـ فنهدوا إلى القوم ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر.

قال سيف: ففتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة، وقام فيها ملك الإسلام ولله الحمد والمنة. وقال غيره: فتحت مصر في سنة عشرين، وفتحت إسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة، وقيل: صلحاً على اثني عشر ألف دينار. وقد ذكر أن المقوقس سأل من عمر وأن يهادنا أو لا، فلم يقبل عمرو، وقال له: قد علمتم ما فعلنا بملككم الأكبر هرقل، فقال المقوقس لأصحابه: صدق، فنحن أحق بالإذعان. ثم صالح على ما تقدم وذكر غيره أن عمراً والزبير سارا إلى عين شمس

فحاصراها وأن عمراً بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح، وبعث عوف بن مالك إلى الإسكندرية، فقال كل منهما لأهل بلده: إن نزلتم فلكم الأمان. فتربصوا ماذا يكون من أهل عين شمس، فلما صالحوا صالح الباقون.

وقد قال عوف بن مالك لأهل إسكندرية: ما أحسن بلدكم؟ فقالوا: إن إسكندر لما بناها قال: لأبنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس. فبقيت بهجتها، وقال أبرهة لأهل الفرما: ما أقبح مدينتكم، فقالوا: إن الفرما ـ وهو أخو الإسكندر ـ لما بناها قال: لأبنين مدينة غنية عن الله فقيرة إلى الناس. فهي لا يزال ساقطاً بناؤها فشوهت بذلك.

وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم رؤوساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كل سنة، ويعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة. وأقر ذلك عثمان بن عفان وولاة الأمور بعده، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأمضاه أيضاً نظراً لهم وإبقاء لعهدهم.

قال ابن كثير: وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص، وذلك أنه نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم، وبنى الناس حوله، وتركت مصر القديمة من زمان عمرو بن العاص وإلى اليوم، ثم رفع الفسطاط وبنى موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه اليوم. وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة فنالهم جراحات كثيرة، وأصيبت أعين كثيرة لجودة رمي النوبة فسموهم جند الحدق. ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة، وقد اختلف في بلاد مصر فقيل: فتحت صلحاً الإسكندرية، وهو قول يزيد بن أبي حبيب. وقيل: كلها عنوة، وهو قول ابن عمر وجماعة. وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال: ما قعدت مقعدي هذا ولأحد من القبط عندي عهد إن شئت قلت، وإن شئت بعت، وإن شئت خمست، إلا لأهل الطابلس، فإن لهم عهداً نوفي به.

قصة نيل مصر

لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ـ حين دخل بؤنة من أشهر العجم ـ فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنّة لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل.

فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله. قال: فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني

قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر. أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر، فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك». قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله السنَّة عن أهل مصر.

وفي سنة خمس وعشرين انتقضت الإسكندرية فاقتحمها عمرو بن العاص فقتل المقاتلة وسبى الذرية، فأمر عثمان برد السبي الذين سبوا من القرى إلى مواضعهم للعهد الذي كان لهم ولم يصح عنده نقضهم، وعزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وكان ذلك بدء الشر بين عمرو وعثمان.

قال أبو عمر بن عبد البر: فاعتزل عمرو في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً في خلال ذلك على عثمان، فلما قتل عثمان سار إلى معاوية باستجلاب معاوية وشهد صفين معه، وكان معه بصفين وهو أحد الحكمين.

عمرو في مسألة التحكيم

لما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين، ونظرا في تقدير أمور، ثم اتفقا على أن يعزلا علياً ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الصلح لهم منهما أو من غيرهما. وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال له عمرو: فول ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد. فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك في الفتن معك، وهو مع ذلك رجل صدق.

قال أبو مخنف: فحدثني محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال عمرو بن العاص: إن هذا الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم. وكان ابن عمر فيه غفلة، فقال له ابن الزبير: افطن وانتبه، فقال ابن عمر: لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً، ثم قال: يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها.

ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس، فأبى عليه، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة، فأبى أيضاً، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر فامتنع عمرو أيضاً. ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعلياً ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم، ثم جاءا إلى المجمع الذي فيه الناس ـ وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى، بل يقدمه في

كل الأمور أدباً وإجلالاً ـ فقال له: يا أبا موسى، قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه. فخطب أبو موسى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على رسول الله ﷺ، ثم قال: أيها الناس، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألم لشعثها من رأي اتفقت أنا وعمرو عليه، وهو أنا نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، ثم تنحى.

وجاء عمرو، فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم، وإنه قد خلع صاحبه، وإني قد خلعته كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وهو أحق الناس بمقامه ـ وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه تؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيها من الاختلاف، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة، والاجتهاد يخطىء ويصيب. ويقال: إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله.

وذكر ابن جرير أن شريح بن هانىء ـ مقدم جيش علي ـ وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن لعمرو فضربه بالسوط، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة، وأما أبو موسى فاستحى من علي فذهب إلى مكة، ورجع ابن عباس وشريح بن هانىء إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو، فاستضعفوا رأي أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص، ثم ولاه معاوية مصر فلم يزل عليها إلى أن مات بها أميراً عليها، وذلك يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين، وقيل سنة ثنتين وأربعين، وقيل: سنة ست وأربعين، وقيل: سنة ثمان وأربعين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، والأول أصح وكان له يوم مات تسعون سنة، ودفن بالمقطم من ناحية الفج.

وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، مذكوراً بذلك فيهم، وكان شاعراً حسن الشعر حفظ عنه الكثير في مشاهد شتى. ومن شعره في أبيات له يخاطب عمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه … ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبة … إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وكان عمرو بن العاص أحد الدهاة المقومين في الرأي أو المكر والدهاء، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله قال: أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد. يريد خالق الأضداد.

وفاته

لما حضرته الوفاة قال: اللهم إنك أمرتني، فلم أأتمر، وزجرتني، فلم أنزجر،

ووضع يده في موضع الغل وقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بريء فأعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلا أنت. فلم يزل يرددها حتى مات.

قال: سمعت الشافعي يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص في مرضه فسلم عليه وقال له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنجنيق[1] بين السماء والأرض لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي. فقال له ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله، صار ابن أخيك أخاك، ولا تشاء أن تبكي إلا بكيت، كيف يؤمر برحيل من هو مقيم. فقال عمرو: على حبها من حين ابن بضع وثمانين سنة تقنطني من رحمة ربي، اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى، قال ابن عباس: هيهات يا أبا عبد الله، أخذت جديداً وتعطي خلقاً؟ فقال عمرو: وما لي ولك يا ابن عباس، ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها.

عن عبد الرحمن بن شماسة قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى، فقال له ابنه عبد الله: لم تبكي أجزعاً من الموت؟ قال: لا والله، ولكن لما بعده، فقال له: قد كنت على خير. فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام، فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله إني كنت على ثلاث أطباق ليس منها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول شيء كافراً، فكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ، فلو مت يومئذ وجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ، كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ حياء منه، فلو مت يومئذ قال الناس هنيئاً لعمرو، وأسلم وكان على خير ومات على خير أحواله، فترجى له الجنة، ثم بليت بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعليّ أم لي، فإذا مت فلا تبكين عليّ باكية ولا يتبعني مادح ولا نار. وشدوا عليّ إزاري فإني مخاصم، وشنوا عليّ التراب شناً، فإن جنبي الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبي الأيسر ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجراً، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور تقطيعها بينكم أستأنس بكم.

وروى أبو هريرة وعمارة بن حزم جميعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام».

---

(١) المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحصار، كانت ترمى بها حجارة ثقيلة على الحصون والأسوار فتهدمها.

٢٠ ـ النجاشي ـ ملك الحبشة

«اللهم اغفر للنجاشي»

اسمه

أصحمة[١] ملك الحبشة ومعدود في الصحابة رضي الله عنه، وكان ممن حبس إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، وهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ فصلى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه ﷺ صلى على غائب سواه، وسبب ذلك أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلي عليه لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر.

عن الزهري قال: حدثت عروة بن الزبير بحديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة بقصة النجاشي، وقوله لعمرو بن العاص: فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه، فقال عروة: أتدري ما معناه؟ قلت: لا، قال: إن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي. وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة. فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملّكنا أخاه، فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه اثني عشر ولداً فتوارثوا ملكه من بعده فبقيت الحبشة بعده دهراً طويلاً، فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملّكوا أخاه. فمكثوا على ذلك.

ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيباً حازماً من الرجال، فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت بينها: والله إذاً لنتخوّف أن نملّكه ولئن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا قتلنا أباه. فمشوا إلى عمه فقالوا له: إما أن تقتل هذا الفتى وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفنا على أنفسنا منه. قال: ويلكم! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أخرجوه من بلادكم. فخرجوا به فباعوه من رجل تاجر بستمائة درهم، ثم قذفه فانطلق به حتى إذا المساء من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته.

ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هم حمقى ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلمون والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غير الذي بعتموه غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه.

(١) أصحمة، بالعربية: عطية.

قال: فخرجوا في طلبه حتى أدركوه، فأخذوه من التاجر ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك وملّكوه.

فجاءهم التاجر فقال: إما أن تعطوني مالي وإما أن أكلمه في ذلك، فقالوا: لا نعطيك شيئاً، قال: إذن والله لأكلمنه. قالوا: فدونك، فجاءه فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك! ابتعت غلاماً من قوم بالسوق بستمائة درهم فأسلموه إليّ وأخذوا دراهمي حتى إذا سرت بغلامي أدركوني فأخذوا غلامي ومنعوني دراهمي. فقال لهم النجاشي: لنعطه دراهمه أو ليتسلمن غلامه في يديه، فليذهبن به حيث شاء. قالوا: بل نعطيه دراهمه، قالت: فلذلك تقول ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه. وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه وعدله في حكمه، ثم قالت: لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمّنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن بعثوا إلى النجاشي رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص السهمي وأمروهما أمرهم وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا له هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار.

فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته، وقالا له: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً[1] وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهم: نعم، ثم إنهما قدما هدايا النجاشي فقبلها منهم؛ ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فيه. قالت: لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمرو من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك. فأسلمهم إليهما. فغضب

(١) أعلى بهم عيناً: أبصر بهم.

النجاشي، ثم قال: لاها الله[1] إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا أكيد قوماً جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسأ لهم. ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا أجبتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما كان. فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟.

قالت: وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، إنا كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، فعشنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت: فعدّد له أمور الإسلام فصدّقناه وآمنا به واتبعناه، فعدا علينا قومنا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحلّ ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال: نعم؟ قال: فاقرأه عليّ. فقرأ صدراً من ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ [مريم:١]. فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا أكاد.

فلما خرجا قال عمرو: والله لأنبئنه غداً عنهم بما أستأصل خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه، إنهم يزعمون أن عيسى عبد، ثم غدا عليه قال: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. فأرسل يسألهم.

---

(١) لاها الله: قسم، وأهل العربية يقولون: لاها الله ذا، والهاء بدل من واو القسم، أي: لا، والله، لا يكون ذا، وقيل: بل حذفت واو القسم وفصلت «ها» من «هذا» فوسطت وقعت لأجل حذف واو القسم.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم ثم قالوا: نقول والله فيه ما قال الله تعالى كائناً ما كان. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به ديننا. هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عوداً ثم قال: ما عدا عيسى ما قلت هذا العود. فتناخرت[1] بطارقته حوله، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشيوم الآمنون ـ من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، وما أحب أن لي ديراً ذهباً وأني آذيت رجلاً منكم، والدير بلسانهم الجبل ـ ردوا عليهما هداياهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه.

فخرجا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. فوالله إنا على ذلك إذا نزل به ـ يعني من ينازعه في ملكه ـ فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه، وتخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. وسار النجاشي وبينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة اليوم ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير: أنا، وكان من أحدث القوم سناً. فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى مكان الملتقى، وحضر، فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين في بلاده، واستوثق له أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزلة حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

عن جعفر بن أبي طالب قال: بعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي، فقالوا له ونحن عنده: قد جاء إليك ناس من سفلتنا وسفهائنا فادفعهم إلينا. قال: لا، حتى أسمع كلامهم. وذكر نحوه إلى أن قال: فأمر منادياً فنادى: من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: يكفيكم؟ قلنا: لا، فأضعفها. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن صاحبنا قد خرج إلى المدينة وهاجر، وقتل الذي كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه فزودنا، قال: نعم. فحملنا وزودنا وأعطانا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا رسولي معك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فقل له يستغفر لي.

قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فلقيني رسول الله ﷺ فاحتفى فقال: «ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أو بقدوم جعفر». ثم جلس، فقام رسول النجاشي فقال: هو ذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا، فقلت: نعم، يعني ذكرته له، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات: «اللهم اغفر للنجاشي»، فقال المسلمون: آمين. فقلت للرسول:

(١) تناخرت: النخير صوت من الأنف، وقيل: النخير صوت من الكلام.

انطلق فأخبر صاحبك ما رأيت.

عن عُمير بن إسحاق أن جعفراً قال: يا رسول الله ائذن لي حتى أصير إلى أرض أعبد الله فيها. فأذن له فأتى النجاشي. فحدثنا عمرو بن العاص قال: لما رأيت جعفراً آمناً بها حسدته، فأتيت النجاشي، فقلت: إن بأرضك رجلاً ابن عمه بأرضنا يزعم أنه ليس للناس إلا إله واحد، وإنك إن لم تقتله وأصحابه لا أقطع إليك هذه النطفة أبداً ولا أحد من أصحابي. قال: اذهب إليه فادعه. قلت: إنه لا يجيء معي، فأرسل معي رسولاً. فأتيناه وهو بين ظهري أصحابه يحدثهم. قال له: أجب. فلما أتينا الباب ناديت: ائذن لعمرو بن العاص. ونادى جعفر: ائذن لحزب الله. فسمع صوته فأذن له قبلي.

عن أبي بردة، عن أبيه، قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمراً وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية. فقدما عليه وأتياه بالهدية، فتقبلها وسجدا له، ثم قال عمرو: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك.

قال: في أرضي؟ قال: نعم.

فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد أنا خطيبكم اليوم. فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلس عظيم وعمرو عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس سماطين، وقد قال له عمرو: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتهينا بدرنا من عنده أن اسجدوا، قلنا: لا نسجد إلا لله عز وجل، فلما انتهينا إلى النجاشي قال: ما منعك أن تسجد؟ قال: لا نسجد إلا لله. قال وما ذاك؟ قال: إن الله بعث فينا رسولاً، وهو الذي بشر به عيسى فقال: يأتي من بعدي اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشي قوله، فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، ولم يفرضها ولد.

فتناول عوداً فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان! ما يزيد على ما تقولون في ابن مريم ما تزن هذه. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه هو الذي بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبّل نعله، امكثوا في الأرض ما شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما.

وكان عمرو رجلاً فقيراً، وكان عمارة رجلاً جميلاً، وكانا أقبلا في البحر إلى النجاشي، فشرب مع عمرو امرأته، فلما شربوا من الخمر قال عمارة لعمرو: مُر امرأتك فلتقبلني، قال: ألا تستحي؟ فأخذ عمارة عمراً يرمي به في البحر، فجعل عمرو يناشده حتى تركه، فحقد عليه عمرو، فقال للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك. فدعا بعمارة فنفخ في إحليله[1] فطار مع الوحش.

عن ابن شهاب قال: مكر عمرو بعمارة فقال: يا عمارة إنك رجل جميل، فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدث عندها إذا خرج زوجها؛ فإن ذلك عون لنا في حاجتنا. فراسلها عمارة حتى دخل عليها. فانطلق عمرو إلى النجاشي فقال: إن صاحبي صاحب نساء، وإنه يريد أهلك. فبعث النجاشي إلى بيته فإذا هو عند أهله، فأمر به فنفخ في إحليله، سحره، ثم ألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فجن واستوحش مع الوحش.

فأما عمارة فإنه بقي إلى خلافة عمر مع الوحوش، فدل عليه أخوه، فسار إليه وتحين وقت وروده الماء، فلما رأى أخاه فرّ، فوثب وأمسكه، فبقي يصيح: أرسلني يا أخي! فلم يرسله، فخارت قوته من الخوف ومات في الحال. فعداده في المجانين الذين يبعثون على ما كانوا عليه قبل ذهاب العقل، فيبعث هذا المغتر على الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ، نسأل الله المغفرة.

مناقب النجاشي

عن عائشة: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: فارقت ديننا. وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا، فإن هزمت فامضوا، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم. ثم جعله في قبائه وخرج إلى الحبشة، وصفوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى. قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون فيه؟.

قالوا: هو ابن الله، فقال وقد وضع يده على صدره وعلى قبائه ـ هو يشهد أن عيسى لم يزد على هذا شيئاً وإنما عنى ما كتب. فرضوا وانصرفوا.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له.

ومن محاسن النجاشي: أن أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية، أم المؤمنين، أسلمت مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي قديماً، فهاجر بها زوجها،

(١) إحليله: الإحليل: مخرج البول، ومخرج اللبن من الثدي والضرع.

فانملس[١] بها إلى أرض الحبشة، فولدت له حبيبة ربيبة رسول الله ﷺ ثم إنه أدركه الشقاء فأعجبه دين النصرانية فتنصر، فلم يلبث أن مات بالحبشة، فلما وفت العدة بعث رسول الله ﷺ يخطبها، فأجابت فنهض في ذلك النجاشي وشهد زواجها بالنبي ﷺ وأعطاها الصداق عن النبي ﷺ من عنده أربعمائة دينار فحصل لها شيء لم يحصل لغيرها من أمهات المؤمنين، ثم جهزها النجاشي وكان الذي وفد على النجاشي يخطبها عمرو بن أمية الضمري.

عن عبد الله بن أبي بكر قال: كان الذي زوجها وخطب إليه النجاشي خالد بن سعيد بن العاص الأموي، وكان عمرها لما قدمت المدينة بضعاً وثلاثين سنة.

عن أم حبيبة أنها كانت تحت عبد الله بن جحش، وكان رحل إلى النجاشي، وأن رسول الله ﷺ تزوجها بالحبشة، زوجه إياها النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم من عنده وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، وجهازها كله من عند النجاشي.

وأما ابن لهيعة فنقل عن أبي الأسود عن عروة قال: أنكحه إياها بالحبشة عثمان رضي الله عنه، وهذا خطأ، فإن عثمان كان بالمدينة مع النبي ﷺ، ولم يغب عنه إلا يوم بدر أمره النبي ﷺ أن يقيم فيمرض زوجته بنت رسول الله ﷺ.

عن إسماعيل بن عمرو، أن سعيد بن العاص قال: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم كأن عبد الله بن جحش بأسوء صورة وأشوهه، ففزعت. فإذا هو يقول: جئت أصبح يا أم حبيبة! إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد فقد رجعت إليها فأخبرته بالرؤيا فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتياً يقول لي: يا أم المؤمنين، ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا ورسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي، فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجكه، فقلت: بشرك الله بخير، قالت: يقول الملك: وكلي من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته وأعطت أبرهة سواري من فضة، وخواتم كانت في أصابع رجليها، وخدمتين كانتا في رجليها، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ﷺ: ثم خطب خالد بن سعيد وزوجها وقبض أربعمائة دينار ثم دعا بطعام فأكلوا قالت: فلما وصل إلى المال عزلت خمسين ديناراً لأبرهة، فأبت، وأخرجت حقاً فيه كل ما أعطيتها فردته، وقالت: عزم عليّ الملك أن لا

(١) انملس: خرج بها في خفة وخفاء.

أرزأك شيئاً وقد أسلمت لك وحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، ثم جاءتني من عند نساء الملك بعود وعنبر وزباد كثير.

فقيل: بنى بها رسول الله ﷺ سنة ست، وقال خليفة: دخل بها سنة سبع من الهجرة.

ولما توفي النجاشي قال النبي ﷺ للناس: إن أخاً لكم قد مات بأرض الحبشة فخرج بهم إلى الصحراء وصفهم صفوفا، ثم صلى عليه فنقل بعض العلماء أن ذلك كان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة.

٢١ ـ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

«يا معاوية، إذا ملكت فأحسن»

اسمه

معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، الأموي، أبو عبد الرحمن.

أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ.

قصة ولادة معاوية رضي الله عنه

عن حميد بن وهب قال: كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن، فخلا البيت ذات يوم، فقام الفاكه وهند فيه، ثم خرج لبعض حاجاته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت، فولجه، فلما رأى المرأة ولى هارباً فأبصره الفاكه فانتهى إليها فضربها برجله، وقال: من هذا الذي كان عندك؟ قالت: ما رأيت أحداً ولا تنبهت حتى أنبهتني، فقال لها: الحقي بأهلك. وتكلم فيها الناس، فخلا بها أبوها فقال لها: يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بذاك، فإن يكن الرجل صادقاً دسست إليه من يقتله فتنقطع عنا المقالة، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن. قال: فحلفت لهم بما كانوا يحلفون به في الجاهلية أنه كاذب عليها، فقال عتبة للفاكه: إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن، فلما شارفوا البلاد تنكرت حال هند وتغير وجهها، فقال لها أبوها: يا بنية إني قد أرى ما بك من تغير الحال وما ذاك إلا لمكروه

عندك، قالت: لا والله يا أبتاه، وما ذاك لمكروه، ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب، فلا آمنه أن يسمني بسيماء تكون عليّ سبة في العرب. فقال لها: إني سوف أختبره لك قبل أن ينظر في أمرك. فصفر بفرسه حتى أدلى، ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة، وأوكأ عليها بسير وصبحوا الكاهن، فنحر لهم وأكرمهم، فلما تغدوا قال له عتبة: إنا قد جئناك في أمر، وقد خبأت لك خبيئاً أختبرك به، فانظر ما هو؟ قال: برة في كمرة، قال: أريد أبين من هذا، قال: حبة من بر في إحليل مهر، فقال عتبة: صدقت، انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية. فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت: إليك، والله لأحرصن أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان، فجاءت بمعاوية.

عن صالح بن كيسان قال: رأى بعض متفرسي العرب معاوية وهو صبي صغير، فقال: إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه.

قال أبو هريرة: رأيت هنداً بمكة كأن وجهها فلقة قمر، وخلفها من عجيزتها مثل الرجل الجالس، ومعها صبي يلعب، فمر رجل فنظر إليه فقال: إني لأرى غلاماً إن عاش ليسودن قومه، فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فأماته الله، وهو معاوية بن أبي سفيان.

نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند: إن ابني هذا لعظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه. فقالت هند: قومه فقط؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة. وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول:

إن بـنـي مـعـرق كـريـم ... مـحـبـب فـي أهـلـه حـلـيـم
لـيـس بـفـحـاش ولا لـئـيـم ... ولا ضـجـور ولا سـؤوم
صـخـر بـنـي فـهـر بـه زعـيـم ... لا يـخـلـف الـظـن ولا يـخـيـم

صفته

وكان معاوية رجلاً طويلاً، أبيض، جميلاً، مهيباً، وكان عمر ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب، وعن علي قال: لا تكرهوا إمرة معاوية؛ فإنكم لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها، وقال المقبري: تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية؟ وكان يضرب بحلمه المثل.

قال ابن عون: كان الرجل يقول لمعاوية: والله لتستقيمن بنا يا معاوية، أو لنقومنك، فيقول: بماذا؟ فيقول: بالخشب، فيقول: إذن نستقيم، وقال قبيصة بن جابر: صحبت معاوية، فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ولا أبطأ جهلاً ولا أبعد أناة منه.

مع الرسول ﷺ

أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هادياً مهدياً».

وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض ابن سارية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقِه العذاب».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ: «يا معاوية إذا ملكت فأحسن».

عن ابن عباس قال: قال أبو سفيان: يا رسول الله، ثلاثاً أعطنيهن، قال: نعم، قال: تؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: نعم ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم. وذكر الثالثة وهو أنه أراد أن يزوج رسول الله ﷺ بابنته الأخرى عزة بنت أبي سفيان، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، فقال: «إن ذلك لا يحل لي» وكان معاوية من جملة الكتاب بين يدي رسول الله ﷺ الذين يكتبون الوحي.

عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الغلمان، فإذا رسول الله ﷺ قد جاء فقلت: ما جاء إلا إلي، فاختبأت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين، ثم قال: «اذهب فادع لي معاوية» ـ وكان يكتب الوحي ـ قال: فذهبت فدعوته له فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنه يأكل، فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل، فأخبرته؛ فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه»، قال: فما شبع بعدها.

وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، وأما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك. وأما في الآخرة فقد أتبع أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة».

عن ابن عباس قال: أتى جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أقرىء معاوية السلام واستوص به خيراً؛ فإنه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين.

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ استشار جبريل في استكتابه معاوية، فقال: «استكتبه فإنه أمين». قال ابن كثير: ولكن في الأسانيد إليهما غرابة.

عن عائشة، قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي ﷺ، دق الباب داق، فقال النبي ﷺ: «انظروا من هذا؟» قالوا: معاوية، قال: «ائذنوا له»، فدخل وعلى أذنه قلم

يخط به، فقال: «ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟» قال: قلم أعددته لله ولرسوله، فقال له: «جزاك الله عن نبيك خيراً، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله، كيف بك لو قمصك الله قميصاً» ـ يعني الخلافة؟ ـ، فقامت أم حبيبة فجلست بين يديه وقالت: يا رسول الله، وإن الله مقمصه قميصاً؟ قال: «نعم! ولكن فيه هنات وهنات»، فقالت: يا رسول الله فادع الله له، فقال: «اللهم اهده بالهدى، وجنبه الردى، واغفر له في الآخرة والأولى».

معاوية بعد رسول الله ﷺ

فلما ولى عمر يزيد بن أبي سفيان ما ولّاه من الشام، خرج إليه معاوية فقال أبو سفيان لهند: كيف رأيت صار ابنك تابعاً لابني؟ فقالت: إن اضطربت خيل العرب فستعلم أين يقع ابنك مما يكون فيه ابني. فلما مات يزيد بن أبي سفيان سنة بضع عشرة، وجاء البريد إلى عمر بموته ورد عمر البريد إلى الشام بولاية معاوية مكان أخيه يزيد، ثم عزى أبا سفيان في ابنه يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين من ولّيت مكانه؟ قال: أخوه معاوية، قال: وصلت رحماً يا أمير المؤمنين.

وقالت هند لمعاوية فيما كتبت به إليه: والله يا بني، إنه قل أن تلد حرة مثلك، وإن هذا الرجل قد استنهضك في هذا الأمر، فاعمل بطاعته فيما أحببت وكرهت. وقال له أبوه: يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا فرفعهم سبقهم وقدّمهم عند الله وعند رسوله، وقصر بنا تأخيرنا فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلا تخالفهم، فإنك تجري إلى أمد فنافس، فإن بلغته أورثته عقبك. فلم يزل معاوية نائباً على الشام في الدولة العمرية والعثمانية مدة خلافة عثمان.

وافتتح في سنة سبع وعشرين جزيرة قبرص وسكنها المسلمون قريباً من ستين سنة في أيامه ومن بعده، ولم تزل الفتوحات والجهاد قائماً على ساقه في أيامه في بلاد الروم والفرنج وغيرها، فلما كان من أمره وأمر أمير المؤمنين علي ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة. ثم كان من أمر التحكيم ما كان، وكذلك ما بعده إلى وقت اصطلاحه مع الحسن بن علي، فانعقدت الكلمة على معاوية وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف

الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو. ولم يزل والياً على ما كان أخوه يتولاه بالشام خلافة عمر، فلما استخلف عثمان جمع له الشام جميعه، ولم يزل كذلك إلى قتل عثمان، فانفرد بالشام.

ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام، ويولي عليها سهل بن حنيف، فعزله فلم ينتظم عزله، والتف عليه جماعة من أهل الشام ومانع علياً عنها، وقد قال: لا أبايعه حتى يسلمني قتلة عثمان فإنه قتل مظلوماً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

عن ابن عباس قال: ما زلت موقناً أن معاوية يلي الملك من هذه الآية، فلما امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلة، كان وقعة صفين، ثم آل الأمر إلى التحكيم، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما كان من قوة جانب أهل الشام في الصعدة الظاهرة، واستفحل أمر معاوية، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان. ثم ركب الحسن في جنود العراق عن غير إرادة منه، وركب معاوية في أهل الشام. فلما تواجه الجيشان وتقابل الفريقان سعى الناس بينهما في الصلح، فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة، وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان. وكان في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، ودخل معاوية إلى الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعدما بايعه الناس ـ واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً، وسمّي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة، فولى معاوية قضاء الشام لفضالة بن عبيد، ثم بعده لأبي إدريس الخولاني.

وكان على شرطته قيس بن حمزة، وكان كاتبه وصاحب أمره سرحون بن منصور الرومي.

ويقال: إنه أول من اتخذ الحرس، وأول من حزم الكتب وختمها، وكان أول الأحداث في دولته رضي الله عنه.

فبقي خليفة عشرين سنة، وأميراً عشرين سنة، لأنه ولي دمشق أربع سنين من خلافة عمر، واثنتي عشرة سنة خلافة عثمان مع ما أضاف إليه من باقي الشام، وأربع سنين تقريباً أيام خلافة علي وستة أشهر خلافة الحسن، وسلم إليه الحسن الخلافة سنة إحدى وأربعين. وفي سنة ثلاث وأربعين استخلف معاوية زياد بن أبيه، وهي أول قضية غيّر فيها حكم النبي ﷺ في الإسلام.

معاوية مع عمر بن الخطاب

أخرج ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن قدامة الجوهري، حدثني عبد العزيز بن يحيى عن شيخ له قال: لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافياً إلى بلاد الحجاز. قال: يا أمير المؤمنين، إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز الإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال له عمر: يا معاوية ما سألتك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريت، ولئن كان باطلاً إنه لخديعة أديت. قال: فمرني يا أمير المؤمنين بما شئت، قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه؟ فقال عمر: لحسن موارده ومصادره جشمناه ما جشمناه.

وأخرج عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد: عن أسلم مولى عمر، قال: قدم علينا معاوية وهو أبيض ناص وبّاص[1]، وأبضّ الناس وأجملهم، فخرج إلى الحج مع عمر، فكان عمر ينظر إليه فيعجب منه، ثم يضع إصبعه على متن معاوية ثم يرفعها عن مثل الشراك، فيقول: بخ بخ، نحن إذاً خير الناس، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة. فقال معاوية: يا أمير المؤمنين سأحدثك أنا بأرض الحمامات والريف والشهوات، فقال عمر: سأحدثك ما بك إلا إلطافك نفسك بأطيب الطعام وتصبحك حتى تضرب الشمس متنيك، وذوو الحاجات وراء الباب، فقال:

يا أمير المؤمنين علمني أمتثل، قال: فلما جئنا ذا طوى أخرج معاوية حلة فلبسها، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب، فقال: يعمد أحدكم فيخرج حاجاً مقلاً حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا في الطيب فلبسهما؟! فقال معاوية: إنما لبستهما لأدخل فيهما على عشيرتي وقومي، والله لقد بلغني أذاك ههنا والشام، فالله يعلم أني لقد عرفت الحياء فيه، ثم نزع معاوية ثوبيه اللذين أحرم فيهما.

وأخرج أبو بكر بن أبي الدنيا: عن أبي عبد الرحمن المدني، قال: كان عمر بن الخطاب إذا رأى معاوية قال: هذا كسرى العرب.

ودخل معاوية على عمر وعليه حلة خضراء؛ فنظر إليها الصحابة فلما رأى ذلك عمر وثب إليه بالدرة فجعل يضربه بها، وجعل معاوية يقول: يا أمير المؤمنين، الله الله في.

(١) نص وباص: لمع وبرق.

فرجع عمر إلى مجلسه فقال له القوم: لم ضربته يا أمير المؤمنين وما في قومك مثله؟ فقال: والله ما رأيت إلا خيراً، وما بلغني إلا خير، ولو بلغني غير ذلك لكان مني إليك غير ما رأيتم، ولكن رأيته ـ وأشار بيده ـ فأحببت أن أضع منه ما شمخ.

في الفتنة

وقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأفضل، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه وأمره إليّ، فقولوا له فليسلم إليّ قتلة عثمان وأنا أسلم له أمره. فأتوا علياً فكلموه في ذلك فلم يدفع إليهم أحداً، فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية.

وعن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي وأبي جعفر الباقر، قال: بعث علي رجلاً إلى دمشق ينذرهم أن علياً قد نهد في أهل العراق إليكم ليستعلم طاعتكم لمعاوية، فلما قدم أمر معاوية فنودي في الناس: الصلاة جامعة، فملأوا المسجد ثم صعد المنبر، فقال في خطبته: إن علياً قد نهد إليكم في أهل العراق فما الرأي؟ فضرب كل منهم على صدره، ولم يتكلم أحد منهم، ولا رفعوا إليه أبصارهم، وقام ذو الكلاع فقال: يا أمير المؤمنين عليك الرأي وعلينا الفعال. ثم نادى معاوية في الناس: أن اخرجوا إلى معسكركم في ثلاث، فمن تخلف بعدها فقد أحل بنفسه. فاجتمعوا كلهم، فركب ذلك الرجل إلى علي فأخبره، فأمر علي منادياً فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصعد المنبر فقال: إن معاوية قد جمع الناس لحربكم، فما الرأي؟ فقال كل فريق منهم مقالة، واختلط كلام بعضهم في بعض، فلم يدر علي مما قالوا شيئاً، فنزل عن المنبر وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله بها ابن آكلة الكباد. ثم كان من أمر الفريقين بصفين ما كان.

وقد قال أبو بكر بن دريد: أنبأنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: قال معاوية: لقد وضعت رجلي في الركاب وهممت يوم صفين بالهزيمة، فما منعني إلا قول ابن الأطنابة حيث يقول:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

نبذ من أخباره

عن سعيد بن جمهان قال: قلت لسفينة: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من أشد الملوك، وأول الملوك معاوية.

عن إبراهيم بن سويد الأرمني، قال: قلت لأحمد بن حنبل: من الخلفاء؟ قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. قلت: فمعاوية؟ قال: لم يكن أحق بالخلافة في زمان علي من علي.

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن علي ومعاوية، فقال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا، فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كياداً منهم له.

مع جارية بن قدامة

عن عبد الملك بن عمير قال: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية، فقال: من أنت؟ قال: جارية بن قدامة، قال: وما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلا نحلة؟ قال: لا تقل، فقد شبهتني بها حامية اللسعة، حلوة البصاق، والله ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب، وما أمية إلا تصغير أمة.

عن الفضل بن سويد قال: وفد جارية بن قدامة على معاوية، فقال له معاوية: أنت الساعي مع علي بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية دع عنك علياً، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه، ولا غششناه منذ صحبناه، قال: ويحك يا جارية! ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية! قال: أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية، قال: لا أم لك، قال: أم ما ولدتني، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا، قال: إنك لتهددني، قال: إنك لم تملكنا قسرة، ولم تفتتحنا عنوة، ولكن أعطيتنا عهوداً، ومواثيق، فإن وفيت لنا وفينا، وإن ترغب إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً، وأدرعاً شداداً، وأسنة حداداً، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر، زلفنا إليك بباع من ختر[1]. قال معاوية: لا أكثر الله في الناس أمثالك!.

مع أبي الطفيل

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي أنه دخل على معاوية فقال له معاوية: ألست من قتلة عثمان؟ قال: لا، ولكني ممن حضره فلم ينصره، قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار، فقال معاوية: أما لقد كان حقه واجباً عليهم أن ينصروه، قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطفيل ثم قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

---

(١) ختر: الختر أقبح الغدر.

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا

مع صعصعة بن صوحان

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي وعبد الله بن الكوّاء اليشكري ورجالاً من أصحاب علي مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوماً فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقاً وصدقاً، أي الخلفاء رأيتموني؟ فقال ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا، لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله في قتل الأخيار، ولكنا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نوراً والنور ظلمات، فقال معاوية: إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام الذابين عن بيضته، التاركين لمحارمه ولم يكونوا كأمثال أهل العراق المنتهكين لمحارم الله، والمحلّين ما حرّم الله، والمحرّمين ما أحل الله. فقال عبد الله بن الكواء: يا ابن أبي سفيان، إن لكل كلام جواباً، ونحن نخاف جبروتك، فإن كنت تطلق ألسنتنا ذببنا عن أهل العراق بألسنة حداد لا تأخذها في الله لومة لائم، ألا فإنا صابرون حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه، قال: والله لا يطلق لك لسان.

ثم تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصر عما أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟ أما والله ما لك يوم بدر مضرب ولا مرعى وما كنت فيه إلا كما قال القائل: لا حلى ولا سيرى. ولقد كنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله ﷺ، وإنما أنت طليق ابن طليق، فأنى تصلح الخلافة بطليق؟ فقال معاوية: لولا أني أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول:

قابلت جهلهم حلماً ومغفرة والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم.

معاوية مع عمرو بن العاص

عن العتبي، قال: دخل عمرو على معاوية، وقد ورد عليه كتاب تعزية له في بعض الصحابة، فاسترجع معاوية فقال عمرو بن العاص:

تموت الصالحون وأنت حيّ تخطّاك المنايا لا تموت

فقال له معاوية:

أترجو أن أموت وأنت حيّ فلستُ بميت حتى تموت

معاوية مع جميل بن كعب

ذكر المدائني أن معاوية أسر جميل بن كعب الثعلبي ـ وكان من سادات ربيعة

وشيعة علي وأنصاره ـ فلما وقف بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكنني منك، ألست القائل يوم الجمل:

أصبحت الأمة في أمر عجب والملك مجموع غداً لمن غلب
قد قلت قولاً صادقاً غير كذب إن غداً تهلك أعلام العرب

قال: لا تقل ذلك فإنها مصيبة، قال معاوية: وأي نعمة أكبر من أن يكون الله قد أظفرني برجل قد قتل في ساعة واحدة عدة من حُماة أصحابي؟ اضربوا عنقه، فقال: اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك، ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلني على حُطام الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله؛ فقال معاوية: قاتلك الله! لقد سببت فأبلغت في السب، ودعوت فبالغت في الدعاء، ثم أمر به فأطلق، وتمثل معاوية بأبيات للنعمان بن المنذر، لم يقل النعمان غيرها، فيما ذكر ابن الكلبي، وهي:

تعفو الملوك عن الجليل من الأمور بفضلها
ولقد تُعاقب في اليسير، وليس ذاك لجهلها
إلا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

مع عقيل بن أبي طالب

عن حميد بن هلال أن عقيل بن أبي طالب سأل علياً فقال: إني محتاج وإني فقير فأعطني، فقال: اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم، فألح عليه، فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل: دق هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت، قال: تريد أن تتخذني سارقاً؟ قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً! أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، قال: لآتين معاوية، قال: أنت وذاك.

فأتى معاوية، فسأله فأعطاه مائة ألف، ثم قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك، فصعد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس؛ إني أخبركم أني أردت علياً على دينه فاختار دينه، وإني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه.

عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عقيلاً دخل على معاوية فقال معاوية: هذا عقيل وعمه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية وعمته حمّالة الحطب.

وفد عليه عقيل بن أبي طالب منتجعاً وزائراً فرحّب به معاوية، وسُرّ بوروده لاختياره إياه على أخيه، وأوسعه حلماً واحتمالاً، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت علياً؟ فقال: تركته على ما يحب الله ورسوله، وألفيتك على ما يكره الله ورسوله، فقال له معاوية: لولا أنك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك، أبا يزيد، جواباً تألم منه. ثم أحب معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يحفظه، فوثب عن مجلسه، وأمر له بنزل

وحمل إليه مالاً عظيماً، فلما كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاه، فقال له: يا أبا يزيد، كيف تركت علياً أخاك؟ قال: تركته خيراً لنفسه منك، وأنت خير لي منه، فقال له معاوية: أنت والله كما قال الشاعر:

وإذا عددت فخار آل محرق فالمجد منهم في بني عتاب

فمحل المجد من بني هاشم منوط فيك، يا أبا يزيد، ما تغيّرك الأيام والليالي، فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانيها لا بد أن تصلى بحاميها

وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر:

وإذا هوازن أقبلت بفخارها يوماً فخرتهم بآل مجاشع
بالحاملين على الموالي غرمهم والضاربين الهام يوم الفازع

سياسة معاوية رضي الله عنه ودهاؤه

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عروة قال: قال معاوية: لا حلم إلا التجارب.

وأخرج ابن عساكر عن الشعبي قال: دهاة العرب أربعة، معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد؛ فأما معاوية فللحلم والأناة، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللكبير والصغير.

وعن الشعبي قال: كان القضاة أربعة والدهاة أربعة؛ فأما القضاة: فعمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت؛ وأما الدهاة: فمعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد.

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله منه؛ وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه؛ وصحبت معاوية فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ولا أبطأ جهلاً ولا أبعد أناة منه؛ وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أنصع طرفاً ولا أحلم جليساً منه؛ وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها.

عن الشعبي قال: قال زياد: استعملت رجلاً فكثر خراجه، فخشي أن أعاقبه، ففرّ إلى معاوية، فكتبت إليه: إن هذا أدب سوء لمن قبلي، فكتب إليّ: أنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة، أن نلين جميعاً فتمرح الناس في المعصية، أو نشتدّ جميعاً فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون للشدة والفظاظة، وأكون للين والرأفة.

وأخرج عن الشعبي قال: سمعت معاوية يقول: ما تفرقت أمة قط إلا ظهر أهل الباطل على أهل الحق إلا هذه الأمة.

عن جبلة بن سحيم، قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان ـ وهو في خلافته ـ وفي عنقه حبل، وصبي يقوده، فقلت له: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا؟ قال: يا لكع اسكت، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «من كان له صِبى فَلْيتَصَابَ له».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن الشعبي قال: دخل شاب من قريش على معاوية فأغلظ عليه، فقال له: يا ابن أخي، أنهاك عن السلطان؛ إن السلطان يغضب غضب الصبي، ويأخذ أخذ الأسد.

وبلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حالة منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق، فقال: هذه ناقتي أخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينه يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبرّه، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً أني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن عَلي سُنَّة، ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير.

وقال عبد الملك بن مروان يوماً، وذكر معاوية، فقال: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه. وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أحداً أعظم حلماً ولا أكثر سؤدداً ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجاً ولا أرحب باعاً بالمعروف من معاوية. وقال بعضهم: أسمع رجل معاوية كلاماً سيئاً سديداً، فقيل له: لو سطوت عليه؟ فقال: إني لأستحيي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي. وفي رواية قال له رجل: يا أمير المؤمنين ما أحلمك؟ فقال: إني لأستحيي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي.

وقال الأصمعي عن الثوري، قال: قال معاوية: إني لأستحيي أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أكبر من حلمي، أو تكون عورة لا أواريها بستري.

وقال الشعبي والأصمعي عن أبيه، قالا: جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام، فتكلم أبو الجهم بكلام فيه غمر لمعاوية، فأطرق معاوية ثم رفع رأسه وقال: يا أبا الجهم إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد،

وإن قليله يغلب كثير الناس. ثم أمر معاوية لأبي الجهم بمال، فقال أبو الجهم في ذلك يمدح معاوية:

نميل على جوانبه كأنا ... نميل إذا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرماً ولينا

وقال الأعمش: طاف الحسن بن علي مع معاوية فكان معاوية يمشي بين يديه، فقال الحسن: ما أشبه أليتيه بأليتي هند؟ فالتفت إليه معاوية فقال: أما إن ذلك كان يعجب أبا سفيان؟ وقال ابن أخته عبد الرحمن ابن أم الحكم لمعاوية: إن فلاناً يشتمني، فقال له: طأطىء لها فتمر فتجاوزك. وقال ابن الأعرابي: قال رجل لمعاوية: ما رأيت أنذل منك، فقال معاوية: بلى، من واجه الرجال بمثل هذا.

وقال أبو عمرو بن العلاء: قال معاوية: ما يسرني بِذُلّ الكرم حمر النعم. وقال: ما يسرني بِذُلّ الحلم عز النصر. وقال بعضهم: قال معاوية: يا بني أمية فارقوا قريشاً بالحلم، فوالله لقد كنت ألقى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتماً وأوسعه حلماً، فأرجع وهو لي صديق، إن استنجدته أنجدني، وأثور به فيثور معي، وما وضع الحلم عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرماً، وقال: آفة الحلم الذل. وقال: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم.

وقال عبد الله بن الزبير: لله در ابن هند، إن كنا لنفرقه وما الليث على براثنه بأجرأ منه، فيتفارق، وإن كنا لنخدعه وما ابن ليلة من أهل الأرض بأدهى منه فيتخادع لنا، والله لوددت أنا متعنا به ما دام في هذا الجبل حجر ـ وأشار إلى أبي قبيس ـ وقال رجل لمعاوية: من أسود الناس؟ فقال: أسخاهم نفساً حين يسأل، وأحسنهم في المجالس خلقاً، وأحلمهم حين يستجهل. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية يتمثل بهذه الأبيات كثيراً:

فما قتل السفاهة مثل حلم ... يعود به على الجهل الحليم
فلا تسفه وإن مُلّئت غيظاً ... على أحد فإن الفحش لوم
ولا تقطع أخاً لك عند ذنب ... فإن الذنب يغفره الكريم

وقال القاضي الماوردي في الأحكام السلطانية: وحكي أن معاوية أتى بلصوص فقطعهم حتى بقي واحد من بينهم، فقال:

يميني أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى مكاناً يشينها
يدي كانت الحسناء لو تم سترها ... ولا تعدم الحسناء عيباً يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة ... إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فقال معاوية: كيف أصنع بك؟ قد قطعنا أصحابك؟ فقالت أم السارق: يا أمير المؤمنين! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها. فخلى سبيله، فكان أول حد ترك في الإسلام.

وعن ابن عباس أنه قال: قد علمت بم غلب معاوية الناس، كانوا إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار. وقال غيره: كتب معاوية إلى نائبه زياد إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة باللين فيمرحوا، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك، ولكن كن أنت للشدة والفظاظة والغلظة، وأنا للين والألفة والرحمة، حتى إذا خاف خائف وجد باباً يدخل منه.

مع عبد الله بن الزبير

عن سليمان المخزومي قال: أذن معاوية للناس إذناً عاماً، فلما احتفل المجلس قال: أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه، فسكتوا ثم طلع عبد الله بن الزبير، فقال: هذا مقوال العرب وعلامتها أبو خبيب، قال: مهيم؟ قال: أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه، قال: بثلاثمائة ألف، قال: وتساوي؟ قال: أنت بالخيار وأنت واف كاف، قال: هات. فأنشده للأفوه الأوديّ:

بلوت الناس قرناً بعد قرن ... فلم أر غير ختال وقال

قال: صدق، هيه؛ قال:

ولم أر في الخطوب أشدّ وقعاً ... وأصعب من معاداة الرجال

قال: صدق، هيه؛ قال:

وذقت مرارة الأشياء طرّاً ... فما طعم أمر من السؤال

قال: صدق؛ ثم أمر له بثلاثمائة ألف.

مع ابن عباس

وأخرج العسكري عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال: قدم معاوية مكة أو المدينة، فأتى المسجد، فقعد في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عباس فقال: وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه. فقال ابن عباس: ولم؟ ألتقدم في الإسلام؟ أم سابقة مع رسول الله ﷺ أو قرابة منه؟ قال: لا، ولكني ابن عم المقتول، قال: فهذا أحق به ـ يريد ابن أبي بكر ـ قال: إن أباه مات موتاً، قال: فهذا أحق به ـ يريد ابن عمر ـ، قال: إن أباه قتله كافر قال: فذاك أدحض لحجتك، أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه.

مع أبي قتادة الأنصاري

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: قدم معاوية المدينة، فلقيه أبو قتادة الأنصاري،

فقال معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار، قال: لم يكن لنا دواب، فقال: فأين النواضح؟ قال: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر. ثم قال أبو قتادة: إن النبي ﷺ قال لنا: «إنكم سترون بعدي أثرة»، فقال معاوية: فما أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر، قال: فاصبروا، فبلغ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير المؤمنين نبأ كلامي
فإنا صابرون ومنظروكم إلى يوم التغابن والخصام

من أخلاق معاوية وعاداته

قال المسعودي: كان من أخلاق معاوية أنه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات. كان إذا صلى الفجر جلس للقاصّ حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه، ثم يدخل إلى منزله فيأمر وينهى، ثم يصلي أربع ركعات ثم يخرج إلى مجلسه، فيأذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه، ويدخل عليه وزراؤه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم إلى العشي، ثم يؤتى بالغداة الأصغر، وهو فضلة عشائه من جدي بارد أو فرخ أو ما يشبه، ثم يتحدث طويلاً، ثم يدخل منزله لما أراد، ثم يخرج فيقول: يا غلام أخرج الكرسي، فيخرج إلى المسجد فيوضع فيسند ظهره إلى المقصورة ويجلس على الكرسي، ويقوم الأحراس فيتقدم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له، فيقول: ظُلِمت، فيقول: أعزوه، ويقول: عُدِيَ علي، فيقول: ابعثوا معه، ويقول: صُنِع بي، فيقول: انظروا في أمره، حتى إذا لم يبق أحد دخل فجلس على السرير، ثم يقول: ائذنوا للناس على قدر منازلهم ولا يشغلني أحد عن رد السلام، فيقال: كيف أصبح أمير المؤمنين أطال الله بقاءه؟! فيقول: بنعمة من الله، فإذا استووا جلوساً قال: يا هؤلاء، إنما سميتم أشرافاً لأنكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس، ارفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا، فيقول الرجل فيقول: استشهد فلان، فيقول: افرضوا لولده، ويقول آخر: غاب فلان عن أهله، فيقول: تعاهدوهم، أعطوهم، اقضوا حوائجهم، اخدموهم، ثم يؤتى بالغداء، ويحضر الكاتب فيقوم عند رأسه ويقدم الرجل فيقول له: اجلس على المائدة، فيجلس، فيمد يده فيأكل لقمتين أو ثلاثاً والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه بأمره، فيقال: يا عبد الله أعقب، فيقوم ويتقدم آخر، حتى يأتي على أصحاب الحوائج كلهم، وربما قدم عليه من أصحاب الحوائج أربعون أو نحوهم على قدر الغداء، ثم يرفع الغداء ويقال للناس: أجيزوا، فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع، حتى ينادى بالظهر، فيخرج فيصلي، ثم يدخل فيصلي أربع ركعات، ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة، فإن كان الوقت شتاء آتاهم بزاد الحج من الأخبصة اليابسة والخشكنانج والأقراص المعجونة باللبن والسكر ودقيق السميد والكعك المسمن والفواكه اليابسة والذانجوج وإن كان وقت صيف آتاهم بالفواكه الرطبة، ويدخل إليه وزراؤه

فيؤامرونه فيما احتاجوا إليه بقية يومهم، ويجلس إلى العصر، ثم يخرج فيصلي العصر، ثم يدخل إلى منزله فلا يطمع فيه طامع، حتى إذا كان آخر أوقات العصر خرج فجلس على سريره ويؤذن للناس على منازلهم، فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادي له أصحاب الحوائج؛ ثم يرفع العشاء وينادي بالمغرب، فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين آية يجهر تارة ويخافت أخرى، ثم يدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى ينادي بالعشاء الآخرة، فيخرج فيصلي، ثم يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية، فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدراً من ليلتهم، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة، ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة، ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات، ثم يخرج فيصلي الصبح، ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم.

أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد

حج معاوية سنة إحدى وخمسين، وأخذ البيعة لابنه فبعث إلى ابن عمر فتشهد وقال: أما بعد يا ابن عمر، إنك كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير، وإني أحذرك أن تشقّ عصا المسلمين أو تسعى في فساد ذات بينهم، فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإنه قد كان قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين، ولم أكن لأفعل، وإنما أنا رجل من المسلمين؛ فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم، فقال: يرحمك الله!.

فخرج ابن عمر ثم أرسل إلى ابن أبي بكر فتشهد ثم أخذ في الكلام، فقطع عليه كلامه، وقال: لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وإنا والله لا نفعل، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لنعيدها عليك جذعة، ثم وثب ومضى، فقال معاوية: اللهم اكفنيه بما شئت، ثم قال: على رِسْلك أيها الرجل، لا تشرفن على أهل الشام، فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشية أنك قد بايعتنا، ثم كن بعد على ما بدا لك من أمرك.

ثم أرسل إلى ابن الزبير، فقال: يا ابن الزبير، إنما أنت ثعلب روّاغ كلما خرج من جحر دخل في آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فنفخت في مناخرهما، وحملتهما

على غير رأيهما، فقال ابن الزبير: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها، وهلمّ ابنك فلنبايعه، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمع ونطيع؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً، ثم راح، فصعد معاوية المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له، فقال أهل الشام: والله لا نرضى حتى يبايعوا له على رؤوس الأشهاد، وإلا ضربنا أعناقهم، فقال: سبحان الله! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر، لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم ثم نزل فقال الناس: بايع ابن عمر وابن أبي بكر، وابن الزبير، وهم يقولون: لا والله ما بايعنا، فيقول الناس: بلى. وارتحل معاوية فلحق بالشام.

وعن ابن المنكدر قال: قال ابن عمر حين بويع يزيد: إن كان خيراً رضينا، وإن كان بلاء صبرنا.

وفي سنة خمسين فتحت قوهستان عنوة، وفيها دعا معاوية أهل الشام إلى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد؛ فبايعوه. وهو أول من عهد بالخلافة لابنه، وأول من عهد بها في صحته، ثم إنه كتب إلى مروان بالمدينة أن يأخذ البيعة، فخطب مروان فقال: إن أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنة أبي بكر وعمر، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فقال: بل سنة كسرى وقيصر، إن أبا بكر وعمر لم يجعلاها في أولادهما، ولا في أحد من أهل بيتهما.

وأخرج البخاري والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره، واللفظ له، من طرق، أن مروان خطب بالمدينة، وهو على الحجاز من قبل معاوية، فقال: إن الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر ـ وفي لفظ: سنة أبي بكر وعمر ـ فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده، فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه أف لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللعين الذي لعن أباك النبيُّ ﷺ؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: كذب مروان، ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان ابن فلان، ولكن النبي ﷺ لعن أبا مروان ـ ومروان في صلبه ـ فمروان بعض من لعنه الله ورسوله.

أوليات معاوية رضي الله عنه

قال الشعبي: أول من خطب الناس قاعداً معاوية، وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه. أخرجه ابن أبي شيبة.

وقال الزهري: أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد معاوية.

وقال سعيد بن المسيب: أول من أحدث الأذان في العيد معاوية.

وقال: أول من نقص التكبير معاوية.

وفي الأوائل للعسكري قال: معاوية أول من وضع البريد في الإسلام، وأول من اتخذ الخصيان لخاصّ خدمته، وأول من عبثت به رعيته، وأول من قيل له: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمك الله، وأول من اتخذ ديوان الخاتم، وولاّه عبيد الله بن أوس الغساني، وسلم إليه الخاتم وعلى فصه مكتوب: لكل عمل ثواب.

واستمر ذلك في الخلفاء العباسيين إلى آخر وقت، وسبب اتخاذه له أنه أمر لرجل بمائة ألف، ففك الكتاب وجعله مائتي ألف، فلما رفع الحساب إلى معاوية أنكر ذلك، واتخذ ديوان الخاتم من يومئذ، وهو أول من اتخذ المقصورة بالجامع، وأول من أذن في تجريد الكعبة، وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئاً فوق شيء.

قيل للزهري: من أول من استحلف في البيعة؟ قال: معاوية استحلفهم بالله، فلما كان عبد الملك بن مروان استحلفهم بالطلاق والعتاق.

من أقوال معاوية رضي الله عنه

قال ابن السماك: قال معاوية: كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها، وقال الزهري عن عبد الملك عن أبي بحرية قال: قال معاوية: المروءة في أربع، العفاف في الإسلام، واستصلاح المال، وحفظ الإخوان، وحفظ الجار. وقال أبو بكر الهذلي: كان معاوية يقول الشعر فلما ولي الخلافة قال له أهله: قد بلغت الغاية فماذا تصنع بالشعر؟ فارتاح يوماً فقال:

صرمتُ سفاهتي وأرحتُ حلمي ... وفي على تحملي اعتراض
على أني أجيب إذا دعتني ... إلى حاجاتها الحدق المراض

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني هارون بن سفيان عن عبد الله السهمي حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس! إن من زرع قد استحصد، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد بعدي خير مني، وإنما يليكم من هو شر مني، كما كان من وليكم قبل خيراً مني ويا يزيد، إذا دنا أجلي فولِّ غسلي رجلاً لبيباً، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم أعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي، وأذني وعيني، واجعل ذلك الثوب مما يلي جلدي دون لفافي، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي، وضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وأرحم الراحمين.

وقال بعضهم: لما احتضر معاوية جعل يقول:

لعمري لقد عمرت في الدهر برهة ودانت لي الدنيا بوقع البواتر[(١)]
وأعطيت حمر المال والحكم والنهى ولي سلمت كل الملوك الجبابر
فأضحى الذي قد كان مما يسرني كحكم مضى في المزمنات الغوابر
فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أسع في لذات عيش نواضر
وكنت كذي طمرين[(٢)] عاش ببلغة[(٣)] فلم يك حتى زار ضيق المقابر

وقال محمد بن سعد: أنبأنا علي بن محمد عن محمد بن الحكم عمن حدثه أن معاوية لما احتضر أوصى بنصف ماله أن يرد في بيت المال ـ كأنه أراد أن يطيب له ـ لأن عمر بن الخطاب قاسم عماله ـ وذكروا أنه في آخر عمره اشتد به البرد فكان إذا لبس أو تغطى بشيء ثقيل يغمه، فاتخذ له ثوباً من حواصل الطير، ثم ثقل عليه بعد ذلك، فقال: تباً لك من دار، ملكتك أربعين سنة، عشرين أميراً، وعشرين خليفة، ثم هذا حالي فيك، ومصيري منك، تباً للدنيا ولمحبتها.

وقال محمد بن سعد: عن عبد الملك بن عمير، قال: لما ثقل معاوية وتحدث الناس بموته قال لأهله: احشوا عيني إثمداً، وأوسعوا رأسي دهناً. ففعلوا وغرقوا وجهه بالدهن ثم مهد له مجلس وقال: اسندوني، ثم قال: ائذنوا للناس فليسلموا عليّ قياماً ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائماً فيراه مكتحلاً متدهناً فيقول متقول الناس إن أمير المؤمنين لما به وهو أصح الناس، فلما خرجوا من عنده قال معاوية في ذلك:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

قال: وكان به النقابة ـ يعني لوقة ـ فمات من يومه ذلك رحمه الله. وقال موسى بن عقبة: لما نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى، ولم ألِ من هذا الأمر شيئاً. وقال أبو السائب المخزومي: لما حضرت معاوية الوفاة تمثل بقول الشاعر:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز تجاوز العفو واصفح عن مسيء ذنوبه كالتراب

وقال بعضهم: لما احتضر معاوية جعل أهله يقلبونه فقال لهم: أي شيخ تقلبون؟ إن نجاه الله من عذاب النار غداً.

(١) البواتر: السيوف القاطعة.
(٢) طمرين: الطمر: الثوب الخلق.
(٣) فسحة من العيش.

وقال محمد بن سيرين: جعل معاوية لما احتضر يضع خداً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] اللهم اجعلني فيمن تشاء أن تغفر له.

مرض معاوية

ولما مرض كان ابنه يزيد غائباً، ولما حضره الموت أوصى أن يكفن في قميص كان رسول الله ﷺ قد كساه إياه، وأن يجعل مما يلي جسده. وكان عنده قلامة أظفار رسول الله ﷺ فأوصى أن تسحق تجعل في عينيه وفمه، وقال: افعلوا ذلك، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين.

ولما مات أخذ الضحاك بن قيس أكفانه، وصعد المنبر وخطب الناس وقال: إن أمير المؤمنين معاوية كان حدّ العرب وعَوْدَ العرب، قطع الله به الفتنة، وملكه على العباد، جنوده في البر والبحر، وكان عبداً من عبيد الله، دعاه فأجابه، وقد قضى نحبه، وهذه أكفانه فنحن مدرجوه ومدخلوه قبره، ومخلوه وعمله فيما بينه وبين ربه، إن شاء رحمه، وإن شاء عذبه.

وصلى عليه الضحاك، وكان يزيد غائباً بحُوارين، فلما ثقل معاوية أرسل إليه الضحاك، فقدم وقد مات معاوية، فقال:

جاء البريد بقرطاس يحث به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا: لك الويل! ماذا في صحيفتكم؟ ... قالوا: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا

وهي أكثر من هذا.

وذكر لوط بن يحيى وابن دأب والهيثم بن عدي وغيرهم من نقلة الأخبار أن معاوية لما احتضر تمثل:

هو الموت، ولا منجى من الموت ... والذي تحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك، ولم يثق إلا بك، فإنك واسع المغفرة، وليس لذي خطيئة مهرب. فبلغ ذلك سعيد بن المسيب، فقال: لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله وإني لأرجو أن لا يعذبه الله.

وذكر محمد بن إسحاق وغيره من نقلة الآثار أن معاوية دخل الحمام في بدء علته التي كانت وفاته فيها، فرأى نحول جسمه، فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخليفة، وقال متمثلاً:

أرى الليالي أسرعت في نقضي ... أخذن بعضي وتركن بعضي
حَنَيْنَ طولي وحنين عرضي ... أقعدنني من بعد طول نهضي

ولما أزف أمره، وحان فراقه، واشتدت عليه، وأيس من برئه، أنشأ يقول:

فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أك في اللذات أعشى النواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من الدهر حتى زار أهل المقابر

وفاة معاوية

مات معاوية في شهر رجب سنة ستين، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير، وقيل: إنه عاش سبعاً وسبعين سنة، وكان عنده شيء من شعر رسول الله ﷺ وقلامة أظفاره؛ فأوصى أن تجعل في فمه وعينيه، وقال: افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين.

٢٢ ـ سلمان الفارسي

«عويمر... سلمان أعلم منك»

اسمه

قال أبو نعيم الأصبهاني: يقال: اسم سلمان ماهويه، وقيل: مايه، وقيل: به بودبن بذخشان بن اذرجشيش من ولد منوجهر الملك، وقيل: من ولد آب الملك.

يكنى أبا عبد الله، من أصبهان، من قرية يقال لها: جي. وقيل: من رامهرمز سافر يطلب الدين مع قوم، فغدروا به فباعوه من اليهود. ثم إنه كوتب فأعانه النبي ﷺ في كتابته.

إسلامه

أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة. ومنعه الرق من شهود بدر، وأحد، وأول غزاة غزاها مع النبي ﷺ الخندق، وشهد ما بعدها، وولاه عمر المدائن.

الباحث عن الحقيقة

عن عبد الله بن العباس قال: حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يقال لها جي، وكان أبي دهقان قريته. وكنت أحب خلق الله إليه. فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية. واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يوماً، قال لي: يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد. فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم

يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته. فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر ما يصنعون، قال: فلما رأيتهم أعجبت بصلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الذي نحن عليه. فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ فقالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله. فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبه، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا؛ والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجاراً من النصارى فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام، تجار من النصارى، قال: فأخبروني بقدوم تجار، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل، فدخلت معه.

قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه منها شيئاً اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع. قال: ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المسكين منها شيئاً. قالوا: وما علمك بذلك، قلت: أنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدلنا عليه. قال فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، قال: فصلبوه ثم رجموه بالحجارة.

وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحببته حباً لم أحبه من قبله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان إني كنت معك فأحببتك حباً لم أحبه من قبلك. قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي،

قال: فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به.

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئت، فأخبرته بما جرى وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه. فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت. فلما حضر قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحداً بقي على آمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته فإنه على مثل أمرنا.

قال: فلما مات وغيب لحقت عمورية، وأخبرته خبري فقال: أقم عندي. فأقمت عند رجل على هدى أصحابه وأمرهم. قال: وكنت اكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله عز وجل، فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، ويخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجاراً فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم، فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود. فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق لي في نفسي.

فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها. وبعث الله رسوله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق. ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه، فقال فلان: قاتل الله بني قيلة؛ والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم زعم أنه نبي.

قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني ساقط على سيدي. قال:

ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن استثبته عما قال.

وقد كان شيء عندي قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال: فقربته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل، فقال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد ـ قد تبع جنازة من أصحابه عليه شملتان ـ وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت انظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، قال: فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال رسول الله ﷺ: «تحول»، فتحولت فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «كاتب يا سلمان». فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالقفير وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أعينوا أخاكم»، فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشرة يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية. فقال لي رسول الله ﷺ: «اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي».

قال ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده. فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة. فأديت النخل، فبقي عليّ المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب؟» قال: فدعيت له، قال: «فخذ هذه فأد بها ما عليك يا سلمان»، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ قال: «خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده ـ أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ، ثم لم يفتني معه مشهد. (رواه الإمام أحمد).

وفي الصحيح عن سلمان أنه قال: تداولني بضعة عشر من رب إلى رب.

اشتراه رسول الله ﷺ من قوم من اليهود بكذا وكذا درهماً وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخيل يعمل فيها سلمان حتى تدرك فغرس رسول الله ﷺ النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة، فقال رسول الله ﷺ: «من غرسها» فقالوا: عمر، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها بيده فأطعمت من عامها.

ذكر نبذ من فضائله وأخباره

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «السباق أربعة، أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة».

وعن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ خط الخندق، وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان وكان رجلاً قوياً. فقال المهاجرون: سلمان منا. وقالت الأنصار: لا بل سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

عن أبي حاتم عن العتبي قال: بعث إلى عمر بحلل فقسمها، فأصاب كل رجل ثوب. ثم صعد المنبر وعليه حلة، والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس، ألا تسمعون؟ فقال سلمان: لا نسمع، فقال عمر: لم يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة، فقال: لا تجل يا أبا عبد الله. ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبه أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: ناشدتك الله الثوب الذي ائتزرت به أهو ثوبك؟ قال: اللهم نعم. قال سلمان: فقل الآن نسمع.

وروي عن النبي ﷺ من وجوه أنه قال: «لو كان الدين عند الثريا لَنَالَه سلمان»، وفي رواية أخرى: «لناله رجال من فارس».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ.

وروي من حديث ابن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ: «أمرني ربي بحب أربعة وأخبرني أنه سبحانه يحبهم: علي وأبو ذر والمقداد وسلمان» رضي الله تعالى عنهم.

وروى قتادة عن خيثمة عن أبي هريرة قال: كان سلمان صاحب الكتابين قال قتادة: يعني الإنجيل والفرقان.

وقال كعب الأحبار: سلمان حشي علماً وحكمة.

عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم وأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم

لقد أغضبت ربك جل وعلا». فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك.

عن القاسم أبي عبد الرحمن قال: زارنا سلمان الفارسي فصلى الإمام الظهر، ثم خرج وخرج الناس يتلقونه كما يتلقى الخليفة، فلقيناه وقد صلى بأصحابه العصر وهو يمشي، فوقفنا نسلم عليه، فلم يبق فينا شريف إلا عرض عليه أن ينزل به، فقال: جعلت على نفسي مرتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد. فلما قدم سأل عن أبي الدرداء، فقالوا: هو مرابط، فقال: أين مرابطكم؟ قالوا: بيروت، فتوجه قبله، قال: فقال سلمان: يا أهل بيروت! ألا أحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم غرض الرباط! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة كصيام شهر رمضان وقيامه، ومن مات مرابطاً أجير من فتنة القبر، وجرى له صالح عمله إلى يوم القيامة».

عن قتادة: كان بين سعد بن أبي وقاص وبين سلمان شيء، فقال: انتسب يا سلمان، قال: ما أعرف لي أباً في الإسلام، ولكن سلمان ابن الإسلام! فنمى ذلك إلى عمر فلقي سعداً، فقال: انتسب يا سعد، فقال: أنشدك بالله يا أمير المؤمنين قال: وكأنه عرف فأبى أن يدعه حتى انتسب، ثم قال: لقد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر ابن الإسلام أخو سلمان ابن الإسلام، أما والله لولا شيء لعاقبتك، أو ما علمت أن رجلاً انتمى إلى تسعة آباء في الجاهلية فكان عاشرهم في النار.

عن ثابت قال: كتب عمر إلى سلمان أن زرني. فخرج سلمان إليه فلما بلغ عمر قدومه قال: انطلقوا بنا نتلقه، فلقيه عمر فالتزمه وسابله ورجعا ثم قال له عمر: يا أخي! أبلغك عني شيء تكرهه؟ قال: بلغني أنك تجمع على مائدتك السمن واللحم، وبلغني أن لك حلتين تلبسهما في أهلك وأخرى تخرج فيها، قال: هل غير هذا؟ قال: لا، قال: كفيت هذا.

عن سلمان قال: كان في بني إسرائيل امرأة ذات جمال وكانت عند رجل يعمل بالمسحاة، فكانت إذا جاء الليل قدّمت له طعامه وفرشت له فراشه فبلغ خبرها ملك ذاك العصر، فبعث إليها عجوزاً من بني إسرائيل. فقالت لها: ترضين بهذا الذي يعمل بالمسحاة؟ لو كنت عند الملك لكساك الحرير وفرش لك الديباج.

فلما وقع الكلام في مسامعها جاء زوجها بالليل فلم تقدم له ولم تفرش له فراشه، فقال لها: ما هذا الخلق يا هنتاه؟ قالت: هو ما ترى. فقال: أطلقك؟ قالت: نعم. فطلقها، فتزوجها ذلك الملك، فلما زفت إليه نظر إليها فعمي، ومدّ يده إليها فجفت، فرفع نبي ذلك العصر سرها إلى الله، فأوحى الله إليه: أعلمها أني غير غافر لها أما علما أن بعيني ما عملا بصاحب المسحاة.

عن جرير بن عبد الله قال: نزلت بالصفاح في يوم شديد الحر فإذا رجل نائم في حر الشمس يستظل بشجرة، معه شيء من الطعام، ومزودة تحت رأسه، يلتف بعباءة، فأمرته أن يظل عليه، ونزلنا فانتبه فإذا هو سلمان. فقلت له: ظللنا عليك وما عرفناك، قال: يا جرير! تواضع في الدنيا، من تواضع يرفعه الله يوم القيامة، ومن يتعظم في الدنيا يضعه الله يوم القيامة، ولو حرصت على أن تجد عوداً يابساً في الجنة لم تجده. قلت: وكيف؟ قال: أصول الشجر ذهب وفضة، وأعلاها الثمار، يا جرير! تدري ما ظلمة النار؟ قلت: لا، قال: ظلم الناس.

عن عبد الله بن بريدة أن سلمان كان يعمل بيده، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً أو سمكاً ثم يدعو المجذومين فيأكلون معه.

عن حميد بن هلال قال: أُوخِيَ بين سلمان وأبي الدرداء، فسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان الكوفة، وكتب أبو الدرداء إليه: سلام عليك، أما بعد، فإن الله رزقني بعدك مالاً وولداً، ونزلت الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان: اعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يعظم حلمك، وأن ينفعك علمك، وإن الأرض لا تعمل لأحد، اعمل كأنك ترى، واعدد نفسك من الموتى.

عن أبي البختري قال: جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله فدخلا على سلمان في خص فسلما وحيياه، ثم قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري، فارتابا، قال: إنما صاحبه من دخل معه الجنة.

قالا: جئنا من عند أبي الدرداء، قال: فأين هديته؟ قالا: ما معنا هدية، قال: اتقيا الله وأديا الأمانة، ما أتاني أحد من عنده إلا بهدية، قالا: لا ترفع علينا هذا، وإن لنا أموالاً فاحتكم، قال: ما أريد إلا الهدية، قالا: والله ما بعث معنا بشيء إلا أنه قال: إن فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به لم يبغ غيره، فإذا أتيتماه فأقرئاه مني السلام. قال: فأي هدية كنت أريد منكما غير هذه؟ وأي هدية أفضل منها؟

عن طارق بن شهاب، عن سلمان قال: إذا كان الليل كان الناس منه على ثلاث منازل: فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه، ومنهم من لا عليه ولا له! فقلت: وكيف ذاك؟ قال: أما من له ولا عليه فرجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فتوضأ وصلى، فذاك له ولا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فمشى في معاصي الله، فذاك عليه ولا له، ورجل نام حتى أصبح فذاك لا له ولا عليه.

قال طارق: فقلت لأصحبن هذا. فندب على الناس بعث فخرج فيهم، فصحبته وكنت لا أفضله في عمل إن أنا عجنت خبز وإن خبزت طبخ، فنزلنا منزلاً فبتنا فيه، وكانت لطارق ساعة من الليل يقومها فكنت أتيقظ لها فأجده نائماً، فأقول صاحب رسول

الله خير مني نائم، فأنام ثم أقوم فأجده نائماً فأنام، إلا أنه كان إذا تعار من الليل قال وهو مضطجع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. حتى إذا كان قبيل الصبح قام فتوضأ ثم ركع أربع ركعات. فلما صلينا الفجر قلت: يا أبا عبد الله! كانت لي ساعة من الليل أقومها وكنت أتيقظ لها فأجدك نائماً، قال: يا ابن أخي! فإيش كنت تسمعني أقول؟ فأخبرته، فقال: يا ابن أخي تلك الصلاة، إن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن، ما اجتنبت المقتلة، يا ابن أخي عليك بالقصد فإنه أبلغ.

ذكر غزارة علمه رضي الله عنه

عن أبي جحيفة قال: آخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليست له حاجة في الدنيا. قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب طعاماً فقال: كل، فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل.

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام. فما كان من آخر الليل قال له سلمان: قم الآن. فقاما، فصليا، فقال سلمان: إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له، فقال: «صدق سلمان». (انفرد بإخراجه البخاري).

وعن محمد بن سيرين قال: دخل سلمان على أبي الدرداء في يوم جمعة فقيل له: هو نائم، فقال: ما له؟ فقالوا: إنه إذا كانت ليلة جمعة أحياها، ويصوم يوم الجمعة، قال: فأمرهم فصنعوا طعاماً في يوم جمعة ثم أتاهم، فقال: كل. قال: إني صائم. فلم يزل به حتى أكل. فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له، فقال النبي ﷺ: «عويمر، سلمان أعلم منك ـ وهو يضرب بيده على فخذ أبي الدرداء ـ عويمر، سلمان أعلم منك» ثلاث مرات: «لا تخصن ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصن يوم الجمعة بصيام من بين الأيام».

وعن ثابت البناني أن أبا الدرداء ذهب مع سلمان يخطب عليه امرأة من بني ليث فدخل، فذكر فضل سلمان وسابقته وإسلامه، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة. فقالوا: أما سلمان فلا نزوجه ولكنا نزوجك. فتزوجها ثم خرج له: إنه قد كان شيء وأنا أستحيي أن أذكره لك. قال: وما ذاك؟ فأخبره الخبر، فقال سلمان: أنا أحق أن أستحيي منك أن أخطبها وقد قضاها الله لك، رضي الله عنهما.

ذكر نبذ من زهده

عن الحسن قال: كان عطاء سلمان الفارسي خمسة آلاف، وكان أميراً على زهاء

ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، فإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يديه.

وعن عمار ـ يعني الدهني ـ قال: كان عطاء سلمان الفارسي أربعة آلاف وكارة من ثياب، فيتصدق بها، ويعمل الخوص.

وعن مالك بن أنس أن سلمان الفارسي كان يستظل بالفيء حيثما دار، ولم يكن له بيت. فقال له رجل: ألا نبني لك بيتاً تستظل به من الحر وتسكن فيه من البرد؟ فقال له سلمان: نعم. فلما أدبر صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؟ قال: أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك وإن اضطجعت فيه أصاب رجليك، فقال سلمان: نعم.

وقال عبادة: وعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن سلمان: أنه تزوج امرأة من كندة، فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت المرأة، فلما بلغ البيت قال: ارجعوا أجركم الله، ولم يدخلهم. فلما نظر إلى البيت والبيت منجد ـ قال: أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة في كندة؟ فلم يدخل حتى نزع كل ستر في البيت غير ستر الباب، فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي رسول الله ﷺ، وأوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب. ورأى خدماً فقال: لمن هذه الخدم؟ قالوا: خدمك وخدم امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني خليلي أن لا أمسك إلا ما أنكح، أو أنكح، فإن فعلت فبغيهن كان على مثل أوزارهن من غير أن ينقص من أوزارهن شيء.

ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتن مخليات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم. فخرجن، فذهب إلى الباب فأجافه، وأرخى الستر ثم جاء فجلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة، فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يطيع. قال: فإن خليلي أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله. فقام وقامت إلى المسجد، فصليا ما بدا لهما، ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته.

فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم. ثم أعادوا فأعرض عنهم. ثم أعادوا، فأعرض عنهم. ثم قال: إنما جعل الله عز وجل الستور والخدر والأبواب لتواري ما فيها؛ حسب كل امرىء منكم أن يسأل عما ظهر له، فأما ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحدث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق».

وعن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن فقال: ما هذا؟ قال: بعثنا الخادم في عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين. ثم قال: فلان يقرؤك السلام، قال: متى

قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا، فقال: أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها. (رواه أحمد).

ذكر كسبه وعمله بيده

عن النعمان بن حميد قال: دخلت مع خالي على سلمان بالمدائن وهو يعمل الخوص فسمعته يقول: أشتري خوصاً بدرهم، فأعمله، فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهماً فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدق بدرهم، ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت.

ذكر نبذة من ورعه

عن أبي ليلى الكندي قال: قال غلام سلمان لسلمان: كاتبني. قال: ألك شيء؟ قال: لا. قال: فمن أين؟ قال: أسأل الناس. قال: تريد أن تطعمني غسالة الناس.

ذكر نبذ من تواضعه

عن ثابت قال: كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجل من الشام ومعه حمل تبن وعلى سلمان أندراورد وعباءة، فقال لسلمان: تعال احمل، وهو لا يعرف سلمان. فحمل سلمان فرآه الناس فعرفوه، فقالوا: هذا الأمير. فقال: لم أعرفك. فقال له سلمان: لا، حتى أبلغ منزلك. وفي رواية أخرى: إني قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك.

وعن عبد الله بن بريدة قال: كان سلمان إذا أصاب الشيء اشترى به لحماً، ثم دعا المجذومين فأكلوا معه.

وعن عمر بن أبي قرة الكندي قال: عرض أبي على سلمان أخته أن يزوجه فأبى، فتزوج مولاة يقال لها بقيرة. فأتاه أبو قرة فأخبر أنه في مبقلة له فتوجه إليه فلقيه معه زنبيل فيه بقل قد أدخل عصاه الزنبيل وهو على عاتقه.

وعن ميمون بن مهران، عن رجل من عبد القيس قال: رأيت سلمان في سرية وهو أميرها على حمار عليه سراويل وخدمتاه تذبذبان، والجند يقولون: قد جاء الأمير، قال سلمان: إنما الخير والشر بعد اليوم.

وعن أبي الأحوص قال: افتخرت قريش عند سلمان، فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة، ثم يؤدى بي إلى الميزان، فإن ثقلت فأنا كريم وإن خفت فأنا لئيم.

وعن أبي البختري قال: صحب سلمان رجل من بني عبس ليتعلم منه، فخرج معه، فجعل لا يستطيع أن يفضله في عمل، إن عجن سلمان فخبز وإن هيأ الرجل علفاً للدواب

ذهب سلمان فسقاها. حيث انتهوا إلى شط دجلة وهي تطفح، فقال سلمان للعبسي: انزل فاشرب. فنزل فشرب. فقال له سلمان: ازدد. فازداد... فقال له سلمان: كم تراك نقصت منها؟ فقال العبسي له: وما عسى أن أنقص منها؟ فقال سلمان: كذلك العلم تأخذ منه ولا ينقص، فعليك بالعلم بما ينفعك.

قال: ثم عبر إلى نهر دن، فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير فقال سلمان: يا أخا بني عبس، أما ترى إلى الذي فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حي؟ قال: فقلت: بلى. قال: فوالذي لا إله غيره لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم قفيز من قمح. قال: ثم سرنا حتى انتهينا إلى جلولاء، قال: فذكر ما فتح الله عليهم وما أصابوا فيها من الذهب والفضة، فقال: يا أخا بني عبس، أما ترى إلى الذي فتح خزائن هذه علينا كأن نراها ومحمد حي؟ قال: قلت: بلى، قال: والذي لا إله غيره لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم دينار ولا درهم.

ذكر ثناء الناس على سلمان واعترافهم بفضله

عن ابن عباس قال: قدم سلمان من عيبة له فتلقاه عمر فقال: أرضاك لله عبداً، قال: فزوجني، فسكت عنه، فقال: أترضاني لله عبداً ولا ترضاني لنفسك؟! فلما أصبح أتاه قوم فقال: حاجة؟ قالوا: نعم. قال: ما هي؟ قالوا: تضرب عن هذا الأمر ـ يعنون خطبته إلى عمر ـ، قال: أما والله ما حملني على هذا إمرته ولا سلطانه ولكن قلت رجل صالح عسى الله عز وجل أن يخرج مني ومنه نسمة صالحة.

وعن أبي الأسود الدؤلي قال: كنا عند علي ذات يوم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن سلمان، قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟ ذلك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والآخر، بحر لا ينزف. وأوصى معاذ بن جبل رجلاً أن يطلب العلم من أربعة، سلمان أحدهم.

ذكر نبذ من كلامه ومواعظه

عن حفص بن عمرو السعدي عن عمه قال: قال سلمان لحذيفة: يا أخا بني عبس العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك، ودع ما سواه فلا تعانه.

وعن أبي سعيد الوهبي عن سلمان قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل المريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه، وقال: لا تقربه؛ فإنك إن أتيته أهلكك. فلا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه. وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما قد فضل به غيره من العيش فيمنعه الله عز وجل إياه، ويحجزه حتى يتوفاه فيدخله الجنة.

وعن جرير قال: قال سلمان: يا جرير، تواضع لله عز وجل؛ فإنه من تواضع لله عز وجل في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا. قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا. قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين إصبعيه قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده. قال: قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر.

وعن أبي البختري عن سلمان قال: مثل القلب والجسد مثل أعمى ومقعد. قال المقعد: إني أرى تمرة ولا أستطيع أن أقوم إليها فاحملني، فحمله فأكل وأطعمه.

وعن قتادة قال: قال سلمان: إذا أسأت سيئة في سريرة فأحسن حسنة في سريرة، وإذا أسأت سيئة في علانية فأحسن حسنة في علانية لكي تكون هذه بهذه.

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد، أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغني أنك جعلت طبيباً فإن كنت تبرىء فنعماً لك، وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار. فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله، وارجعا إليّ أعيدا قصتكما.

عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي، قال: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه. وثلاث أحزنتني حتى أبكينني: فراق محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي عز وجل، ولا أدري إلى جنة أو إلى نار.

وعن حماد بن سلمة، عن سلمة، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان عن سلمان قال: ما من مسلم يكون بفيء من الأرض فيتوضأ أم يتيمم ثم يؤذن ويقيم إلا أمّ جنوداً من الملائكة لا يرى طرفهم، أو قال: طرفاهم.

وعن ميمون بن مهران قال: جاء رجل إلى سلمان، فقال: أوصني. قال: لا تكلم. قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم، قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت. قال: زدني، قال: لا تغضب، قال: إنه ليغشاني ما لا أملكه، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك، قال: زدني، قال: لا تلابس الناس. قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم. قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة.

وعن أبي عثمان عن سلمان قال: إن العبد إذا كان يدعو الله في السراء فنزلت به الضراء فدعا قالت الملائكة: صوت معروف من آدمي ضعيف. فيشفعون له. وإذا كان لا يدعو الله في السراء فنزلت الضراء قالت الملائكة: صوت منكر من آدمي ضعيف، فلا يشفعون له.

وعن حارثة بن مضرب قال: سمعت سلمان يقول: إني لأعد العراق على الخادم خشية الظن. ورواه زهير عن أبي إسحاق قال: إني لأعد عراق القدر مخافة الظن بخادمي.

وعن سالم مولى زيد بن صوحان قال: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق فمر علينا سلمان الفارسي وقد اشترى وسقا من طعام فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة ويئس منها الوسواس.

وعن أبي عثمان عن سلمان، قال: لما افتتح المسلمون جوخى دخلوا يمشون وأكداس الطعام فيها أمثال الجبال. قال: ورجل يمشي إلى جنب سلمان فقال: يا أبا عبد الله ألا ترى إلى ما أعطانا الله؟ فقال سلمان: وما يعجبك فما ترى إلى جنب كل حبة مما ترى حساباً. (رواه الإمام أحمد).

وعن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان على صديق له من كندة نعوده فقال له سلمان: إن الله عز وجل يبتلي عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كفارة لما مضى، فيستعتب فيما بقي. وإن الله عز وجل يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كالبعير عقله أهله ثم أطلقوه، فلا يدري فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه حين أطلقوه.

وعن محمد بن قيس، عن سالم بن عطية السدي قال: دخل سلمان على رجل يعوده وهو في النزع فقال: أيها الملك ارفق به. قال: يقول الرجل: إنه يقول إني بكل مؤمن رفيق والسلام.

ذكر وفاة سلمان رضي الله عنه

عن حبيب بن الحسن وحميد بن مورق العجلي: أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ، قال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب». فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا في بيته إلا إكافاً ووطاء ومتاعاً قُوّم نحواً من عشرين درهماً.

وعن عامر بن عبد الله عن سلمان أنه حين حضر الموت عرفنا به بعض الجزع، فقالوا: ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كان لك سابقة في الخير؟ شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة، وفتوحاً عظاماً. قال: يحزنني أن حبيبنا محمداً ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال: «ليكف المؤمن كزاد الراكب» فهذا الذي أحزنني.

قال: فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر ديناراً، هكذا قال عامر والباقون من الرواة يذكرون الدراهم.

عن سفيان، عن أشياخه قال: ودخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، فبكى

سلمان. فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض وترد عليه الحوض، قال: فقال سلمان: أما إني ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، لكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «لتكن بلغة أحدكم مثل زاد الراكب» وحولي هذه الأساود وإنما حوله إجانة أو جفنة أو مطهرة. قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله اعهد إلينا بعهد فنأخذ به بعدك. فقال: يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند بذلك إذا قسمت.

وعن الشعبي قال: أصاب سلمان صرة مسك يوم فتح جلولاء فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي المسك فمرسها في ماء، ثم قال: انضحيها حولي؛ فإنه يأتيني زوار الآن ليس بإنس ولا جان. ففعلت. فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض. وفي أخرى أنه قال: يجدون الريح ولا يأكلون الطعام.

وعن سعيد بن سوقة قال: دخلنا على سلمان نعوده وهو مبطون، فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ قالت: هو ذا. قال: ألقيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض ثم انضحي حول فراشي؛ فإنه الآن يأتينا قوم ليسوا بإنس ولا جن. ففعلت وخرجنا عنه، ثم أتيناه فوجدناه قد قبض رضي الله عنه.

وعن الشعبي قال: حدثني الجزل عن امرأة سلمان، بقيرة، قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني، وهو في علية لها أربعة أبواب فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي. ثم دعا بمسك له ثم قال لها: أديفيه في تور. ففعلت. ثم قال: انضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي؛ فسوف تطلعين فترينى على فراشي. فاطلعت، فإذا قد أخذ روحه كأنه نائم على فراشه أو نحو هذا.

قال أهل العلم بالسير: كان سلمان من المعمرين، أدرك وصي عيسى ابن مريم عليه السلام، وعاش مائتين وخمسين سنة، ويقال أكثر. وتوفي بالمدائن في خلافة عثمان، وقيل مات سنة ثنتين وثلاثين.

قال أبو بكر بن أبي داود: لسلمان ثلاث بنات، بنت بأصبهان، وبنتان بمصر.

وعن عبد الله بن سلام: أن سلمان قال له: يا أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراءى له. قال عبد الله بن سلام: أو يكون ذلك؟ قال نعم، إن نسمة المؤمن مخلاة تذهب في الأرض حيث شاءت، ونسمة الكافر في سجين. فمات سلمان.

قال عبد الله: فبينا أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لي فأغفيت إغفاءة، إذ جاء سلمان فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام عليك ورحمة الله يا أبا عبد الله، فكيف وجدت منزلك؟ قال: خيراً وعليك بالتوكل؛ فنعم الشيء التوكل. ردده ثلاث مرات رحمه الله.

٢٣ ـ سعد بن عبادة

«اللهم اجعل صلواتك على آل سعد بن عبادة»

اسمه

سعد بن عبادة، بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني النقيب سيد الخزرج.

يكنى أبا ثابت، وأبا قيس، وأمه عمرة بنت مسعود، لها صحبة، وماتت في زمن النبي ﷺ، وشهد سعد العقبة، وكان أحد النقباء، واختلف في شهوده بدراً، فأثبته البخاري. وقال ابن سعد: كان يتهيأ للخروج فنهس، فأقام، وقال النبي ﷺ: «لقد كان حريصاً عليها».

قال ابن سعد: وكان يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي، فكان يقال له: الكامل.

وفي سعد بن عبادة وسعد بن معاذ جاء الخبر المأثور أن قريشاً سمعوا صائحاً يصيح ليلاً على أبي قبيس:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد   بمكة لا يخشى خلاف المخالفُ

قال: فظنت قريش أنهما سعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن هديم من قضاعة، فلما كان الليلة الثانية سمعوا صوتاً على أبي قبيس:

أيا سعد، سعد الأوس كن أنت ناصراً   ويا سعد، سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا   على اللّه في الفردوس منية عارف

فإن ثواب اللّه للطالب الهدى   جنان من الفردوس ذات رفارف

قال: فقالوا: هذان والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وإليهما أرسل رسول الله ﷺ يوم الخندق يشاورهما فيما أراد أن يعطيه يومئذ عيينة بن حصن من تمر المدينة، وذلك أنه أراد أن يعطيه يومئذ ثلث تمر المدينة لينصرف بمن معه من غطفان، ويخذل الأحزاب فأبى عيينة إلا أن يأخذ نصف الثمر فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دون سائر الأنصار لأنهما كانا سيدي قومهما، كان سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، فشاورهما في ذلك، فقالا: يا رسول الله إن كنت أمرت بشيء فافعله وامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف.

فقال رسول الله ﷺ: «لم أؤمر بشيء، لو أمرت بشيء ما شاورتكما، إنما هو رأي أعرضه عليكما». فقالا: والله يا رسول الله ما طمعوا بذلك منا قط في الجاهلية، فكيف اليوم وقد هدانا الله بك، وأكرمنا وأيدنا، والله، لا نعطيهم إلا السيف.

فسر رسول الله ﷺ بقولهما، وقال لعيينة ومن معه: ارجع فليس بيننا وبينكم إلا السيف، ورفع بها صوته وكانت راية رسول الله ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن عبادة، فلما مر بها على أبي سفيان، وقد كان أسلم أبو سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل المحرمة اليوم أذل الله قريشاً، فأقبل رسول الله ﷺ في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك، فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا، وقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل المحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، وإني أنشدك الله في قومك وأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم.

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، والله ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ: «لا يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعز الله قريشاً»، وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ:

يا نبي الهدى إليك لجا حي ... قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض ... وعاداهم إلٰه السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ... ونودوا بالصليم[1] الصلعاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر ... بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ ... رمانا بالنسر والعِواء
وغر الصدر لا يهم بشيء ... غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح ... وجاءت عنه هند بالسوءة السِّواء[2]
إذ تنادى بذل حي قريش ... وابن حرب بدا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى ... يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من نهم الخزرج ... والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش ... فقعة القاع في كف الإماء
فانهينه فإنه أسد الأسد لدى ... الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يدير لنا الأمر ... وسكونا كالحية الصماء

(١) السيف.
(٢) الخلة القبيحة.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده وجعله بيد قيس ابنه ورأى النبي ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه إذا صار إلى ابنه وأبي سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته فعرفها سعد فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

إطعام سعد بن عبادة رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن سعد بن عبادة رضي الله عنه بصحفة أو جفنة مملوءة مخاً فقال: أبا ثابت، ما هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق، لقد نحرت أربعين ذات كبدة فأحببت أن أشبعك من المخ، فأكل النبي ﷺ ودعا له بخير.

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن سعد بن عبادة دعا النبي ﷺ، فأتاه بتمر وكسر فأكل، ثم أتاه بقدح من لبن فشرب، فقال: «أكل طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وصلت عليكم الملائكة، اللهم اجعل صلواتك على آل سعد بن عبادة».

وكان مشهوراً بالجود هو وأبوه وجدّه وولده، وكان لهم أطم ينادى عليه كل يوم: من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة، وكانت جفنة سعد تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه. عن محمد بن سيرين، قال: كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل، والرجل بالرجلين، والرجل بالخمسة. فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جفنة من ثريد في كل يوم، تدور معه أينما دار من نسائه. وكان إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال: اللهم ارزقني مالاً أستعين به على فعالي، فإنه لا يصلح الفعال إلا المال.

وعن عروة، عن أبيه أن سعد بن عبادة كان يدعو: اللهم هب لي حمداً وهب لي مجداً، لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من جاء بأسير فله سلبه». فجاء أبو اليسر بأسيرين، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله! حرسناك مخافة عليك. فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

عن ابن عباس قال: كان لواء رسول الله ﷺ مع علي ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة.

عن أنس قال: لما بلغ رسول الله ﷺ إقفال أبي سفيان قال: أشيروا عليّ. فقام أبو بكر، فقال: اجلس. فقام سعد بن عبادة، فقال: لو أمرتنا يا رسول الله أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا.

عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤]، قال سعد سيد الأنصار: هكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «يا معشر الأنصار، ألا تسمعون إلي ما يقول سيدكم؟»، قالوا: لا تلمه! فإنه غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلق امرأة قط فاجترأ أحد أن يتزوجها. فقال سعد: يا رسول الله! والله لأعلم أنها حق، وأنها من الله، ولكني قد تعجبت أن لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن في أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فلا آتي بهم حتى يقضي حاجته.

وفاته

توفى بحوران لسنتين ونصف في خلافة عمر، فما علم بموته بالمدينة حتى سمع غلمان قائلاً من بئر يقول:

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ... ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فذعر الغلمان، فحفظ ذلك اليوم، فوجدوه اليوم الذي مات فيه.

وإنما جلس يبول في نفق فمات من ساعته. ووجدوه قد اخضر جلده وقال يحيى بن بكير وابن عائشة وغيرهما: مات بحوران سنة ست عشرة.

٢٤ ـ زيد بن حارثة بن شراحيل

«يا زيد، أنت مولاي، ومني وإليّ، وأحب القوم إليّ»

اسمه

زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن امرىء القيس بن نعمان بن عمران بن عبد عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن الكلبي بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

زيد هبة خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ

ويقال له: زيد الحب. وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة دهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك اليوم رجعة فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي على منيتي وكل امرىء فان وإن غره الأمل
وأوصي به قيساً وعمراً كليهما وأوصي يزيداً ثم من بعده جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه.

فحج ناس من كعب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فقال: أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ، وقال:

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قطين البيت عند المشاعر
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كابراً بعد كابر

فانطلقوا، فأعلموا أباه، فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد فدخلا عليه، فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء. قال: ما هو؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول الله ﷺ: «فهلا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً. فقالوا: قد زدتنا على النصف وأحسنت.

فدعاه، فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي. قال: فأنا من قد علمت، ورأيت محبتي لك، فاخترني أو اخترهما. فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً. أنت مني بمنزلة الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: «يا من حضر، اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه». فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت

جحش. فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه، فنزلت: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية، وقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] فدعي يومئذ زيد بن حارثة.

سنه رضي الله عنه

وعن محمد بن الحسن بن أسامة بن زيد، عن أبيه قال: كان بين رسول الله ﷺ وبين زيد عشر سنين، ورسول الله ﷺ أكبر منه.

صفته وكنيته

وكان زيد رجلاً قصيراً، آدم، شديد الأدمة، في أنفه فطس، وكان يكنى أبا أسامة.

ثم قال ابن سعد: كذا صفته في هذه الرواية. وجاءت من وجه آخر أنه كان شديد البياض. وكان ابنه أسامة أسود، ولذلك أعجب رسول الله ﷺ بقول مجزز القائف حيث يقول: إن هذه الأقدام بعضها من بعض.

كيف صار إلى خديجة؟

عن أبي إسحاق قال: كان جبلة بن حارثة في الحي، فقالوا: أنت أكبر أم زيد؟ قال: زيد أكبر مني، وأنا ولدت قبله وسأخبركم، إن أمنا كانت من طي، فماتت، فبقينا في حجر جدّنا، فقال عماي لجدنا: نحن أحق بابني أخينا، فقال: خذا جبلة ودعا زيداً، فأخذاني فانطلقا بي، فجاءت خيل من تهامة فأخذت زيداً فوقع إلى خديجة فوهبته لرسول الله ﷺ.

عتقه

عن أبي فزارة قال: أبصر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة غلاماً ذا ذؤابة قد أوقفه قومه بالبطحاء للبيع، فأتى خديجة، فقالت: كم ثمنه؟ قال: سبعمائة، قالت: خذ سبعمائة، فاشتراه وجاء به إليها. فقال: أما إنه لو كان لي لأعتقته، قالت: فهو لك. فأعتقه.

وعن سليمان بن يسار وغيره قالوا: أول من أسلم زيد بن حارثة.

إيثاره النبي ﷺ

عن أبي عمرو الشيباني قال: أخبرني جبلة بن حارثة قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ابعث معي أخي زيداً، قال: هو ذا، فإن انطلق لم تمنعه. فقال زيد: لا والله! لا أختار عليك أحداً أبداً. قال: فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي.

عن أسامة قال: قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «يا زيد! أنت مولاي، ومني وإليّ، وأحب القوم إليّ».

وعن عبد الله بن دينار، سمع ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر أسامة على قوم فطعن الناس في إمارته، فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإن ابنه هذا لأحبّ الناس إليّ بعده».

عن أبي الحويرث قال: خرج زيد بن حارثة أميراً سبع سرايا.

في غزوة مؤتة

وهي بأدنى البلقاء في أرض الشام، وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم، أو بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن أصيب جعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة». عن الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلاً من الطائف اشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء، قال: فمال به إلى خربة فقال له: انزل، فنزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرة، قال: فلما أراد أن يقتله قال له: دعني أصلي ركعتين، قال: صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، قال: فلما صليت أتاني ليقتلني، قال: فقلت: يا أرحم الراحمين، قال: فسمع صوتاً: لا تقتله، فهاب فلم يجد شيئاً، فرجع إليّ فناديت: يا أرحم الراحمين، فعل ذلك ثلاثاً، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة من نار فطعنه بها فأنفذه من ظهره، فوقع ميتاً، ثم قال لي: لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا، فلما دعوت في المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك.

مناقبه

عن عائشة: ما بعث رسول الله ﷺ زيداً في جيش قطّ إلا أمره عليهم، ولو بقي بعده لاستخلفه.

قال أهل السير: وشهد زيد بدراً، وأحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وخرج أميراً في سبع سرايا ولم يسم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن باسمه غيره.

وكان له من الولد: زيد، هلك صغيراً، ورقية: أمهما أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأسامة: أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ.

مقتله

وقتل زيد في غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة.

عن خالد بن سعيد: لما أصيب زيد بن حارثة أتاهم النبي ﷺ قال: فجهشت بنت زيد في وجهه، فبكى رسول الله ﷺ حتى انتحب فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذا شوق الحبيب إلى حبيبه».

٢٥ ـ سعد بن معاذ

«اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ»

اسمه ونسبه

سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك السيد الكبير الشهيد، أبو عمر الأنصاري الأوسي الأشهلي، البدري الذي اهتز العرش لموته.

وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة.

عن عيسى بن جبر: أن قريشاً سمعت هاتفاً على أبي قبيس يقول:

فإن يصبح السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فقال أبو سفيان: من السعدان؟ سعد بكر، سعد تميم؟ فسمعوا في الليل الهاتف يقول:

أيا سعد، سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد، سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على اللّه في الفردوس منية عارف
فإن ثواب اللّه للطالب الهدى جنان من الفردوس ذات رفارف

فقال أبو سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

إسلامه

أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عُمير. فقال ابن إسحاق: لما أسلم وقف على قومه فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا فضلاً وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلامكم عليّ حرام، رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما بقي من دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا.

سعد بن معاذ مع أبي جهل

عن ابن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف، وكان إذا أمية انطلق إلى الشام يمر بالمدينة، فينزل عليه، فقال أمية له: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس طفت. فبينا سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل، فقال: من الذي يطوف آمناً؟ قال: أنا سعد، فقال: أتطوف آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ قال: نعم. فتلاحيا، فقال أمية: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي.

فقال سعد: والله لو منعتني لقطعت عليك متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول: لا ترفع صوتك فغضب وقال: دعنا منك، فإني سمعت محمداً ﷺ يقول: «إنه قاتلك»، قال: إياي؟ قال: «نعم»، قال: والله ما يكذب محمد. فكاد يحدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي؟ زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: والله ما يكذب محمد. فلما خرجوا لبدر قالت امرأته: ما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ فأراد أن لا يخرج. فقال له أبو جهل: إنك من أشراف أهل الوادي، فسر معنا يوماً أو يومين فسار معهم، فقتله الله.

أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن سهل أن عائشة كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وأم سعد معها، فعبر سعد عليه درع مقلصة قد خرجت منه ذراعه كلها وفي يده حربة يرفل بها، ويقول:

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا حمل — لا بأس بالموت إذا حان الأجل

يعني حمل بن بدر، فقالت له أمه: أي بني! قد أخرت، فقلت لها: يا أم سعد، لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي. فرمى سعد بسهم قطع منه الأكحل، رماه ابن العرقة فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحب إليّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك وكذبوه وأخرجوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

عن عائشة قالت: رمى سعداً رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة، فرماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، قالت: ثم إن كَلْمه تحجر للبُرْء. قالت: فدعا سعد فقال في ذلك: وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، واجعل موتي فيها. فانفجر من لبته، فلم يرعهم إلا والدم يسيل. قالوا: يا أهل الخيمة! ما هذا؟ فإذا جرح يغذو. فمات منها.

عن جابر قال: رمي سعد يوم الأحزاب فقطعوا أكحله، فحسمه النبي ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه، فنزفه الدم، فحسمه أخرى، فانتفخت يده. فلما رأى ذلك قال:

اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة. فاستمسك عرقه فما قطرت منه قطرة. حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحكم أن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه.

عن جابر قال: جلس النبي ﷺ على قبر سعد وهو يدفن فقال: «سبحان الله»، مرتين، فسبّح القوم، ثم قال: «الله أكبر، الله أكبر»، فكبروا فقال: «عجبت لهذا العبد الصالح شدد عليه في قبره، حتى كان هذا حين فرج له».

عن الحسن البصري قال: كان سعد بادناً، فلما حملوه وجدوا له خفة، فقال رجل من المنافقين: والله إن كان لبادناً وما حملنا أخف منه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إن له حملة غيركم. والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش».

عن عائشة قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا سعد ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه. جلست، فمر سعد وعليه درع قد خرجت منه أطرافه، وكان من أطول الناس وأعظمهم، فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر فيهم عمر، فقال: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة! ما يؤمنك أن يكون بلاء؟ فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها. وإذا رجل عليه مغفر، فرفعه عن وجهه، فإذا هو طلحة، فقال: ويحك! قد أكثرت، وأين التحرز والفرار إلا إلى الله؟.

عن عائشة قالت: أقبلنا مع رسول الله ﷺ قافلين من مكة حتى إذا كنا بذي الحليفة وأسيد بن حضير بيني وبين رسول الله ﷺ، فلقي غلمان بني عبد الأشهل من الأنصار، فسألهم أسيد فنعوا له امرأته، فتقنع يبكي، قلت له: غفر الله لك، أتبكي على امرأة وأنت صاحب رسول الله ﷺ وقد قدم الله لك من السابقة ما قدم؟ فقال: لا يحق لي أن لا أبكي على أحد بعد سعد بن معاذ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول ما يقول، قال: قلت: وما سمعت؟ قال: قال: «لقد اهتز العرش لوفاة سعد بن معاذ».

حدثنا أبو المتوكل أن النبي ﷺ ذكر الحمى فقال: «من كانت به فهو حظه من النار»، فسألها سعد بن معاذ ربه، فلزمته فلم تفارقه حتى مات.

عن عائشة قالت: حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، سعد بن معاذ، وهو يموت في القبة التي ضربها عليه رسول الله ﷺ في المسجد، قالت: والذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإني لفي حجرتي فكأنا كما قال الله: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾. قال علقمة: فقلت: أي أمه! كيف كان رسول الله ﷺ؟ قالت: كان لا تدمع عينه على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته.

عن رجل من الأنصار قال: لما قضى سعد في بني قريظة ثم رجع انفجر جرحه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاه فوضع رأسه في حجره وسجي بثوب أبيض، وكان رجلاً أبيض جسيماً. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن سعداً قد جاء في سبيلك، وصدق رسولك، وقضى الذي عليه فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحاً». فلما سمع سعد كلام رسول الله ﷺ فتح عينيه ثم قال: السلام عليك يا رسول الله إني أشهد أنك رسول الله.

وقال النبي ﷺ لأهل البيت: «استأذن الله من ملائكته عددكم في البيت ليشهدوا وفاة سعد»، قال: وأمه تبكي، وتقول:

ويـل أم سـعـد سـعـداً حـــزامـــة وجـــدا

فقيل لها: أتقولين الشعر على سعد؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوها فغيرها من الشعراء أكذب».

عن ابن عباس قال: لما انفجرت يد سعد بالدم، قام إليه ﷺ فاعتنقه، والدم ينفح من وجه رسول الله ﷺ ولحيته، حتى قضى.

عن محمود بن لبيد قال: لما أصيب أكحل سعد فثقل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة تداوي الجرحى. فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: «كيف أمسيت وكيف أصبحت؟» فتخبره، حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل، إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ فقيل: انطلقوا به. فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة». فانتهى إلى البيت وهو يغسل وأمه تبكيه وتقول:

ويـل أم سـعـد سـعـداً حـــزامـــة وجـــدا

فقال: «كل باكية تكذب، إلا أم سعد» ثم خرج به. قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه. قال: «ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم».

أخرج الواقدي عن أبي سعيد: كنت ممن حفر لسعد قبره بالبقيع، فكان يفوح علينا مسك كلما حفرنا، حتى انتهينا إلى اللحد.

أخرج ابن سعد عن جابر قال: لما انتهوا إلى قبر سعد نزل فيه أربعة: الحارث بن أوس، وأسيد بن الحضير، وأبو نائلة سلكان، وسلمة بن سلامة بن وقش، ورسول الله ﷺ واقف. فلما وضع في قبره تغير وجه رسول الله ﷺ، وسبح ثلاثاً، فسبح المسلمون حتى ارتج البقيع، ثم كبر ثلاثاً وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك فقال: تضايق على صاحبكم القبر، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا هو، ثم فرج الله عنه.

قال الذهبي: هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وصميمه في الدنيا، أو كما يجد من ألم مرض، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩]، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:١٨] فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي. ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رضي الله عنه كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع، ولا ألم، ولا خوف، سل ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد.

عن واقد بن عمرو بن سعد قال: دخلت على أنس بن مالك ـ وكان واقد من أعظم الناس وأطولهم ـ فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا واقد بن عمر بن سعد بن معاذ. قال: إنك بسعد لشبيه، ثم بكى فأكثر البكاء، ثم قال: يرحم الله سعداً، كان من أعظم الناس وأطولهم. بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أكيدر دومة، فبعث إلى رسول الله ﷺ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب. فلبسها رسول الله ﷺ فجعلوا يمسحونها وينظرون إليها، فقال: «أتعجبون من هذه الجبة؟» قالوا: يا رسول الله! ما رأينا ثوباً قط أحسن منه، قال: «فوالله لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون».

قيل: كان سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة ابني خالة.

وقال ابن إسحاق: آخى رسول الله ﷺ بين سعد بن معاذ وأبي عبيدة بن الجراح، وقيل: آخى بينه وبين سعد بن أبي وقاص.

عن عائشة قالت: كان في بني الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم، سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر، وذكر ابن إسحاق أنه لما أسلم على يد مصعب بن عمير قال لبني عبد الأشهل: كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تسلموا. فأسلموا فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام.

وروى ابن إسحاق في قصة الخندق، عن عائشة قالت: كنت في حصن بني حارثة وأم سعد بن معاذ معي فمر سعد بن معاذ وهو يقول:

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه: الحق يا بني فقد تأخرت، فقلت: يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ مما هي، قال: فأصابه السهم حيث خافت عليه، وقال الذي رماه: خذها وأنا ابن العرقة، فقال: عرق الله وجهك في النار. وابن العرقة اسمه حبان بن عبد مناف من بني

عامر بن لؤي، والعرقة أمه، وقيل: إن الذي أصاب سعداً أبو أمامة الجشمي.

وروى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن بني قريظة لما نزلوا على حكم سعد وجاء على حمار فقال النبي ﷺ: «قوموا إلى سيدكم».

وعن الحسن قال: لما مات سعد بن معاذ وكان رجلاً جسيماً جزلاً، جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره يقولون: لم نر كاليوم رجلاً أخف. قالوا: أتدرون لم ذلك؟ لحكمه في بني قريظة، فذكر للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده لقد كانت الملائكة تحمل سريره».

عن جابر عن النبي ﷺ قال: «اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ». (أخرجاه في الصحيحين).

وعن البراء: أن النبي ﷺ أتى بثوب حرير، فجعلوا يتعجبون من لينه ولينه. فقال: «لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أفضل وأخير ـ من هذا». (أخرجاه في الصحيحين).

٢٦ ـ ثابت بن قيس

«لا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته سواه»

اسمه

ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك، وهو الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وأمه امرأة من طيىء، يكنى: أبا محمد بابنه محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وكان ثابت خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ وشهد أحداً وما بعدها، وقتل يوم اليمامة، في خلافة أبي بكر شهيداً.

عن أنس مع الرسول ﷺ قال: خطب ثابت بن قيس مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فمالنا؟ قال: «الجنة» قالوا: رضينا.

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ افتقد ثابت بن قيس فقال: «من يعلم لي علمه؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فذهب فوجده في منزله جالساً منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ قال: شر، كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ فقد حبط عملي، وأنا من أهل النار، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأعلمه، قال موسى بن أنس: فرجع إليه، والله في المرة الأخيرة ببشارة عظيمة فقال: «اذهب فقل له: لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة».

وعن عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة، فسألت عمن يحدثني بحديث ثابت بن

قيس بن شماس، فأرشدوني إلى ابنته، فسألتها، فقالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨] اشتدت على ثابت، وغلق عليه بابه، وطفق يبكي، فأخبر رسول الله ﷺ، فأخبره بما كبر عليه منها، وقال: أنا رجل أحب الجمال، وأنا أسود قومي فقال: «إنك لست منهم، بل تعيش بخير، وتموت بخير، ويدخلك الله الجنة» فلما أنزل على رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات:٢] فعل مثل ذلك، فأخبر النبي ﷺ فأرسل إليه، فأخبره بما كبر عليه منها، وأنه جهير الصوت، وأنه يتخوف أن يكون ممن حبط عمله، فقال: «إنك لست منهم، بل تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، ويدخلك الله الجنة».

خطبة ثابت يرد فيها على عطارد بن حاجب خطيب وفد بني تميم

قال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس أخي بني الحارث بن الخزرج، بعد أن جلس عطارد: «قم فأجب الرجل في خطبته»، فقام ثابت، فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب الله حين دعاه رسول الله نحن، فنحن أنصار الله، ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدنا في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة، نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح».

في عهد أبي بكر

لما استنفر أبو بكر رضي الله عنه المسلمين إلى أهل الردة واليمامة ومسيلمة الكذاب، سار ثابت فيمن سار، قال أنس بن مالك: لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس بن شماس: ألا ترى يا عم؟ ووجدته يتحنط فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عودتم أقرانكم، وبئس ما عودتكم أنفسكم، اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني الكفار ـ وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء يعني المسلمين، ثم قاتل

حتى قتل بعد أن ثبت هو وسالم مولى أبي حذيفة؛ فقاتلا حتى قتلا، وكان على ثابت درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها.

فبينما رجل من المسلمين نائم، أتاه ثابت في منامه فقال له: إني أوصيك بوصية، فإياك أن تقول: هذا حلم، فتضيعه؛ إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن[1] في طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأتِ خالداً، فمره فليبعث فليأخذها؛ فإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ ـ يعني أبا بكر ـ فقل له: إن عليّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وفلان، فاستيقظ الرجل فأتى خالداً فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها على ما وصف، وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه، فأجاز وصيته، ولا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته سواه.

٢٧ ـ شداد بن أوس

«تكون أنت وولدك من بعدك أئمة»

اسمه

شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي، أبو يعلى، ويقال: أبو عبد الرحمن، وأمه صريمة، أو صرمة، من بني عدي بن النجار.

شهد أبوه بدراً، واستشهد بأحد.

فضائله

عن عبادة بن الصامت، قال: شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم، ومن الناس من أوتي أحدهما.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: فضل شداد بن أوس الأنصار بخصلتين: ببيان إذا نطق، وبكظم غيظ إذا غضب.

بشارة الرسول ﷺ لشداد

عن شداد بن أوس، أنه كان عند رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فقال: «ما لك يا شداد؟» قال: ضاقت بي الدنيا، فقال: «ليس عليك، إن الشام سيفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة فيها إن شاء الله تعالى».

(١) استن الفرس: عدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين، ولا راكب عليه.

نبذ من أقواله وأفعاله

عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر، فنزل منزلاً فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نعبث بها. فأنكرت عليه، فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها، غير كلمتي هذه، فلا تحفظوها علي، واحفظوا عني ما أقول لكم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

وعن أسد بن وداعة، عن شداد بن أوس، أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار أذهبت مني النوم. فيقوم فيصلي حتى يصبح.

وعنه قال: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلي، فيقول: اللهم إن النار قد أسهرتني. ثم يقوم إلى الصلاة.

وعن زياد بن ماهك: كان شداد بن أوس يقول: إنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه، ولن تروا من الشر إلا أسبابه، الخير كله بحذافيره في الجنة، والشر بحذافيره في النار، وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها وليدها.

خوفه وورعه

عن عبد الرحمن بن غنم قال: لما دخلنا مسجد الجابية أنا وأبو الدرداء، لقينا عبادة بن الصامت، قال: فبينا نحن كذلك إذ طلع علينا شداد بن أوس وعوف بن مالك فجلسا إلينا، فقال شداد:

إن أخوف ما أخاف عليكم ـ أيها الناس ـ ما سمعت من رسول الله ﷺ عن الشرك والشهوة الخفية، فقال عبادة وأبو الدرداء: اللهم غفراً! أو لم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب، أما الشهوة الخفية، فقد عرفناها، وهي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ قال شداد: أرأيتكم لو رأيتم رجلاً يصلي لرجل أو يصوم لرجل، أو يتصدق لرجل، أترون أنه قد أشرك؟ قالا: نعم! والله.

قال عوف بن مالك: أفلا يعمد الله عز وجل إلى ما يبتغى به وجهه من ذلك العمل فيتقبل منه ما خلص ويدع ما أشرك به؟ فقال شداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئاً فإن جسده وعمله،

وقليله وكثيره، لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني».

من مروياته عن رسول الله ﷺ

عن شداد بن أوس، قال رسول الله ﷺ: «إن التوبة تغسل الحوبة، وإن الحسنات يذهبن السيئات، وإذا ذكر العبد ربه في الرخاء أنجاه في البلاء، ذلك بأن الله تعالى يقول: لا أجمع لعبدي أبداً أمنين، ولا أجمع له خوفين، إن هو أمنني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنني يوم أجمع فيه عبادي في حظيرة القدس، فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق».

وفاته

قال ابن سعد: مات شداد سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين، وكانت له عبادة واجتهاد في العمل.

٢٨ ـ عبد الله بن رواحة

«رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة»

اسمه

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن ثعلبة. الأمير السعيد الشهيد أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر.

شهد بدراً والعقبة. يكنى أبا محمد، وأبا رواحة، وليس له عقب. وهو خال النعمان بن بشير، وكان من كتاب الأنصار، استخلفه النبي ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد، وبعثه النبي ﷺ في سرية في ثلاثين راكباً إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله.

قال الواقدي: وبعثه النبي ﷺ خارصاً على خيبر.

قال قتيبة: ابن رواحة وأبو الدرداء أخوان لأم.

عبادته رضي الله عنه

عن أنس قال: كان ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن ساعة. فقاله يوماً لرجل فغضب، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟ فقال: «رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة».

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى النبي ﷺ وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: اجلسوا. فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله».

وروي أن عبد الله بن رواحة أغمي عليه فأتاه النبي ﷺ فقال: «اللهم إن كان حضر أجله فيسر عليه، وإلا فاشفه» فوجد خفة، فقال: يا رسول الله أمي قالت: واجبلاه، واظهراه! وملك رفع مرزبة من حديد يقول: أنت كذا؟ فلو قلت نعم لقمعني بها.

قال أبو الدرداء: إن كنا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحارّ ما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة.

عن ابن أبي ليلى قال: تزوج رجل امرأة ابن رواحة، فقال لها: تدرين لم تزوجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته. فذكرت له شيئاً لا أحفظه، غير أنها قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين، وإذا دخل صلى ركعتين، لا يدع ذلك أبداً.

شاعر الرسول ﷺ

قال عروة: لما نزلت ﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال ابن رواحة: أنا منهم. فأنزل الله عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

قال ابن سيرين: كان شعراء رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك.

وعن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس وتهيؤوا للخروج إلى مؤتة دعا له المسلمون ولمن معه أن يردهم الله سالمين.

فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمٰن مغفرة ... وضربة ذات فزع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... يا أرشد اللّه من غاز وقد رشدا

قيل: لما جهز النبي ﷺ إلى مؤتة الأمراء الثلاثة فقال: الأمير زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فابن رواحة. فلما قتلا كره ابن رواحة الإقدام، فقال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... يا نفس طوعاً ولتكرهنه
فطال ما قد كنت مطمئنة ... ما لي أراك تكرهين الجنة
إذا أجلب الناس وشدوا الرنة

وعن الحكم بن عبد السلام بن النعمان بن بشير الأنصاري: أن جعفر بن أبي

طالب حين قتل دعا الناس: يا عبد الله بن رواحة، يا عبد الله بن رواحة، وهو في جانب العسكر، ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت مع الدنيا، ثم تقدم فقاتل، فأصيبت اصبعه، فارتجز فجعل يقول:

هل أنت إلا اصبع دميت ... وفي سبيل اللَّه ما لقيت
يا نفس إن لا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد لقيت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

شعره في المشركين

قال مدرك بن عمارة: قال ابن رواحة: مررت بمسجد النبي ﷺ، فجلست بين يديه، فقال: كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول، قلت: انظر في ذاك ثم أقول. قال: فعليك بالمشركين، ولم أكن قد هيأت شيئاً. ثم قلت: خبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر، فرأيته قد كره هذا إن جعلتُ قومه أثمان العباء، فقلت:

يا هاشم الخير إن اللَّه فضلكم ... على البرية فضلاً ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه ... فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت إن استنصرت بعضهم ... في حل أمرك ما آووا ولا نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فأقبل ﷺ بوجهه مستبشراً وقال: وإياك فثبت الله، وقال ابن سيرين: كان حسان وكعب يعارضان المشركين بمثل قولهم بالوقائع والمآثر. وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر وينسبهم إليه. فلما أسلموا وفقهوا كان أشدّ عليهم.

عن أنس قال: دخل النبي ﷺ في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: يا ابن رواحة! في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر؟ فقال النبي ﷺ: «خل يا عمر، فهو أسرع فيهم من نضح النبل».

أمانته في سبيل الله

عن سليمان بن يسار أن النبي ﷺ كان يبعث ابن رواحة إلى خيبر بينه وبين يهود، فجمعوا حلياً من نسائهم فقالوا: هذا لك وخفف عنا، قال: يا معشر يهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، والرشوة سحت. فقالوا: بهذا قامت السماء والأرض.

قصته مع زوجته

حدثنا عبد العزيز ابن أخي الماجشون: بلغنا أنه كانت لعبد الله بن رواحة جارية يستسرها عن أهله، فبصرت به امرأته يوماً وقد خلا بها، فقالت: لقد اخترت أمتك على حرتك؟ فجاحدها ذلك، قالت: فإن كنت صادقاً فاقرأ آية من القرآن، قال:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

قالت: فزدني آية، فقال:

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ملائكة الإله مقربينا

فقالت: آمنت بالله وكذبت البصر وكانت امرأته لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه. فأتى رسول الله ﷺ فحدثه، فضحك ولم ينكر عليه.

مقتله

كان استشهاد عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة بعد مقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب.

٢٩ ـ عمار بن ياسر

«إن عماراً ملىء إيماناً إلى مشاشه»

اسمه

عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الوذيم، وقيل: ابن قيس، والوذيم: حصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس، وعنس هو زيد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وبنو مالك بن أدد من مذحج.

الإمام الكبير أبو اليقظان العنسي المكي، مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين، والأعيان البدريين. وأمه هي سمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابيات أيضاً.

قال ابن سعد: قدم والد عمار بن ياسر بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة يطلبون أخاً لهم، فرجع أخواه وأقام ياسر بمكة. وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فزوجه أمة له اسمها سمية بنت خُباط، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، ثم مات أبو حذيفة، فلما جاء الله بالإسلام أسلم عمار وأبواه وأخوه عبد الله، وتزوج بسمية بعد ياسر الأزرق الرومي غلام الحارث بن كلدة، الثقفي وله صحبة، وهو والد سلمة بن الأزرق.

عن مجاهد: أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكرهم، زاد: فجاء أبو جهل يشتم سمية، وجعل يطعن بحربته في قلبها حتى قتلها، فكانت أول شهيدة في الإسلام.

صفته

عن لؤلؤة مولاة أم الحكم بنت عمار أنها وصفت لهم عماراً: آدم طوالاً، مضطرباً، أشهل العين، بعيد ما بين المنكبين، لا يغير شيبه.

وعن كليب بن منفعة، عن أبيه قال: رأيت عماراً بالكناسة أسود جعداً وهو يقرأ.

وعن خالد بن سمير قال: كان عمار بن ياسر طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة. وكان عامة كلامه عائذاً بالله من فتنة. (رواه أحمد).

إسلامه

عن عبد الله قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فألبسوهم المشركون أدراع الحديد وصفدوهم في الشمس، وما فيهم أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأعطوه الولدان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد.

عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، وكان رسول الله ﷺ يمر به ويمر يده على رأسه ويقول: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كانت على إبراهيم عليه السلام».

وعن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذ بيدي نتماشى في البطحاء حتى أتينا على أبي بكر وعمار وأمه وهم يعذبون. فقال ياسر: الدهر كذا. فقال له النبي ﷺ: «اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر». قال: وقد فعلت.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله؛ ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير. فقال رسول الله ﷺ: «فكيف تجد قلبك؟» قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعد».

تعذيبه

عن قتادة قال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل:١٠٦] نزلت في عمار.

وعن عمرو بن الحكم قال: كان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب وفيهم نزل: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [النحل:١١٠].

عن عثمان، قال رسول الله ﷺ: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

هجرته

هاجر عمار إلى أرض الحبشة، وصلى القبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها، وأبلى ببدر بلاء حسناً، ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضاً، ويومئذ قطعت أذنه.

نبذ من حياته وفضائله

عن عمار قال: قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس، قيل: وكيف؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً فأخذت قربتي ودلوي لأستقي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه سيأتيك على الماء آت يمنعك منه». فلما كنت على رأس البئر إذا برجل أسود كأنه مرس، فقال: والله لا تستقي اليوم منها، فأخذني وأخذته فصرعته، ثم أخذت حجراً فكسرت وجهه وأنفه، ثم ملأت قربتي وأتيت رسول الله ﷺ فقال: «هل أتاك على الماء أحد؟» قلت: فقصصت عليه القصة، فقال: «أتدري من هو؟» قلت: لا، فقال: «ذاك الشيطان».

عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام، فأغلظت له، فشكاني إلى رسول الله ﷺ، فقال: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله» فخرجت، فما شيء أحب إليّ من رضاء عمار، فلقيه فرضي.

عن حارثة بن مضرب قال: قرىء علينا كتاب عمر: أما بعد، فإني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بابن أم عبد على نفسي. رواه شريك فقال: آثرتكم بهما على نفسي.

ويروى أن عمر جعل عطاء عمار ستة آلاف.

عن شعبة عن قيس: سمع طارق بن شهاب يقول: إن أهل البصرة غزوا نهاوند فأمدهم أهل الكوفة وعليهم عمار فظفروا، فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة شيئاً، فقال رجل تميمي: أيها الأجدع تريد أن تشاركنا في غنائمنا؟ فقال عمار: خير أذني سببت، فإنها أصيبت مع رسول الله ﷺ، قال: فكتب في ذلك إلى عمر فكتب عمر: إن الغنيمة لمن شهد الواقعة.

عن الحارث بن سويد: أن رجلاً من الكوفة وشى بعمار إلى عمر، فقال له عمار: إن كنت كاذباً فأكثر الله مالك وولدك وجعلك موطأ العقبين. ويقال: سعوا بعمار إلى عمر بأشياء كرهها فعزله ولم يؤنبه.

وقيل: إن جريراً سأله عمر عن عمار فقال: هو غير كاف ولا عالم بالسياسة.

عن حبيب بن أبي ثابت، قال: سألهم عمر عن عمار، فأثنوا عليه وقالوا: والله ما

أنت أمرته علينا ولكن الله أمره، فقال عمر: اتقوا الله وقولوا كما يقال، فوالله لأنا أمرته عليكم فإن كان صواباً فمن قبل الله، وإن كان خطأ إنه من قبلي.

عن الشعبي، قال عمر لعمار: أساءك عزلنا إياك؟ قال: لئن قلت ذاك لقد ساءني حين استعملتني وساءني حين عزلتني.

عن ابن عمر، قال: رأيت عماراً يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر، هلموا إليّ! وأنا انظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال.

عن إبراهيم أن عماراً كان يقرأ يوم الجمعة على المنبر بـ(يس)، وقال زر: رأيت عماراً قرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١] وهو على المنبر فنزل فسجد.

عن هانىء بن هانىء قال: كنا جلوساً عند علي، فدخل عمار فقال: مرحباً بالطيب المطيب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عماراً ملىء إيماناً إلى مشاشه».

مناقبه

عن أبي سعيد قال: أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد، فجعلنا ننقل لبنة وعمار ينقل لبنتين لبنتين، فترب رأسه، فحدثني أصحابي ولم أسمعه من رسول الله أنه جعل ينفض رأسه ويقول: «ويحك يا ابن سمية! تقتلك الفئة الباغية».

في الفتنة

ويروى عن عمار قال: كنت ترباً لرسول الله ﷺ لسنه. وروى عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة قال: رأيت عماراً يوم صفين شيخ آدم، طوال، وإن الحربة في يده لترعد، فقال: والذي نفسي بيده، لقد قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أننا على الحق وأنهم على الباطل.

وسمع عمار بصفين يقول: أزفت الجنان وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمداً ﷺ.

عن ابن عمر، قال: ما أعلم أحداً خرج في الفتنة يريد الله إلا عماراً وما أدري ما صنع.

عن أبي عبد الرحمن السلمي، شهدنا مع علي رضي الله عنه صفين، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عماراً يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم تقدم، الجنة تحت الأبارقة:

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

قال: فلم أر أصحاب محمد ﷺ قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ، وقال أبو مسعود وطائفة لحذيفة حين احتضر، وقد ذكر الفتنة: إذا اختلف الناس بمن تأمرنا؟ قال: عليكم بابن سمية، فإنه لن يفارق الحق حتى يموت، أو قال: فإنه يدور مع الحق حيث دار.

وعن أبي سنان الدؤلي صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه. ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شيء يرويه من الدنيا صبحة لبن». ثم قال: والله لو هزمونا حتى يبلغونا شعاف هجر لعلمنا أنا على حق وأنهم على باطل.

عن عبد الله بن زناد، قال عمار: إنّ أمنا، يعني عائشة، قد مضت لسبيلها وإنها لزوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نطيع أو إياها.

قال أبو إسحاق السبيعي: قال عمار لعليّ: ما تقول في أبناء من قتلنا؟ قال: لا سبيل عليهم، قال: لو قلت غير ذا خالفناك.

من أقواله

عن عمار أنه قال: ثلاثة من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان، أو قال: من كمال الإيمان: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم.

وقال وهو يسير إلى صفين إلى جنب الفرات: اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقى نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت، وإني لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك.

مقتله

عن أبي بكر بن حزم قال: لما قتل عمار دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فقام عمرو فزعاً إلى معاوية فقال: ما شأنك؟ قال: قتل عمار. قال: قتل عمار فكان ماذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، قال: أنحن قتلناه؟ وإنما قتله علي وأصحابه،

جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا.

قال الذهبي: كانت صفين في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين.

٣٠ ـ عبد الله بن العباس

«نعم ترجمان القرآن ابن عباس»

اسمه

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

يكنى أبا العباس. ولد في الشعب، وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

منزلته

وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان حبر الأمة، ويسمى البحر لغزارة علمه، وكان عمر وعثمان رضي الله عنهما يدعوانه فيشير عليهما مع أهل بدر، وكان يفتي في عهدهما إلى أن مات.

دعاء الرسول ﷺ له

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل، قال: فقالت له ميمونة: وضع لك هذا يا رسول الله عبد الله بن عباس. فقال ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

وعن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمني إليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم علمه الحكمة».

وعنه، عن ابن عباس قال: رأيت جبريل عليه السلام مرتين، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال: «اللهم بارك فيه وانشر منه».

طلبه العلم

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجباً لك يا ابن عباس، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟

قال: فتركت ذلك، وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليّ في بيتك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث.

فعاش ذلك الفتى الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني.

تفسيره القرآن

عن الحسن قال: كان ابن عباس يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة، وآل عمران فيفسرهما آية آية.

سعة علمه

وكان عمر إذا ذكره قال: ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول.

وعن المغيرة قال: قيل لابن عباس: أنّى أصبت هذا العلم؟ قال: لسان سؤول وقلب عقول.

وعن مسروق قال: قال عبد الله: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره منا أحد. وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

مجلسه للعلم

وعن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً. رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج فقل لهم من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل.

قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، قال: فخرجت فقلت لهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله.

ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله.

قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان لها فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.

وعن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن رجلاً أتاه يسأله عن السماوات والأرض ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فسله، ثم تعال فأخبرني ما قال.

فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس: كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال: إن ابن عباس قد أوتي علماً، صدق، هكذا كانت.

ثم قال ابن عمر: لقد كنت أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أوتي علماً.

وعن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمى البحر، من كثرة علمه.

وعن شقيق قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، ولو سمعته فارس والروم لأسلمت.

وكان طاوس يقول: كان ابن عباس قد بسق على الناس في العلم كما بسق النخلة السحوق على الودي الصغار.

نبذ من سيرته

وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شطر الليل يرتل ويكثر في ذلك التسبيح.

وعن أبي رجاء قال: كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالي.

وعن طاوس، كان يقول: ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل من ابن عباس، والله لو أشاء إذا ذكرته أن أبكي لبكيت.

وعن سماك: أن ابن عباس سقط في عينيه الماء فذهب بصره، فأتاه هؤلاء الذين يثقبون ويسيلون الماء، فقالوا: خل بيننا وبين عينيك نسيل ماءهما، ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلي، يعني قائماً. قال: لا والله ولا ركعة واحدة، وإني حدثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان.

مع عمر

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر رضي الله عنه يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم. فقال بعضهم: أتأذن لهذا الفتى ومن أبنائنا من هو مثله؟ فقال: فإنه ممن قد علمتم.

فأذن لهم يوماً وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١ـ٣]، فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه إذا فتح الله عليه أن يستغفر وأن يتوب إليه. فقال لي: ما تقول يا ابن عباس؟ فقال: ليس كذلك، ولكنه أخبر نبيه ﷺ بحضور أجله، فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾﴾ أي فعند علامة موتك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾.

فقال لهم: كيف تلوموني عليه بعدما ترونه؟

وعن الأوزاعي قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس: والله إنك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم عقلاً، وأفقههم في كتاب الله عز وجل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد، وكان يقول لي: لا تكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤون رأسه.

فخره بعلمه وحبه للخير

وعن ابن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وأني أسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي به من سائمة.

وعن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة.

وعن أبي حمزة، عن ابن عباس قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكر فيها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن هذرمة.

من مواعظه

عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله، أحب إليّ من حجة بعد حجة، ولطبق بدانق أهديه إلى أخ لي في الله أحب إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل.

وعن الضحاك، عن ابن عباس قال: لما ضرب الدينار أخذه إبليس فوضعه على عينيه، وقال: أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، بك أُطغي، وبك أكفر، وبك أدخل الناس النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدني.

وعن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن: الموت.

وعن عكرمة، عن ابن عباس قال: خذ الحكمة ممن سمعت، فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم، فتكون كالرمية خرجت من غير رام.

وعن الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: يا صاحب الذنب لا تأمنن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذي صنعته، وضحكك، وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته.

عن ابن عباس قال: لا تقوم الساعة وواحد يقول: الله الله.

صلاته

عن عبد الله بن أبي مليكة قال: صحبت ابن عباس من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى المدينة فكان يصلي ركعتين وكان يقوم شطر الليل يكثر والله في ذلكم التسبيح.

من أقواله

عن ابن عباس قال: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك.

عن سعيد الحريري عن رجل، قال: رأيت ابن عباس آخذاً بثمرة لسانه وهو يقول: ويحك قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم، قال: فقال له رجل: يا ابن عباس، ما لي أراك آخذاً بثمرة لسانك تقول كذا وكذا؟ قال: بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه على لسانه.

لباسه

عن حمزة قال: رأيت ابن عباس قميصه متقلصاً فوق الكعب والكم يبلغ أصول الأصابع يغطي ظهر الكف.

ما قاله الشعراء فيه

قال أبو عمرو بن العلاء: نظر الحطيئة إلى ابن عباس في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه غالباً عليه، فقال: من هذا الذي برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه؟ قالوا: عبد الله بن عباس، فقال فيه أبياتاً منها:

إني وجدت بيان المرء نافلة ... تهدى له ووجدت العي كالصمم
والمرء يفنى ويبقى سائر الكلم ... وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم

وفيه يقول حسان بن ثابت:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه ... رأيت له في كل أحواله فضلا
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... بمنتظمات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع ... لذي إربة في القول جداً ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة ... فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا
خلقت خليقاً للمروءة والندى ... فليجا ولم تخلق كهاماً ولا جبلا

ويروى أن معاوية نظر إلى ابن عباس يوماً يتكلم فأتبعه بصره وقال متمثلاً:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر

وروي أن عبد الله بن صفوان بن أمية مرّ يوماً بدار عبد الله بن عباس بمكة، فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه، ومرّ بدار عبيد الله بن عباس فرأى فيها جماعة يتناوبونها للطعام، فدخل على ابن الزبير فقال له: أصبحت والله كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة ... لم نبك منك على دنيا ولا دين

قال: وما ذاك يا أعرج؟ قال: هذان ابنا عباس أحدهما يفقه الناس والآخر يطعم الناس، فما أبقيا لك مكرمة، فدعا عبد الله بن مطيع وقال: انطلق إلى ابني عباس فقل لهما يقول لكما أمير المؤمنين اخرجا عني، أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق وإلا فعلت وفعلت، فقال عبد الله بن عباس لابن الزبير: والله ما يأتينا من الناس إلا رجلان رجل يطلب فقهاً ورجل يطلب فضلاً، فأي هذين تمنع؟ وكان بالحضرة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني فجعل يقول:

لا در در الليالي كيف تضحكنا ... منا خطوب أعاجيب وتبكينا

ومثل ما تحدث الأيام من عبر في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيسمعنا فقهاً ويكسبنا أجراً يهدينا
ولا يزال عبيد اللّه مترعة جفانه مطعماً ضيفا ومسكينا
فالبر والدين والدنيا بدارهما ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كشطت به عمايات ماضينا وباقينا
ورهطه عصمة في ديننا لهم فضل علينا وحق واجب فينا
ففيم تمنعنا منهم وتمنعهم منا وتؤذيهم فينا وتؤذينا
ولست فاعلم بأولاهم به رحماً يا بن الزبير ولا أولى به دينا
أن يؤتي اللّه إنساناً يبغضهم في الدين عزاً ولا في الأرض تمكينا

ذكر وفاة ابن عباس رضي الله عنه

توفي ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة.

وعن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف، فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد، فلما سوى عليه سمعنا صوتاً نسمع صوته ولا نرى شخصه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى (٢٩) وَٱدْخُلِى جَنَّتِى (٣٠)﴾ [الفجر: ٢٧ـ٣٠].

ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاة ابن عباس صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق.

لما مات ابن عباس قال ابن الحنفية: اليوم مات رباني هذه الأمة.

٣١ ـ عبد الله بن مسعود

«من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأ قرآن ابن أم عبد»

اسمه

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمٰن الهذلي المكي المهاجري البدري، حليف بني زهرة.

كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدراً وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة.

نسب أمه

قال محمد بن سعد: أمه هي أم عبد بنت عبد ود بن سواء من بني زهرة.

صفته

عن عبد الله قال: كناني النبي ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يولد لي. وعن نويفع مولى ابن مسعود قال: كان عبد الله من أجود الناس ثوباً أبيض، وأطيب الناس ريحاً، وكان عبد الله لطيفاً، فطيناً، وكان معدوداً في أذكياء العلماء.

وعن ابن المسيب قال: رأيت ابن مسعود عظيم البطن، أحمش الساقين.

قال الذهبي: رآه سعيد لما قدم المدينة عام توفي سنة اثنتين وثلاثين، وكان يعرف أيضاً بأمه، فيقال له: ابن أم عبد.

قال قيس بن أبي حازم: رأيته آدم خفيف اللحم. وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان عبد الله نحيفاً، قصيراً.

دقة ساقيه

وروي عن زر بن حبيش عن ابن مسعود: أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد».

قال موسى بن عقبة: وممن قدم من مهاجرة الحبشة، الهجرة الأولى إلى مكة، على رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، ثم هاجر إلى المدينة.

المؤاخاة

عن أنس: أن النبي ﷺ آخى بين الزبير وابن مسعود.

وصفه الرسول ﷺ

عن زيد بن وهب قال: قال عبد الله: إن أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ: قدمت مكة مع عمومة لي أو أناس من قومي نبتاع منها متاعاً، وكان في بغيتنا شراء عطر، فأرشدونا على العباس، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم، فجلسنا إليه، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا، أبيض، تعلوه حمرة، له وفرة جعدة، إلى أنصاف أذنيه، أشم، أقنى، أذلف، أدعج العين، براق الثنايا، دقيق المسربة، شثن الكفين والقدمين، كثّ اللحية، عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشي على يمينه غلام حسن الوجه، مراهق أو محتلم، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصد نحو الحجر، فاستلم، ثم استلم الغلام، واستلمت المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً وهما

يطوفان معه، ثم استقبل الركن، فرفع يده وكبر، وقام ثم ركع، ثم سجد ثم قام. فرابنا شيء أنكرناه لم نكن نعرفه بمكة. فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل! إن هذا الدين حدث فيكم أو أمر لم نكن نعرفه. قال: أجل والله ما تعرفون هذا، هذا ابن أخي محمد بن عبد الله والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته. أما والله ما على وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

إسلامه

عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال عبد الله: لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا.

وقال ابن إسحاق: أسلم ابن مسعود بعد اثنين وعشرين نفساً.

وعن يزيد بن رومان قال: أسلم عبد الله قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، ومرّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: يا غلام! هل من لبن؟ قلت: نعم، ولكني مؤتمن. قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها فنزل لبن فحلب في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلص. فقلص. زاد أحمد قال: فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا القول، فمسح رأسي وقال: «يرحمك الله، إنك عليم معلم».

ورواه أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة وفيه زيادة منها: ولقد أخذت من فيه سبعين سورة ﷺ ما نازعني فيها بشر.

عن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا. وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ورجلان نسيت اسمهما. فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله وحدث به نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] الآيتين.

ملازمته النبي ﷺ

وعن عبد الله بن عتبة قال: كان ابن مسعود صاحب سواد رسول الله ـ يعني سرّه ـ ووساده ـ يعني فراشه ـ وسواكه ونعليه وطهوره وهذا يكون في السفر.

عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله يُلبس رسول الله ﷺ نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعه وأعطاه العصا، وكان يدخل الحجرة أمامه بالعصا.

وأخرج البخاري والنسائي من حديث أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً وما نحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي ﷺ لكثرة دخولهم وخروجهم عليه.

إذن النبي ﷺ

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، إذنك عليّ أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك». والسواد: السِّرّ.

ثناء الرسول ﷺ عليه

عن أبي الدرداء قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة خفيفة، فلما فرغ من خطبته قال: «يا أبا بكر! قم فاخطب»، فقام أبو بكر فخطب فقصر دون النبي ﷺ، ثم قال: «يا عمر قم فاخطب»، فقام عمر فقصر دون أبي بكر، ثم قال: «يا فلان، قم فاخطب»، فشقق القول، فقال رسول الله ﷺ: «اسكت أو اجلس فإن الشقيق من الشيطان وإن البيان من السحر». وقال: «يا ابن أم عبد، قم فاخطب»، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن الله عز وجل ربنا، وإن الإسلام ديننا، وإن القرآن إمامنا، وإن البيت قبلتنا، وإن هذا نبينا ـ وأومأ إلى النبي ﷺ ـ رضينا ما رضي الله لنا ورسوله، وكرهنا ما كره الله ورسوله والسلام عليكم.

فقال رسول الله ﷺ: «أصاب ابن أم عبد وصدق، رضيت بما رضي الله لأمتي وابن أم عبد، وكرهت ما كره الله لأمتي وابن أم عبد».

علمه بالقرآن

عن مسروق، قال عبد الله: والذي لا إلٰه غيره، لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته.

عن عبد الله قال: ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلمُ أين نزلت وفيما نزلت.

عن حميد بن مالك قال: قال عبد الله: لقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وزيد له ذؤابة يلعب مع الغلمان.

عن شقيق، قال عبد الله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] على قراءة من تأمروني أن أقرأ؟ لقد قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سورة، ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه. قال شقيق: فجلست في خلق من أصحاب محمد ﷺ فما سمعت أحداً منهم يعيب عليه شيئاً مما قال ولا يرد عليه.

عن أبي وائل قال: لما أمر عثمان بتشقيق المصاحف، قام عبد الله خطيباً وقال: لقد علم أصحاب محمد ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله. ثم قال: وما أنا بخيرهم.

وعن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن».

قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري».

فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] فغمزني برجله، فإذا عيناه تذرفان.

علمه

عن عبد الله قال: كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات لم نتعلم التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيها، يعني من العلم.

عن أبي البختري قال: سئل علي عن ابن مسعود فقال: قرأ القرآن ثم وقف عنده وكفى به.

عن زيد بن وهب قال: إني لجالس مع عمر بن الخطاب إذ جاء ابن مسعود فكاد الجلوس يوارونه من قصره، فضحك عمر حين رآه، فجعل عمر يكلمه ويتهلل وجهه ويضاحكه، وهو قائم عليه، ثم ولّى، فأتبعه عمر بصره حتى توارى، فقال: كنيف[1] مليء علماً.

وعن الشعبي، قال: ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركباً في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود، فأمر عمر رجلاً يناديهم: من أين القوم؟ فأجابه عبد الله: أقبلنا من الفج العميق. فقال عمر: أين تريدون؟ فقال عبد الله: البيت العتيق. فقال عمر: إن فيهم عالماً. وأمر رجلاً فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى ختم الآية، قال: نادهم أي القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، فقال عمر: نادهم أي القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فقال عمر: نادهم أي القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] الآية، فقال عمر: نادهم أي القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، فقال عمر: نادهم أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم.

عن قيس بن مروان أنه أتى عمر فقال: جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب، فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرحل، فقال: ومن هو ويحك؟ فقال: ابن مسعود. فما زال يطفيء غضبه ويتسرى عنه حتى عاد إلى حاله، ثم قال: ويحك! والله ما أعلم بقي من الناس أحد هو أحقّ بذلك منه، وسأحدثك: كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة، في الأمر من أمر المسلمين، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته، فلما

(١) كنيف: حظيرة من خشب أو شجر تتخذ.

كدنا أن نعرفه قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». قال: ثم جلس يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول: «سل تعطه».

فكان يقول: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد. فأتى عمر عبد الله يبشره، فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه فقال: إنك لسباق بالخير.

وعن عبد الله بن يزيد قال: أتينا حذيفة فقلنا له: حدثنا بأقرب الناس برسول الله ﷺ هدياً، وسمتاً، ودلاً، نأخذ عنه ونسمع منه. قال: كان أقرب الناس برسول الله، سمتاً وهدياً ودلاً، عبد الله بن مسعود، حتى يتوارى عنا في بيته، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى والسلام.

ذكر تعبده

عن زر، عن عبد الله، أنه كان يصوم الاثنين والخميس.

وعن عبد الرحمن بن يزيد، قال: ما رأيت فقيهاً قط أقل صوماً من عبد الله، فقيل له: لم لا تصوم؟ قال: إني أختار الصلاة على الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

وعن محارب بن دثار، عن عمه محمد، قال: مررت بابن مسعود بسحر وهو يقول: اللهم دعوتني فأجبتك، وأمرتني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي.

فلما أصبحت غدوت عليه فقلت له، فقال: إن يعقوب لما قال لبنيه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٨] أخرهم إلى السحر.

ذكر ورعه

عن عمرو بن ميمون، قال: اختلفت إلى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ ولا يقول فيها: قال رسول الله، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ، فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته، ثم قال: إن شاء الله تعالى، إما فوق ذلك، وإما قريب من ذلك، وإما دون ذلك.

ذكر شدة خوفه وبكائه رضي الله عنه

عن مسروق قال: قال رجل عن عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إلي. فقال عبد الله: لكن ها هنا رجل ود أنه إذا مات لا يبعث. يعني نفسه.

عن زيد بن وهب قال: رأيت بعيني عبد الله أثرين أسودين من البكاء.

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لي: اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رماداً؟ لأحببت أن أكون رماداً.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله: وددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي وأنه لا يُعرف نسبي.

ذكر تواضعه

عن حبيب بن أبي ثابت قال: خرج ابن مسعود ذات يوم اتبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك. قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

ذكر إيثاره ثواب الآخرة

عن الأحوص الجشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له، ثلاثة غلمان، كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم، قلنا: والله إي والله بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم. فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير، قد عشش فيه خطاف وباض، فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي عن تراب قبورهم أحب إليّ أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه.

وعن قيس بن جبير قال: قال عبد الله: حبذا المكروهان الموت والفقر، وايم الله إن هو إلا الغنى والفقر، وما أبالي بأيهما بليت، إن حق الله في كل واحد منهما واجب، وإن كان الغنى إن فيه للعطف، وإن كان الفقر إن فيه للصبر.

عن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال أراهم، بخير أو بشر، أم بضر، وما أصبحت على حالة فتمنيت أني على سواها.

قصته مع زوجته

أخرج الإمام أحمد، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب تنحنح، وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح، وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير.

قالت: فدخل فجلس إلى جانبي، فرأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط رقي لي فيه، فأخذه فقطعه، ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة[١] شرك»، قالت: قلت له: لم تقول هذا؟ وقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت، فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب البأس رب الناس، اشف

---

(١) التولة: السحر.

وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً».

مناقبه رضي الله عنه

هو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ.

قال الذهبي: قال عبد الله: انتهيت إلى أبي جهل، وهو صريع، وهو يذبّ الناس بسيفه، فقلت: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله! قال: هل هو إلا رجل قتله قومه. فجعلت أتناوله بسيف لي فأصبت يده، فبدر سيفه، فأخذته فضربته به، حتى برد. ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ وكأنما أقل من الأرض، فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو؟» قال: فقام معي حتى خرج يمشي معي حتى قام عليه، فقال: الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله، هذا كان فرعون هذه الأمة.

عن عكرمة، قال ابن عباس: ما بقي مع رسول الله ﷺ يوم أحد إلا أربعة أحدهم ابن مسعود.

عن حارثة بن مضرب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: إنني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

مع عثمان

عن زيد بن وهب قال: لما بعث عثمان إلى ابن مسعود يأمره بالمجيء إلى المدينة، اجتمع إليه الناس فقالوا: أقم، فلا تخرج ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه. فقال: إنّ له عليّ طاعة وإنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها. فردّ الناس وخرج إليه.

مع الصحابة

عن علقمة قال: كنا عند عبد الله فجاء خباب بن الأرت حتى قام علينا في يده خاتم من ذهب، فقال: أكل هؤلاء يقرأون كما يقرأ، فقال عبد الله: إن شئت أمرت بعضهم يقرأ. قال: أجل، فقال: اقرأ يا علقمة! فقال فلان: أتأمره أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال عبد الله: إن شئت حدثتك، قال رسول الله ﷺ في قومه وقومك. قال علقمة: فقرأت خمسين آية من سورة مريم، فقال عبد الله: ما قرأ إلا كما أقرأ. ثم قال عبد الله: ألم يأن لهذا الخاتم أن يطرح؟ فنزعه ورمى به وقال: والله لا تراه عليّ أبداً.

قال عمرو بن العاص في مرضه، وقد جزع، فقيل له: قد كان رسول الله ﷺ يدنيك ويستعملك، قال: والله ما أدري ما كان ذلك منه أحب أو كان يتألفني، ولكن أشهد على رجلين أنه مات وهو يحبهما ابن أم عبد وابن سمية.

نبذ من كلامه رضي الله عنه

عن عبد الله بن مرداس، قال: كان عبد الله يخطبنا كل خميس فيتكلم بكلمات، فيسكت حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا.

عن ابن مسعود أنه كان يقول: إذا قعد يذكر: «إنكم في ممر من الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فإن أعطى خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالسهم زيادة». (رواه الإمام أحمد).

وعن أبي الأحوص، عن عبد الله أنه كان يوم الخميس قائماً فيقول: «إنما هما اثنتان: الهدى والكلام، وأفضل الكلام كلام الله، وأفضل الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، فلا يطولن عليكم الأمد ولا يلهينكم الأمل فإن كل ما هو آت قريب، ألا وإن بعيداً ما ليس آتياً، ألا وإن الشقي من شقي في بطن أمه، وإن السعيد من وعظ بغيره، ألا وإن قتال المسلم كفر وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام حتى يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه ويعوده إذا مرض، ألا وإن شر الروايا روايا الكذب، ألا وإن الكذب لا يصلح منه هزل ولا جد، ولا أن يعد الرجل صبيه شيئاً ثم لا ينجزه له، ألا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ألا وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للفاجر كذب وفجر، ألا وإن محمداً ﷺ حدثنا: أن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله عز وجل صديقاً، ويكذب حتى يكتب عند الله عز وجل كذاباً، ألا وهل أنبئكم ما العضة؟ هي: قيل وقال، وهي النميمة التي تفسد بين الناس».

وعن عبد الرحمٰن بن عابس، قال: قال عبد الله بن مسعود: «إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع الإثم، والنساء حبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ولا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعفُ يعفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن

يصبر على الرزية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد إنما من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكره، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يتول الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه».

وعن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود، قال: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً، حكيماً سكيتاً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا سخاباً، ولا صياحاً، ولا حديداً». (رواه الإمام أحمد).

وعن أبي إياس البجلي قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: «من تطاول تعظماً خفضه الله، ومن تواضع تخشياً رفعه الله، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عز وجل، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله».

قال ابن مسعود: لو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلباً، وإني لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا.

عن أبي طيبة قال: مرض عبد الله فعاده عثمان وقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه.

عن عبد الله قال: من أراد الآخرة أضرّ بالدنيا، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة، يا قوم، فأخروا الفاني للباقي.

عن عبد الله قال: ارض بما قسم الله تكن من أغنى الناس، واجتنب المحارم تكن من أورع الناس، وأد ما افترض عليك تكن من أعبد الناس.

عن ابن مسعود قال: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا.

وروي أيضاً عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: «من لم تأمره الصلاة بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً».

وروي عن عمر بن ميمون عن ابن مسعود قال: «إن الشيطان أطاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى على حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم، فتفرقوا».

وعن موسى بن أبي علي المزني قال: قال عبد الله بن مسعود: «من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمدن أحدا على رزق الله، ولا تلومن أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص الحريص ولا يرده كره الكاره، وإن الله بقسطه وحكمه وعدله وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

وعن مرة عن عبد الله قال: «ما دمت في صلاة فأنت تقرع بابِ الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له».

وعن القاسم بن عبد الرحمن، والحسن بن سعد، قالا: قال عبد الله: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها» (رواه الإمام أحمد).

وعن إبراهيم بن عيسى، عن عبد الله بن مسعود قال: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض».

وعن مسروق قال: قال عبد الله: «إذا أصبحتم صياماً فأصبحوا مدهنين» (رواه الإمام أحمد).

وروي عن أبي وائل قال: قال عبد الله: «أنذرتكم بلوغ القول: بحسب أحدكم ما أبلغ حاجته».

وعن معن قال: قال عبد الله بن مسعود: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها».

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: «ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية».

وعن منذر قال: جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن مسعود، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم، فقال عبد الله: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً وأمرضه قلباً، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً وأمرضه جسماً، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان».

وعن عوف بن عبد الله قال: قال عبد الله بن مسعود: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء». قال: ففسرها أصحاب عبد الله قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام، والتواضع في طاعة الله أحب إليه من الشرف في معصية الله، وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء. (رواه الإمام أحمد).

وعن طارق بن شهاب عن عبد الله قال: «إن الرجل يخرج من بيته ومعه دينه فيرجع وما معه منه شيء يأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً فيقسم له بالله إنك لذيت وذيت، فيرجع وما حظي من حاجته بشيء ويسخط الله عليه».

وعن أبي الأحوص قال: قال عبد الله بن مسعود: «الإثم حواز القلوب وما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعاً».

وعنه عن عبد الله قال: «مع كل فرحة ترحة، وما مليء بيت حبرة إلا مليء عبرة». (رواه أحمد).

وعن الضحاك بن مزاحم قال: قال عبد الله: «ما منكم إلا ضيف وما له عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤداه إلى أهلها».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع. فقال له عبد الله: «لا تشرك به شيئاً وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيباً قريباً».

وعن مالك بن مغول قال: قال عبد الله بن مسعود: «يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالها التلاوم بينهم، يسمون الأنتان».

وعن خيثمة قال: قال عبد الله: «إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه فليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه».

وروي أيضاً عن خيثمة قال: قال عبد الله: «الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء، ورب شهوة تورث حزناً طويلاً».

وعن عبس بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود: «والله الذي لا إلٰه إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها».

وعن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: «من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا يناله السراق فليفعل فإن قلب الرجل مع كنزه».

وعن القاسم قال: قال رجل لعبد الله: أوصني يا أبا عبد الرحمن، قال: «ليسعك بيتك، واكفف لسانك، وابك على ذكر خطيئتك».

وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا أفضل منكم، قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم.

وعن زاذان، عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أد أمانتك. فيقول: من أين يا رب؟ قد ذهبت الدنيا. فتمثل على هيئتها يوم أخذها في قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج بها هوت وهوى في إثرها أبد الآبدين.

وعن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً فإن آمن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لا بد فاقتدوا بالميت؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا تكونن إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر.

وعن سليمان بن مهران قال: بينما ابن مسعود يوماً معه نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: علام اجتمع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه.

وفاته رضي الله عنه

وعن عبيد الله بن عبد الله قال: مات ابن مسعود بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين، وكان نحيفاً قصيراً شديد الأدمة. وكذا أرخه فيها جماعة.

وعن عون بن عبد الله وغيره: أنه عاش بضعاً وستين سنة.

وقال يحيى بن أبي عتبة: عاش ثلاثاً وستين سنة.

وقال هو ويحيى بن بكير: مات سنة ثلاث وثلاثين.

قيل: لعله مات في أولها.

وقال بعضهم: مات قبل عثمان بثلاث سنين.

٣٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة

«كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزل صاحب الشرطة من الأمير»

اسمه

قيس بن سعد بن عُبادة بن دليم بن حارثة بن أبي زيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج بن ساعدة بن الخزرج.

صحابي جليل كأبيه.

مع النبي ﷺ

عن أنس قال: كان قيس بن سعد من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

وحمل لواء رسول الله ﷺ في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة، ولما بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، فأصابهم ذلك الجهد الكثير فنحر لهم قيس بن سعد تسع جزائر[١]، حتى وجدوا تلك الدابة[٢] على سيف البحر فأكلوا منها، وأقاموا عليها شهراً حتى سمنوا، وكان قيس سيداً مطاعاً كريماً ممدحاً شجاعاً.

عن داود بن قيس ومالك بن أنس، وإبراهيم بن محمد الأنصاري، وخارجة بن الحارث، وبعضهم قد زاد على صاحبه في الحديث، قالوا: بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاثمائة رجل، وكان فيهم قيس بن سعد بن عبادة، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً بجزر يوفيني الجزر ها هنا وأوفيه التمر بالمدينة؟ فجعل عمر يقول: واعجباً لهذا الغلام! لا مال له يدين في مال غيره. فوجد من رجل جهينة يعطيه ما سأل، وقال: والله ما أعرفك ومن أنت؟ قال: أنا قيس بن عبادة، فقال الجهني: ما أعرفني بنسبك.

فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسقين من تمر، فقال الجهني: أشهد لي، فقال قيس: أشهد من تحب، فكان فيمن استشهد: عمر بن الخطاب، فقال: لا أتشهد على هذا بدين، ولا مال له، وإنما المال لأبيه. فقال الجهني: والله ما كان سعد ليخنى بابنه في سفة من تمر، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً.

وأخذ قيس الجزر فنحرها في مواطن ثلاثة، كل يوم بعير، فلما كان الرابع نهاه أميره وقال: تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك؟ قال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت وهو يقضي ديون الناس ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يقضي عنه سفة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله عز وجل؟.

فبلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال: نحرت لهم. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: ثم نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: ثم نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نُهيت، قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لي، إنما المال لك، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد ويحمل الكل ويطعم في المجاعة، أفلا يصنع هذا لي؟ قال: فلك أربع حوائط.

فكتب له بذلك كتاباً وأتى بالكتاب إلى أبي عبيدة، فشهد فيه أدنى حائط منها يجد خمسين وسقاً. وقدم البدوي مع قيس فأوفاه أوسقته، وحمله وكساه. فقال الأعرابي لسعد: يا أبا ثابت والله ما مثل ابنك ضيعت، ولا تركت بغير مال، فابنك سيد من

---

(١) جزائر: جمع جزور، وهو البعير.

(٢) الدابة: المقصود الحوت.

سادات قومه، نهاني الأمير أن أبيعه، وقال: لا مال له. فلما انتسب إليك عرفته فتقدمت إليه لما أعرف أنك تسمو إلى معالي الأخلاق وجسيمها.

وبلغ النبي ﷺ فعل قيس فقال: «إنه في بيت جود».

مع علي رضي الله عنه

ولاه عليّ نيابة مصر، وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص، ولم يزل معاوية يعمل عليه حتى عزله علي عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر الصديق، فاستخفه معاوية، ولم يزل حتى أخذ منه.

وأقام قيس عند علي فشهد معه صفين والنهروان ولزمه حتى قتل ثم صار إلى المدينة، فلما اجتمعت الكلمة على معاوية جاءه ليبايعه كما بايعه أصحابه.

ولايته مصر

ولى علي بن أبي طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة، وكان على نيابتها في أيام عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان، وكان الذي جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، محمد بن أبي حذيفة بن عتبة، وكان لما قتل أبوه باليمامة أوصى به إلى عثمان، فكفله ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في عبادة وزهادة، وسأل من عثمان أن يوليه عملاً فقال له: متى رأيت ما صرت أهلاً لذلك وليتك، فتعتب في نفسه على عثمان، فسأل عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزوة الصواري، وجعل ينتقص عثمان رضي الله عنه، وساعده على ذلك محمد بن أبي بكر، فكتب بذلك ابن أبي سرح إلى عثمان يشكوهما إليه، فلم يعبأ بهما عثمان، ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبي حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان، فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وصلى بالناس فيها، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل أمير المؤمنين عثمان فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وبلغه أن علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة، فشمت بمحمد بن أبي حذيفة، إذ لم يمتنع بملك الديار المصرية سنة، وسار عبد الله بن سعد إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار مصر، وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها، فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها لأنه من أكبر الأعوان على قتل عثمان، مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه، فعالجا دخول مصر، فلم يقدرا فلم يزالا يخدعانه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها، وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا، ذكره محمد بن جرير.

ثم سار إلى مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي، فدخل مصر في سبعة نفر، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم! من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم فإني أحمد الله كثيراً الذي لا إلٰه إلا هو، أما بعد، فإن الله بحسن صنيعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرسل إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً ﷺ يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا وجمعهم ولكيما يتفرقوا، زكاهم لكي يتطهروا، ووفقهم لكيلا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه، صلوات الله وسلامه عليه وبركاته ورحمته، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين، عملا بالكتاب وأحسنا السيرة ولم يعدوا السنة، ثم توفاهما الله فرحمهما الله، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثاً فوجدت الأمة عليه مقالاً فقالوا، ثم نقموا عليه فغيروا، ثم جاؤوني فبايعوني فأستهدي الله بهداه وأستعينه على التقوى، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم بالغيب، والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازروه وكانفوه وأعينوه على الحق، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته، أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً ورحمة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مع معاوية

قال عبد الرزاق عن ابن عيينة قال: قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية: وأنت يا قيس تلجم عليّ مع من ألجم؟ أما والله لقد كنت أحب أن لا تأتيني هذا اليوم إلا وقد ظفر بك ظفر من أظافري موجع، فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأحييك بهذه التحية، فقال له معاوية: ولم؟ وهل أنت إلا حبر من أحبار اليهود؟ فقال له قيس: وأنت يا معاوية كنت صنماً من أصنام الجاهلية، دخلت في الإسلام كارهاً وخرجت منه طائعاً، فقال معاوية: اللهم غفراً مد يدك، فقال له قيس بن سعد: إن شئت زدت وزدت.

فبينما هو مع الوفود عند معاوية إذا قدم كتاب ملك الروم على معاوية وفيه: أن ابعث إليّ بسراويل أطول رجل في العرب، فقال معاوية: ما أرانا إلا قد احتجنا إلى سراويلك؟ ـ وكان قيس مديد القامة جداً لا يصل أطول الرجال إلى صدره ـ فقام قيس فتنحى ثم خلع سراويله فألقاها إلى معاوية فقال له معاوية: لو ذهبت إلى منزلك ثم أرسلت بها إلينا، فأنشأ قيس يقول عند ذلك:

أردت بها كي يعلم الناس أنها ... سراويل قيس والوفود شهود
وإني من الحي اليماني لسيد ... وما الناس إلا سيد ومسود
فكدهم بمثلي إن مثلي عليهم ... شديد وخلقي في الرجال مديد
وفضلني في الناس أصل ووالد ... وباع به أعلو الرجال مديد

قال: فأمر معاوية أطول رجل في الوفد فوضعها على أنفه فوقعت بالأرض.

وفي رواية: أن ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم، والآخر أطول الروم، فانظر، هل في قومك من يفوقهما في قوة وطول هذا، فإن كان في قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا، ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادني ثلاث سنين.

فلما حضرا عند معاوية قال: من لهذا القوي؟ فقالوا: ما له إلا أحد الرجلين، إما محمد ابن الحنفية، أو عبد الله بن الزبير، فجيء بمحمد ابن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال: أتعلم فيم أرسلت إليك؟ قال: لا! فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه، فقال للرومي: إما أن تجلس لي أو أجلس إليك وتناولني يدك أو أناولك يدي، فأينا قدر على أن يقيم الآخر من مكان غلبه، وإلا فقد غلب. فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومي: بل اجلس أنت، فجلس محمد ابن الحنفية وأعطى الرومي يده فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك، ولا وجد إليه سبيلاً، فغلب الرومي عند ذلك، وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب، ثم قام محمد ابن الحنفية فقال للرومي: اجلس لي، وأعطى محمداً يده فما أمهله أن أقامه سريعاً، ورفعه في الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسر بذلك معاوية سروراً عظيماً، ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاها لذلك الرومي الطويل فلبسها فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخط بالأرض، فاعترف الرومي بالغلب، وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية، وعاتب الأنصار قيس بن سعد في خلعه سراويله بحضرة الناس فقال ذلك الشعر المتقدم معتذراً به إليهم، وليكون ذلك ألزم للحجة التي تقوم على الروم، وأقطع لما حاولوه.

كرمه

قال موسى بن عقبة: قالت عجوز لقيس: أشكو إليك قلة فَأْرِ بَيْتِي، فقال قيس: ما أحسن هذه الكناية!! املأوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً، وقال غيره: كانت له صحفة[1] يدار بها حيث دار، وكان ينادي له مناد: هلموا إلى اللحم والثريد، وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله.

---

(١) الصحفة: الجفنة والقصعة.

قال عروة بن الزبير: باع قيس بن سعد من معاوية أرضاً بتسعين ألفاً فقدم المدينة فنادى مناديه: من أراد القرض فليأت، فأقرض منها خمسين ألفاً وأطلق الباقي، ثم مرض بعد ذلك فقل عواده فقال لزوجته ـ قريبة بنت أبي عتيق أخت أبي بكر الصديق ـ إني أرى قلة من عادني في مرضي هذا، وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض، فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليه دين بصكه المكتوب عليه، فوهبهم ما له عليهم، وقيل: إنه أمر مناديه فنادى: من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه في حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد، وكان يقول: اللهم ارزقني مالاً وفعالاً، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال.

قال سفيان الثوري: اقترض رجل من قيس بن سعد ثلاثين ألفاً جاء ليوفيه إياها، قال له قيس: إنا قوم ما أعطينا أحداً شيئاً فنرجع فيه.

قال الهيثم بن عدي: اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم، فقال أحدهم: عبد الله بن جعفر، وقال الآخر: قيس بن سعد، وقال الآخر: عرابة الأوسي، فتماروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة، فقال لهم رجل: فليذهب كل رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنه أكرم من غيره، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان.

فذهب صاحب عبد الله بن جعفر فوجده قد وضع رجله في الغرز ليذهب إلى ضيعة له، فقال له: يا ابن عم رسول الله، ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو عليها فهي لك بما عليها، وخذ ما في الحقيبة ولا تخدعن السيف، فإنه من سيوف علي، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار، ومطارف من خز وغير ذلك، وأجلّ ذلك سيف علي بن أبي طالب.

ومضى صاحب قيس بن سعد إليه فوجده نائماً، فقالت له الجارية: ما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، فقالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس مال غيره اليوم، واذهب إلى مولانا في معاطن الإبل فخذ لك ناقة وعبداً، واذهب راشداً. فلما استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك، وقال: هلا أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً، فلعل الذي أعطيته لا يقع منه موقع حاجته.

وذهب صاحب عرابة الأوسي إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكأ على عبدين له ـ وكان قد كف بصره ـ فقال له: يا عرابة، فقال: قل، فقال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فخلي عن العبدين، ثم صفق بيديه، باليمنى على اليسرى، ثم قال: أوه أوه، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً ولكن خذ هذين العبدين، قال: ما كنت لأفعل، فقال: إن لم تأخذهما فهما حران، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ. وأقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذ وجاء بهما إلى صاحبيه.

قال: فحكم الناس على أن ابن جعفر قد جاد بمال عظيم، وإن ذلك ليس بمستنكر له، إلا أن السيف أجلها. وأن قيساً أحد الأجواد حكم مملوكته في ماله بغير علمه واستحسن فعلها وأعتقها شكراً لها على ما فعلت، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي، لأنه جاد بجميع ما يملكه، وذلك جهد من مقل.

وقال سفيان الثوري عن عمرو بن أبي صالح، قال: قسم سعد بن عبادة ماله بين أولاده وخرج إلى الشام فمات بها، فولد له ولد بعد وفاته، فجاء أبو بكر وعمر إلى قيس بن سعد فقالا: إن أباك قسم ماله ولم يعلم بحال هذا الولد إذا كان حملاً، فاقسموا معكم، فقال قيس: إني لا أغير ما فعله سعد ولكن نصيبي له.

وفاته

توفي قيس بالمدينة سنة تسع وخمسين، في آخر خلافة معاوية.

٣٣ ـ أبو العاص بن الربيع

«حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي»

اسمه

أبو العاص بن الربيع، بن عبد العزى، بن عبد مناف بن قصي، بن كلاب القرشي العبشمي.

صهر رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوجه بابنتها زينب، وكان لا يخالفها، وذلك قبل الوحي.

وهو والد أمامة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلاته.

واسمه لقيط، وقيل اسم أبيه ربيعة، وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة، وأمه هي هالة بنت خويلد، وكان أبو العاص يدعى «جرو البطحاء».

خلقه وثناء الرسول ﷺ عليه

قال المسور بن مخرمة: أثنى النبي ﷺ على أبي العاص في مصاهرته خيراً، وقال: «حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي».

وكان قد وعد النبي ﷺ أن يرجع إلى مكة بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها.

وكان من تجار قريش وأمنائهم، ولما هاجر ردَّ عليه النبي ﷺ زوجته زينب بعد ستة

أعوام على النكاح الأول، وجاء في رواية أنه ردها إليه بعقد جديد.

وكان رسول الله ﷺ لا يحل بمكة ولا يحرم مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص، وكان لا يقدر أن يفرق بينهما، وقد حرم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة.

قصة أسره في بدر

عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، بعثت فيه بقلادة كانت لخديجة أدخلتها بها، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها» قالوا: نعم، وأطلقوه، فأخذ عليه ﷺ أن يخلي سبيل زينب، وكانت من المستضعفين من النساء، واستكتمه النبي ﷺ ذلك، وبعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: كونا ببطن ماجج، حتى تمر بكما زينب فتصحبانها، وذلك بعد بدر بشهر.

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فتجهزت، قالت زينب: بينا أنا أتجهز لقيتني هند بنت عتبة، فقالت: يا ابنة محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عم، لا تفعلي، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تمتنعي مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال.

قالت: والله، ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكني خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك.

ثم تجهزت، فلما فرغت من جهازها قدم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذي طوى، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري، فروعها هبار بالرمح، وهي في الهودج، وكانت حاملاً ـ فيما يزعمون ـ فطرحت، وبرك حموها (أخو زوجها: كنانة بن الربيع)، ونثر كنانته ثم قال: والله، لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان في جلة من قريش، فقال:

كف أيها الرجل عنا نبلك حتى نكلمك، فكف، فوقف عليه فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا، ولَعَمْري ما بِنَا بحبسها عن أبيها من حاجة، ارجع بها حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنا رددناها، فَسُلَّها سراً، وألحقها بأبيها.

قالت: ففعل.

فأقامت ليال، حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً، حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها ليلاً على رسول الله ﷺ.

وفي رواية: أن زيد بن حارثة كان قد أعطاه النبي ﷺ خاتمه لتجيء معه، فتلطف زيد، فأعطاه راعياً من مكة، فأعطى الخاتم لزينب، فلما رأته عرفته، فقالت: من دفع إليك هذا؟ قال: رجل في ظاهر مكة، فخرجت زينب ليلاً، فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة، فكان رسول الله ﷺ يقول: «هي أفضل بناتي، أصيبت في».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية أنا فيها، فقال: «إن ظفرتم بهبار بن الأسود، والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرِّقوهما بالنار» فلما كان الغد بعث إلينا، فقال: «إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما».

قصة إسلام أبي العاص

أقام أبو العاص بمكة على كفره، واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة، فلما كان قبل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى بلاد الشام بماله، ومال كثير لقريش، فلما رجع لقيته سرية فأصابوا ما معه وأعجزهم هرباً، فقدموا بما أصابوا، وأقبل هو في الليل حتى دخل على زينب فاستجار بها، فأجارته، فلما كان النبي ﷺ والناس في صلاة الصبح، صرخت زينب في صُفة النساء: أيها الناس، قد أجرت أبا العاص بن الربيع.

وبعث النبي ﷺ إلى السرية الذين أصابوا ماله فقال: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوه، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء لله فأنتم أحق به» قالوا: بل نرده، فردوه كله.

ثم ذهب به إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: يا معشر قريش! هل بقي لأحد منكم عندي شيء؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله، ما منعني من الإسلام عنده إلا خوف أن تظنوا أني أردت أكل أموالكم، ثم قدم على رسول الله ﷺ.

رد رسول الله ﷺ زينب على أبي العاص

عن ابن عباس قال: رد عليه النبي ﷺ زينب على النكاح الأول، لم يحدث شيئاً.

وفي رواية: بعد ست سنين، وفي ثانية: بعد سنتين، وفي ثالثة: أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد، ونكاح جديد.

قال ابن كثير: والحديث الصحيح الذي روي: أن النبي ﷺ أقرها على النكاح الأول.

ففي قصة زينب دليل على أن المرأة إذا أسلمت، وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها، فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك، بل يبقى بالخيار، إن شاءت تزوجت غيره، وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها، أي وقت كان، وهي امرأته ما لم تتزوج.

وهذا القول فيه قوة، وله حظ من جهة الفقه، والله أعلم.

٣٤ ـ سراقة بن مالك

«لَأبِسُ سواري كسرى وتاجه»

اسمه

سراقة بن مالك، بن جعشم، بن مالك، بن عمرو، بن تيم، بن مدلج، بن مرة، ابن عبد مناة، بن كنانة المدلجي، يكنى أبا سفيان.

كان ينزل قديداً[١]، يعد في أهل المدينة، ويقال: سكن مكة.

سراقة في طلب الرسول ﷺ وأبي بكر

عن البراء قال: اشترى أبو بكر الصديق رضي الله عنه من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر: مُر البراء فليحمله إلى منزلي، فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت لما خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟

فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا[٢] فأحيينا ليلتنا ويومنا، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا إلا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، قال: «لا تحزن إن الله معنا»، حتى إذا دنا منا قدر رمح أو رمحين ـ أو قال: رمحين أو ثلاثة ـ قال: قلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، وبكيت، قال: «لم تبكي؟» قال: قلت: والله ما أبكي على نفسي ولكني أبكي عليك، قال: فدعا عليه، فقال: «اللهم اكفناه بما شئت»، فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد، ووثب عنها، وقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، فدعا رسول الله ﷺ ورجع إلى أصحابه.

قال ابن إسحاق: قال سراقة بن جعشم: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة مهاجراً، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم، فبينا أنا جالس في نادي قومي، إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا، فقال: والله، لقد رأيت رَكَبَةً ثلاثة مروا عليّ

(١) قديد: موضع قرب مكة.
(٢) فأدلجنا: أدلج أي سار أول الليل.

آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، فأومأت إليه بعيني أن اسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم! قال: لعله. ثم سكت، ثم مكثت قليلاً ثم قمت فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقت فلبست لأمتي[١] ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره»[٢] وكنت أرجو أن أرده على قريش، فآخذ المائة الناقة.

فركبت على أثره، فبينا فرسي يشتد بي عثر بي، فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحي، فاستقسمت بها، فخرج بها السهم الذي أكره: «لا يضره»، فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثر بي، فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قداحي، فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره «لا يضره»، فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي، فذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار.

قال: فلما رأيت ذلك علمت أنه ظاهر، فناديت: أنا سراقة بن مالك بن جعشم، انظروني أكلمكم، فوالله، لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: ما تبتغي منا؟ فقال لي أبو بكر، فقلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك، فكتب لي كتاباً في عظم، أو في رقعة أو خزفة، ثم ألقاه، فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فلم أذكر شيئاً مما كان.

حتى إذا فتح الله على رسوله مكة، وفرغ من حنين والطائف، فخرجت ومعي الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك، إليك، ماذا تريد؟ حتى دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله، لكأني انظر إلى ساقه في غرزه[٣] كأنه جمارة، فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك لي، وأنا سراقة بن مالك بن جعشم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا يوم وفاء وبر، أدنه»، فدنوت منه فأسلمت.

ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه، فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد حَرَّى أجر».

وروى ابن عيينة، عن أبي موسى، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن

(١) اللأمة: الدرع والسلاح.
(٢) أي مكتوب فيه هذه الكلمة.
(٣) الغرز: ركاب رحل الجمل، والجمارة: قلب النخلة، شبه بياض ساقه ﷺ ببياضها.

مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى ومنطقته[١] وتاجه؟» قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك وألبسه إياهما، وقال: قل: الحمد لله الذي ألبس ثياب كسرى لرجل أعرابي من البادية.

وكان سراقة رجلاً أَزَبَّ[٢] كثير شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، وقل: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة رجلاً أعرابياً، من بني مدلج، ورفع عمر صوته، وكان سراقة شاعراً، وهو القائل لأبي جهل:

أبا حَكَم، واللّه لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تَسُوخ قوائمه
علمتَ، ولم تَشْكُك بأن محمداً ... رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاومه؟
عليك بكف القوم عنه، فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يَوَدُّ الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طُراً يُسَالمه

وفاة سراقة

مات سراقة بن مالك سنة أربع وعشرين، أول خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل: إنه مات بعد عثمان، والله أعلم.

٣٥ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب

سيد شباب أهل الجنة، سبط الرسول ﷺ

«من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي»

مولده ونشأته

أبو محمد القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ، ابن ابنته فاطمة الزهراء وريحانته؛ وأشبه خلق الله به في وجهه، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة فحنكه رسول الله ﷺ بريقه وسمّاه حسناً، وهو أكبر ولد أبويه.

مع النبي ﷺ

وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً حتى يقبّل ذهبيته وهو صغير، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجد في الصلاة فيركب على ظهره

---

(١) المنطقة: كل ما يشد به الوسط.
(٢) الأزب: الكثير الشعر.

فيُقره على ذلك ويطيل السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر.

وقد ثبت في الحديث أنه ﷺ بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين، فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال: «صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، إني رأيت هذين يمشيان ويعثران فلم أملك أن نزلت إليهما»، ثم قال: «إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون».

وقد ثبت في صحيح البخاري أن أبا بكر صلى بهم العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال، ثم خرج هو وعلي يمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول: يا بأبي، شبه النبي، ليس شبيهاً بعلي، قال: وعلي. يضحك.

عن علي قال: «الحسن أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك».

عن أسامة بن زيد قال: كان النبي ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما!».

وقال أحمد: ثنا أبو النصر، ثنا ورقاء عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير عن أبي هريرة، قال: كنت مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة فانصرف وانصرفت معه، فجاء إلى فناء فاطمة فقال: أي لكع، أي لكع، أي لكع، فلم يجبه أحد، فانصرف معه إلى فناء فقعد، قال: فجاء الحسن بن علي ـ قال أبو هريرة: ظننا أمه حبسته لتجعل في عنقه السخاب[1] ـ فلما دخل التزمه رسول الله والتزم هو رسول الله، ثم قال: «إني أحبه وأحب من يحبه» ثلاث مرات.

قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني، أو قال: دمعت عيني أو بكيت، وهذا على شرط مسلم.

عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال له رجل: يا رسول الله إنك لتحبهما، فقال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني».

عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد، فأراد الناس زجرهما، فلما سلم قال للناس: «هذان ابناي، من أحبهما فقد أحبني» ورواه النسائي من حديث عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عاصم به.

وقد ورد عن عائشة وأم سلمة أمّي المؤمنين، أن رسول الله ﷺ اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

---

(١) السخاب: قلادة من القرنفل.

عن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله، فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه، ثم جاء الآخر فجعل يده إلى الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى إبطه، وقبّل هذا ثم قبّل هذا ثم قال: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»، ثم قال: «أيها الناس، إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة».

عن ابن شداد عن أبيه أن رسول الله ﷺ صلّى بهم إحدى صلاتي العشى، فسجد سجدة أطال فيها السجود، فلما سلّم قال الناس له في ذلك، قال: «إن ابني هذا ـ يعني الحسن ـ ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

وعن أبي الزبير عن جابر قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع، فقلت: نعم الحمل حملكما، فقال: «ونعم العدلان هما» على شرط مسلم.

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي».

وجاء من حديث علي وأبي سعيد وبريدة أن رسول الله ﷺ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما».

عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وحسن وحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

الحسن بعد النبي ﷺ

وقد كان الصديق يجله ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه، وكذلك عمر بن الخطاب، فروى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبيه: أن عمر لما عمل الديوان فرض للحسن والحسين مع أهل بدر في خمسة آلاف، وكذلك كان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما. وقد كان الحسن بن علي يوم الدار ـ وعثمان بن عفان محصور ـ عنده ومعه السيف متقلداً به يحاجف[1] عن عثمان، فخشي عثمان عليه، فأقسم عليه ليرجعن إلى منزلهم تطييباً لقلب علي، وخوفاً عليه رضي الله عنهم، وكان علي يكرم الحسن إكراماً زائداً، ويعظمه ويبجله وقد قال له يوماً: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك. فذهب علي فجلس حيث لا يراه الحسن، ثم قام الحسن في الناس خطيباً وعليّ يسمع، فأدى خطبة بليغة فلما انصرف جعل علي يقول: ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم.

(١) يحاجف: يدافع.

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركبا، ويرى هذا من النعم عليه.

وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما رضي الله عنهما وأرضاهما.

وكان ابن الزبير يقول: والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي، وقال غيره: كان الحسن إذا صلى في مسجد رسول الله يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، ويجلس إليه من يجلس من سادات يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه ثم ينصرف إلى منزله.

ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه صيانة لدماء المسلمين، كان له على معاوية في كل عام جائزة، وكان يفد إليه، فربما أجازه بأربعمائة ألف درهم، وراتبه في كل سنة مائة ألف، فانقطع سنة عن الذهاب، وجاء وقت الجائزة فاحتاج الحسن إليها ـ وكان من أكرم الناس ـ فأراد أن يكتب إلى معاوية ليبعث بها إليه، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال له: يا بني أتكتب إلى مخلوق بحاجتك؟ وعلمه دعاء يدعو به، فترك الحسن ما كان همّ به من الكتابة، فذكره معاوية وافتقده وقال: ابعثوا إليه بمائتي ألف فلعل له ضرورة في تركه القدوم علينا، فحملت إليه من غير سؤال.

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما

إن علياً رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قالوا له: أتستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ ـ يعني بغير استخلاف ـ فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم، كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ. فلما توفي وصلى عليه ابنه الحسن ـ لأنه أكبر بنيه رضي الله عنهم ـ دفن بدار الإمارة على الصحيح من أقوال الناس.

فلما فرغ من شأنه، كان أول من تقدم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة فقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن، فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان ذلك يوم مات ومن يومئذ ولي الحسن بن علي، وكان قيس بن سعد على إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مقاتل، قد بايعوا علياً على الموت.

فلما مات علي ألح قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، فعزل قيساً عن إمرة أذربيجان، وولى عبيد الله بن عباس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يسمع بمثله، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه، وسار

هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام، ليقاتل معاوية وأهل الشام. فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه، فبينما هو في المدائن معسكراً بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل، فثار الناس فانتهبوا أمتعة بعضهم بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن، حتى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أثبتوه فكرههم الحسن كراهية شديدة، وركب فدخل القصر الأبيض من المدائن فنزله وهو جريح.

وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي ـ أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر ـ فلما استقر الجيش بالقصر قال المختار بن أبي عبيد، قبحه الله، لعمه سعد بن مسعود: هل لك في الشرف والغنى؟ قال: ماذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه: قبحكم الله وقبح ما جئت به، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ؟ ولما رأى الحسن بن علي تفرق جيشه عليهم مقتهم وكتب عند ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ـ وكان قد ركب في أهل الشام فنزل مسكن ـ يراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة، فقدما عليه الكوفة فبذلا له ما أراد من الأموال، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم، وأن يكون خراج دار أبجرد له، وأن لا يسب علياً وهو يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية، ويحقن الدماء بين المسلمين. فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية.

قال البخاري في كتاب الصلح: حدثنا عبد الله بن محمد عن سفيان عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: «استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية ـ وكان والله خير الرجلين: إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بضعفتهم؟ من لي بنسائهم، فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر ـ قال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسالمك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه.

مناقبه رضي الله عنه

عن محمد بن علي قال: قال الحسن بن علي: إني لأستحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة إلى المدينة على رجليه، قالوا: وكان يقرأ في بعض خطبه سورة إبراهيم، وكان يقرأ كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، يقرأها من لوح كان يدور معه حيث كان من بيوت نسائه، فيقرأه بعدما يدخل في الفراش قبل أن ينام رضي الله عنه.

كرمه

وقد كان الحسن بن علي رضي الله عنه من الكرم على جانب عظيم. قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن علي الرجل الواحد بمائة ألف. وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن رجلاً إلى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه.

وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا؟ فقال: إني أستحي منه أن آكل ولا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملّكه الحائط، فقال الغلام: يا مولاي قد وهبت الحائط الذي وهبتني له.

زواجه

قالوا: وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان مطلاقاً مصداقاً، يقال: إنه أحصن سبعين امرأة، وذكروا أنه طلق امرأتين في يوم، واحدة من بني أسد وأخرى من بني فزارة فزارية ـ وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف وبزقاق من عسل، وقال للغلام: اسمع ما تقول كل واحدة منهما. فأما الفزارية فقالت: جزاه الله خيراً، ودعت له، وأما الأسدية فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، فرجع الغلام إليه بذلك، فارتجع الأسدية وترك الفزارية.

وقد كان علي يقول لأهل الكوفة: لا تزوجوه فإنه مطلاق، فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء ابتغاء في صهر رسول الله ﷺ.

فقال رجل من همدان: والله لتزوجنه، فما رضي أمسك، وما كره طلق.

وذكروا أنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزاري ـ وقيل هند بنت سهيل ـ فوق إجار[1] فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما هذا؟ فقالت: خشيت أن تقوم من وسن النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة[2] على العرب. فأعجبه ذلك منها، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلك.

وقال أبو جعفر الباقر: جاء رجل إلى الحسين بن علي فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً فاعتذر إليه، فذهب إلى الحسن فاستعان به فقضى حاجته، وقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إليّ من اعتكاف شهر.

---

(١) الإجار: السطح.
(٢) السخلة: ولد الشاة.

حلمه

قال جويرية ابن أسماء: لما مات الحسن بكى عليه مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟ فقال: إني كنت أفعل إلى أحلم من هذا، وأشار هو إلى الجبل.

نبذ من كلامه رضي الله عنه

عن محمد بن إسحاق قال: ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة، فقال: ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط.

قال محمد بن سعد قال: كان بين الحسن ومروان خصومة وكان يغلظ للحسن والحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه، فقال له الحسن: ويحك! أما علمت أن اليمنى للوجه، والشمال للفرج؟ أف لك، فسكت مروان.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى، والسقم أحب إليّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له. وهذا أحد الوقوف على الرضا بما تعرف به القضاء.

وقال أبو بكر محمد بن كيسان الأصم. قال الحسن ذات يوم لأصحابه: إني أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان عظيم، ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، كان حارب عن سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً عن سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، وكان خارجاً عن سلطان جهله فلا يمد يداً على ثقة المنفعة، ولا يخطو خطوة إلا لحسنة، وكان لا يسخط ولا يتبرم، وكان إذا جامع العلماء يكون على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا غُلب على الكلام لم يُغلب على الصمت، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال يذر القائلين، وكان لا يشارك في دعوى، ولا يدخل في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً يقول ما لا يفعل، ويفعل ما لا يقول، تفضلاً وتكرماً، كان لا يغفل عن إخوانه، ولا يستخص بشيء دونهم. كان لا يكرم أحداً فيما يقع العذر بمثله، وكان إذا ابتدأه أمران لا يرى أيهما أقرب إلى الحق نظر فيما هو أقرب إلى هواه فخالفه.

وعن الحارث الأعور أن علياً سأل ابنه ـ يعني الحسن ـ عن أشياء من المروءة فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبه، السداد دفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء ماله، قال: فما الدنيئة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير. قال: فما اللوم؟ قال: احتراز المرء نفسه وبذله عرسه.

قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر.

قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يديك سرفاً وما أنفقته تلفاً.

قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدة والرخاء. قال: فما الجبن؟ قال الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

قال: فما الغنيمة؟ قال: في التقوى، والزهادة في الدنيا.

قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها وإن قلّ، فإنما الغنى غنى النفس.

قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء.

قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومقارعة أشد الناس.

قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقية.

قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران.

قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك.

قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وأن تعفو عن الجرم.

قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كل ما استرعيته. قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك.

قال: فما الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح.

قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاء، والاحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم.

قال: فما الشرف؟ قال: موافقة الإخوان، وحفظ الجيران.

قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدناة، ومصاحبة الغواة.

قال: فما الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المفسد. قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك.

قال: فمن السيد؟ قال: الأحمق في المال المتعاون بعَرَضه، يشتم فلا يجيب، المتحرن بأمر العشيرة هو السيد. قال: ثم قال علي: يا بني: «لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أفضل من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من

المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسب كحسن الخلق، ولا ورع كالكف، ولا عبادة كالتفكر! ولا إيمان كالحياء ورأس الإيمان الصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه. وآفة العبادة الفترة، وآفة الطرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحب الفخر».

ثم قال علي: يا بني، لا تستخفن برجل تراه أبداً، فإن كان أكبر منك فعده أباك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك. فهذا ما سأل علي ابنه عن أشياء من المروءة، قال القاضي أبو الفرج: ففي هذا الخبر من الحكمة وجزيل الفائدة ما ينتفع به من راعاه، وحفظه ووعاه، وعمل به وأدب نفسه بالعمل عليه، وهذبها بالرجوع إليه، وتتوفر فائدته عنده، وفيما رواه أمير المؤمنين وأضعافه عن النبي ﷺ ما لا غنى لكل لبيب عليم، وقدرة حكيم، عن حفظه وتأمله. والمسعود من هدى لتلقيه، والمجدود[1] من وفق لامتثاله وتقبله.

وفاة الحسن

وقال الأصمعي عن سلام بن مسكين عن عمران بن عبد الله، قال: رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] ففرح بذلك، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: إن كان رأى هذه الرؤيا فَقَلَّ ما بقي أجله. قال: فلم يلبث الحسن بن علي بعد ذلك إلا أياماً حتى مات.

قال الواقدي: وحدثني عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال: كان الحسن بن علي كثير نكاح النساء، وكان قل يحظين عنده، وكان قل امرأة تزوجها إلا أحبته وضنت به، فيقال: إنه كان سقي سما، ثم أفلت، ثم سقي فأفلت ثم كانت الآخرة توفي فيها، فلما حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجل قطع السم أمعاءه.

فقال الحسين: يا أبا محمد أخبرني من سقاك؟ قال: ولم يا أخي؟ قال: أقتله والله قبل أن أدفنك ولا أقدر عليه أو يكون بأرض أتكلف الشخوص إليه. فقال: يا أخي إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله، وأبى أن يسميه.

قال سفيان بن عيينة عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصحن أنظر في ملكوت السماوات. فأخرجوا فراشه فرفع رأسه فنظر فقال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي، قال: فكان مما صنع الله له أنه احتسب نفسه عنده.

عن أبي عتيق قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهدنا الحسن بن علي يوم مات وكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد

(١) المجدود: المحفوظ.

إلى أخيه أن يدفن مع رسول الله ﷺ، فإن خاف أن يكون في ذلك قتال أو شر فليدفن بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه ـ ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية ـ ولم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات، قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن علي فقلت: يا أبا عبد الله، اتق الله ولا تثر فتنة فإن أخاك كان لا يحب ما ترى، فادفنه بالبقيع مع أمه، ففعل.

عن أبي بكر بن حفص قال: توفي الحسن بن علي في أيام بعدما مضى من إمارة معاوية عشر سنين. توفي الحسن وهو ابن سبع وأربعين، وكذا قال غير واحد وهو أصح. والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين، وقال آخرون: مات سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين.

٣٦ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب

سبط الرسول ﷺ، سيد شباب أهل الجنة «شهيد كربلاء»

اسمه

الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم أبو عبد الله القرشي الهاشمي السبط الشهيد بكربلاء، ابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء، وريحانته من الدنيا.

مولده ونشأته

ولد بعد أخيه الحسن، وكان مولد الحسن في سنة ثلاث من الهجرة، وقال بعضهم: إنما كان بينهما طهر واحد ومدة الحمل، وولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع. وقال قتادة: ولد الحسين لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ.

وروي عن النبي ﷺ أنه حنكه وتفل في فيه ودعا له وسماه حسيناً، وقد كان سماه أبوه قبل ذلك حرباً، وقيل جعفراً، وقيل: إنما سماه يوم سابعه وعق عنه.

صفته

قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الضحاك الحزامي، قال: كان وجه الحسن يشبه وجه رسول الله ﷺ وكان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله ﷺ.

وقال سفيان: قلت لعبيد الله بن أبي زياد: رأيت الحسين؟ قال: نعم، أسود الرأس واللحية إلا شعرات ههنا في مقدم لحيته، فلا أدري أخضب وترك ذلك المكان تشبهاً برسول الله ﷺ، أو لم يكن شاب منه غير ذلك؟ وقال ابن جريج: سمعت عمر بن عطاء قال: رأيت الحسين بن علي يصبغ بالوشمة وكان رأسه ولحيته شديدي السواد.

صحبته

إن الحسين عاصر رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، لكنه كان صغيراً.

مع الراشدين

ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظماً موقراً، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه ولم يسدد رأي أخيه في ذلك، بل حثه على قتال أهل الشام فقال له أخوه: والله لقد هممت أن أسجنك في بيت وأطبق عليك بابه حتى أفرغ من هذا الشأن ثم أخرجك. فلما رأى الحسين ذلك سكت وسلم.

مع معاوية

لما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً، ويقول لهما مرحباً وأهلاً، ويعطيهما عطاء جزيلاً، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي، فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلاً أفضل منا.

ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد، في سنة إحدى وخمسين. ولما أخذت البيعة ليزيد في حياة معاوية كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن عباس، ثم مات ابن أبي بكر وهو مصمم على ذلك.

فلما مات معاوية سنة ستين وبويع ليزيد، بايع ابن عمر وابن عباس، وصمم على المخالفة الحسين وابن الزبير، وخرجا من المدينة فارين إلى مكة فأقاما بها، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد.

وكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كل ذلك يأبى عليهم، فقدم منهم قوم إلى محمد ابن الحنفية يطلبون إليه أن يخرج معهم فأبى، وجاء إلى الحسين يعرض إليه أمرهم، فقال له الحسين: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويستطيلوا بنا، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا. فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم، مرة يريد أن يسير إليهم، ومرة يجمع الإقامة عنهم. فجاء أبو سعيد الخدري فقال: يا أبا عبد الله! إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم

من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف.

وقد كثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم ـ وذلك حين بلغهم موت معاوية وولاية يزيد، ومصير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد ـ فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمداني، وعبد الله بن وال، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية، فقدما على الحسين لعشر مضين من رمضان من هذه السنة، ثم بعثوا بعدهما نفراً منهم قيس بن مسهر الصدائي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكواء الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي، ومعهم نحو من مائة وخمسين كتاباً إلى الحسين، ثم بعثوا هانىء بن هانىء السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب فيه الاستعجال في السير إليهم، وكتب إليه شيث بن ربعة، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعمرو بن حجاج الزبيدي، ومحمد بن عمر بن يحيى التميمي، أما بعد: فقد اخضرت الجنان، وأينعت الثمار، ولطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجندة، والسلام عليك.

فاجتمعت الرسل كلها بكتبها عند الحسين، وجعلوا يستحثونه ويستقدمونه عليهم ليبايعوه عوضاً عن يزيد بن معاوية، ويذكرون في كتبهم أنهم فرحوا بموت معاوية، وينالون منه ويتكلمون في دولته، وأنهم لم يبايعوا أحداً إلى الآن، وأنهم ينتظرون قدومك إليهم ليقدموك عليهم، فعند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً وأمراً حازماً محكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك.

فلما دخل الكوفة نزل على رجل يقال له مسلم بن عوسجة الأسدي، وقيل نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي فالله أعلم. فتسامع أهل الكوفة بقدومه فجاؤوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين، وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الحسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور، فتجهز الحسين من مكة قاصداً الكوفة.

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير خبره رجل بذلك، فجعل يضرب على ذلك صفحاً ولا يعبأ به، ولكنه خطب الناس ونهاهم عن الاختلاف والفتنة، وأمرهم بالائتلاف والسنة. وقال: إني لا أقاتل من لا يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب عليّ، ولا آخذكم بالظنة، ولكن، والله الذي لا إله إلا هو لئن فارقتم إمامكم ونكثتم

بيعته لأقاتلنكم ما دام في يدي من سيفي قائمته.

فقام إليه رجل يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي فقال له: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشمة، وإن الذي سلكته أيها الأمير مسلك المستضعفين. فقال له النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأقوياء الأعزين في معصية الله. ثم نزل.

فكتب ذلك الرجل إلى يزيد يعلمه بذلك، وكتب إلى يزيد عمارة بن عقبة وعمرو بن سعد بن أبي وقاص، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية، وكان يزيد يستشيره، فقال سرجون: أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً؟ قال: نعم! فاقبل مني فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فوله إياها، وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد، وكان يريد أن يعزله عن البصرة، فولاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره.

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه، وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي، فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، فلما دخلها دخلها متلثماً بعمامة سوداء، فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قال: سلام عليكم، فيقولون: وعليكم السلام مرحباً بابن رسول الله ـ يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه ـ وتكاثر الناس عليه، ودخلها في سبعة عشر راكباً، فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد. فلما استقر أمره أرسل مولى أبي رهم ـ وقيل: كان مولى له يقال له معقل ـ ومعه ثلاثة آلاف درهم في صورة قاصد من بلاد حمص، وأنه إنما جاء بهذه البيعة، فذهب ذلك المولى فلم يزل يتلطف ويستدل على الدار التي يبايعون بها مسلم بن عقيل حتى دخلها، وهي دار هانىء بن عروة التي تحول إليها من الدار الأولى، فبايع وأدخلوه على مسلم بن عقيل فلزمهم أياماً حتى اطلع على جلية أمرهم، فدفع المال إلى أبي ثمامة العامري بأمر مسلم بن عقيل ـ وكان هو الذي يقبض ما يؤتى به من الأموال ويشتري السلاح ـ وكان من فرسان العرب.

فرجع ذلك المولى وأعلم عبيد الله بالدار وصاحبها، وقد تحول مسلم بن عقيل إلى دار هانىء بن حميد بن عروة المرادي، ثم إلى دار شريك بن الأعور وكان من الأمراء الأكابر، وبلغه أن عبيد الله يريد عيادته، فبعث إلى هانىء يقول له: ابعث مسلم بن عقيل حتى يكون في داري ليقتل عبيد الله إذا جاء يعودني. فبعثه إليه فقال له شريك: كن أنت في الخباء، فإذا جلس عبيد الله فأني أطلب الماء وهي إشارتي إليك، فاخرج فاقتله. فلما جاء عبيد الله جلس على فراش شريك وعنده هانىء بن عروة، وقام من بين يديه غلام يقال له مهران، فتحدث عنده ساعة ثم قال شريك: اسقوني، فتجبن مسلم عن

قتله، وخرجت جارية بكوز من ماء فوجدت مسلماً في الخباء فاستحيت ورجعت بالماء ثلاثاً، ثم قال: اسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي أتحمونني من الماء؟ ففهم مهران الغدر فغمز مولاه فنهض سريعاً وخرج، فقال شريك: أيها الأمير إني أريد أن أوصي إليك، فقال: سأعود! فخرج به مولاه، فأركبه وطرد به ـ أي ساق به ـ وجعل يقول له مولاه: إن القوم أرادوا قتلك، فقال: ويحك إني بهم لرفيق فما بالهم؟ وقال شريك لمسلم: ما منعك أن تخرج فتقتله؟ قال: حديث بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الإيمان ضد الفتك، لا يفتك مؤمن» وكرهت أن أقتله في بيتك، فقال: أما لو قتلته لجلست في القصر لم يستعد منه أحد وليكفينك أمر البصرة، ولو قتلته لقتلت ظالماً فاجراً، ومات شريك بعد ثلاث.

ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر وهو متلثم ظنه النعمان بن بشير الحسين قد قدم، فأغلق باب القصر وقال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي، فقال له عبيد الله: افتح لأفتحن، ففتح وهو يظنه الحسين، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده، فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة وأمر منادياً فنادى: إن الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد ولاني أمركم وثغركم وفيأكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم! والشدة على مريبكم وعاصيكم، وإنما أنا ممتثل فيكم أمره ومنفذ عهده، ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية وأهل الريب والخلاف والشقاق، وأيما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نفي وأسقطت عرافته من الديوان.

وسمع مسلم بن عقيل الخبر، فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت» فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله، وهو يخطب الناس في أمر هانىء ويحذرهم من الاختلاف، وأشراف الناس وأمراؤهم تحت منبره، فبينما هو كذلك إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب. فلما انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهددوهم وتوعدوهم، وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها تقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك، ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنك غداً بجنود الشام قد أقبلت ماذا تصنع معهم؟ فتخاذل الناس وقصروا وتصرموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتى لم يبق إلا في خمسمائة نفر، ثم تقالوا حتى بقي في ثلاثمائة ثم تقالوا حتى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلى بهم المغرب

وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدله على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله.

فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها طوعة، كانت أم ولد للأشعث بن قيس، وقد كان لها ابن من غيره يقال له بلال بن أسيد، خرج مع الناس وأمه قائمة بالباب تنتظره، فقال لها مسلم بن عقيل: اسقني ماء، فسقته، ثم دخلت وخرجت فوجدته، فقالت: ألم تشرب؟ قال: بلى! قالت: فاذهب إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك، فقام فقال: يا أمة الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة، فهل إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم؟ فقالت: يا عبد الله وما هو؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبني هؤلاء القوم وغروني، فقالت: أنت مسلم؟ قال: نعم! قالت: ادخل! فأدخلته بيتاً من دارها غير البيت الذي يكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش.

فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج، فسألها عن شأنها فقالت: يا بني إلْهُ عن هذا، فألح عليها فأخذت عليه أن لا يحدث أحداً، فأخبرته خبر مسلم، فاضطجع إلى الصباح ساكتاً لا يتكلم، وأما عبيد الله بن زياد فإنه نزل من القصر بمن معه من الأمراء والأشراف بعد العشاء الآخرة فصلى بهم العشاء في المسجد الجامع، ثم خطبهم وطلب منهم مسلم بن عقيل وحث عليه طلبه، ومن وجد عنده ولم يعلم به فدمه هدر، ومن جاء به فله ديته، وطلب الشرط وحثهم على ذلك وتهددهم.

فلما أصبح ابن تلك العجوز ذهب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم، فجاء عبد الرحمن فسار أباه بذلك وهو عند ابن زياد، فقال ابن زياد: ما الذي سارك به؟ فأخبره الخبر فنخس بقضيب في جنبه وقال: قم فائتني به الساعة. وبعث ابن زياد عمر بن حريث المخزومي ـ وكان صاحب شرطته ـ ومعه عبد الرحمن ومحمد بن الأشعث في سبعين أو ثمانين فارساً.

فلم يشعر مسلم إلا وقد أحيط بالدار التي هو فيها، فدخلوا عليه فقام إليهم بالسيف فأخرجهم من الدار ثلاث مرات، وأصيبت شفته العليا والسفلى، ثم جعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب[1] القصب، فضاق بهم ذرعاً، فخرج إليهم بسيفه فقاتلهم، فأعطاه عبد الرحمن الأمان فأمكنه من يده، وجاؤوا ببغلة فأركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئاً، فبكى عند ذلك وعرف أنه مقتول، فيئس من نفسه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال بعض من حوله: إن من يطلب مثل الذي

(١) أطناب: الطنب: عرق الشجر.

تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا، فقال: أما والله لست أبكي على نفسي، ولكن أبكي على الحسين، وآل الحسين، إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة، ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال: إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل.

فبعث محمد بن الأشعث إلى الحسين يأمره بالرجوع، فلم يصدق الرسول في ذلك، وقال: كل ما حم الإله واقع. قالوا: ولما انتهى مسلم بن عقيل إلى باب القصر إذا على بابه جماعة من الأمراء من أبناء الصحابة ممن يعرفهم ويعرفونه، ينتظرون أن يؤذن لهم على ابن زياد، ومسلم مخضب بالدماء في وجهه وثيابه، وهو مثخن بالجراح، وهو في غاية العطش، وإذا قلة من ماء بارد هنالك فأراد أن يتناولها ليشرب منها فقال له رجل من أولئك: والله لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم، فقال له: ويلك يا ابن ناهلة، أنت أولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني، ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلال والعطش، فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل ومعه قدح، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع أن يسيغه من كثرة الدماء التي تعلو على الماء مرتين أو ثلاثاً، فلما شرب سقطت ثناياه مع الماء فقال: الحمد لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء.

ثم أدخل على ابن زياد، فلما وقف بين يديه لم يسلم عليه، فقال له الحرس: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: لا! إن كان يريد قتلي فلا حاجة لي بالسلام عليه، وإن لم يرد قتلي فسأسلم عليه كثيراً؛ فأقبل ابن زياد عليه فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض؟ قال: كلا لست لذلك أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب. قال: وما أنت وذاك يا فاسق؟ لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟ فقال: أنا أشرب الخمر! والله إن الله ليعلم أنك غير صادق، وإنك قلت بغير علم، وأنت أحق بذلك مني، فإني لست كما ذكرت، وإن أولى بها مني من يلغ في دماء المسلمين ولغاً، ويقتل النفس التي حرم الله بغير نفس، ويقتل على الغضب والظن، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

فقال له ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه، ولم يرك أهله، قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد، قال: الحمد لله على كل حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم، قال: كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئاً؟ قال: لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين. قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس. قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه، أما إنك

لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة المكتسبة عن كتابكم وجهالكم. وأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً، ومسلم ساكت لا يكلمه. ثم قال له ابن زياد: إني قاتلك. قال: كذلك؟ قال: نعم. قال: فدعني أوصي إلى بعض قومي، قال: أوص فنظر في جلسائه وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، وهي سر فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك، فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد، فقام فتنحى قريباً من ابن زياد فقال له مسلم: إن عليّ ديناً في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني، واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين، فإني كنت قد كتبت إليه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً. فقام عمر فعرض على ابن زياد ما قال له فأجاز ذلك له كله، وقال: أما الحسين فإن لم يردنا لا نرده، وإن أرادنا لم نكف عنه.

ثم أمر ابن زياد بمسلم بن عقيل، فأصعد إلى أعلى القصر وهو يكبر ويهلل ويسبح ويستغفر ويصلي على ملائكة الله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا. ثم ضرب عنقه رجل يقال له بكير بن حمران، ثم ألقى رأسه إلى أسفل القصر، وأتبع رأسه بجسده، ثم أمر بهانىء بن عروة المذحجي فضربت عنقه بسوق الغنم، وصلب بمكان من الكوفة يقال له الكناسة، فقال رجل شاعر في ذلك قصيدة:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانىء في السوق وابن عقيل
أصابهما أمر الإمام فأصبحا ... أحاديث من يغشى بكل سبيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوى في طمار قتيل
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيل
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا بغياً أرضيت بقليل

ثم إن ابن زياد قتل معهما أناساً آخرين، ثم بعث برؤوسهما إلى يزيد بن معاوية في الشام، فكتب له كتاباً صورة ما وقع من أمرهما.

صفة مخرج الحسين إلى العراق

لما تواترت الكتب إلى الحسين من جهة أهل العراق وتكررت الرسل بينهم وبينه وجاءه كتاب مسلم بن عقيل بالقدوم عليه بأهله، ثم وقع في غضون ذلك ما وقع من قتل مسلم بن عقيل، والحسين لا يعلم بشيء من ذلك، بل قد عزم على المسير إليهم والقدوم عليهم، فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد ـ فإن مسلماً قتل يوم عرفة ـ ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم.

تحذيرات من خروج الحسين

وروى أبو مخنف عن الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سمعان: أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال: يا ابن عم إنه قد أرجف(١) الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع؟ فقال: إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: أخبرني إن كان قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم، وإن كان أميرهم حي وهو مقيم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس.

عن الشعبي يحدث عن ابن عمر أنه كان بمكة فبلغه أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال: أين تريد؟ قال: العراق، وإذا معه طوامير(٢) وكتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم، فقال: لا تأتهم، فأبى. فقال ابن عمر: إني محدثك حديثاً، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله؛ والله ما يليها أحد منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى أن يرجع. واعتنقه وبكى وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، فرأى من الفتنة وخذلان الجماعة خير. وقال له ابن عباس: وأين تريد يا ابن فاطمة؟ فقال: العراق وشيعتي، فقال: إني لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملالة لهم؟ أذكرك الله أن تغرر بنفسك.

وقال أبو سعيد الخدري: غلبني الحسين على الخروج، وقلت له: اتق الله في نفسك والزم بيتك ولا تخرج على إمامك.

وقال أبو واقد الليثي: بلغني خروج الحسين بن علي فأدركته بملل فناشدته الله أن لا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج، إنما خرج يقتل نفسه، فقال: لا أرجع.

وقال جابر بن عبد الله: كلمت حسيناً فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني.

وقال سعيد بن المسيب: لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: وقد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، ولكن شجعه على ذلك ابن الزبير، وكتب إليه المسور بن مخرمة: إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول ابن الزبير: الحق بهم فإنهم ناصروك. وقال له ابن عباس: لا تبرح

---

(١) أرجف: ردد، وخاض في أخبار الفتن.

(٢) طوامير: صحائف.

الحرم فإنهم إن كانت بهم إليك حاجة فسيضربون إليك أباط الإبل حتى يوافوك فتخرج في قوة وعدة. فجزاه خيراً وقال: أستخير الله في ذلك. وكتبت إليه عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إن لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه وتقول: أشهد لسمعت عائشة تقول إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتل الحسين بأرض بابل» فلما قرأ كتابها قال: فلا بد لي إذن من مصرعي، ومضى.

وأتاه بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له: يا ابن عم قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك، وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فأذكرك الله في نفسك. فقال: جزاك الله يا ابن عم خيراً، مهما يقضي الله من أمر يكن. فقال أبو بكر: إنا لله وإنا إليه راجعون، نحتسب أبا عبد الله عند الله.

وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذره أهل العراق ويناشده الله إن شخص إليهم. فكتب إليه الحسين: إني رأيت رؤيا، ورأيت رسول الله ﷺ أمرني بأمر وأنا ماض له، ولست بمخبر بها أحداً حتى ألاقي عملي. وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص نائب الحرمين: إني أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عما يريدك، بلغني أنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق، وإني أعيذك الله من الشقاق، فإنك إن كنت خائفاً فأقبل إلي، فلك عندي الأمان والبر والصلة. فكتب إليه الحسين: إن كنت أردت بكتابك بري وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، وإنه لم يشاقق من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة عنده.

وبعث الحسين إلى المدينة يقدم عليه من خف من بني عبد المطلب، وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان من إخوته وبناته ونسائه، وتبعهم محمد ابن الحنفية، فأدرك حسيناً بمكة، فأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل، فحبس محمد ابن الحنفية ولده فلم يبعث أحداً منهم حتى وجد الحسين في نفسه على محمد، وقال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟ فقال: وما حاجتي إلى أن تصاب ويصابون معك؟ وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم؟.

قالوا: وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج متوجهاً إليهم في أهل بيته وستين شخصاً من أهل الكوفة صحبته، وذلك يوم الاثنين في عشر ذي الحجة، فكتب مروان إلى ابن زياد: أما بعد، فإن الحسين بن علي قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة. وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من

الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام.

قال أبو مخنف عن أبي خالد الكاهلي، قال: لما صبحت الخيل الحسين بن علي رفع يديه فقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي من كل أمر نزل ثقة وعدة، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك وشكوته إليك؛ رغبة فيه إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت لي وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل غاية.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثني حجاج بن محمد عن أبي معشر عن بعض مشيخته، قال: قال الحسين حين نزلوا كربلاء: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال: كرب وبلاء. وبعث عبيد الله بن زياد عمر بن سعد لقتالهم، فقال له الحسين: يا عمر اختر لي إحدى ثلاث خصال، إما أن تتركني أرجع كما جئت، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في ما رأى، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت. فأرسل إلى ابن زياد بذلك، فهم أن يسيره إلى يزيد، فقال شمر بن ذي الجوشن: لا! إلا أن ينزل على حكمك. فأرسل إلى الحسين بذلك فقال الحسين: والله لا أفعل، وأبطأ عمر عن قتاله فأرسل ابن زياد شمر بن ذي الجوشن وقال له: إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقتله وكن مكانه، فقد وليتك الإمرة. وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة، فقالوا له: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه.

وقال أبو زرعة: حدثنا سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام عن حصين، قال: أدركت من مقتل الحسين قال: فحدثني سعد بن عبيدة قال: فرأيت الحسين وعليه جبة برود ورماه رجل يقال له عمرو بن خالد الطهوي بسهم، فنظرت إلى السهم معلقاً بجبته. وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عمار الرازي، حدثني سعيد بن سليمان، ثنا عباد بن العوام، ثنا حصين أن الحسين بعث إليه أهل الكوفة: أن معك مائة ألف، فبعث إليهم مسلم بن عقيل فذكر قصة مقتل مسلم كما تقدم. قال حصين: فحدثني هلال بن يساف أن ابن زياد أمر الناس أن يأخذوا ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة حفظاً فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج.

وأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى أتى الأعراب فسألهم عن الناس فقالوا: والله لا ندري، غير أنك لا تستطيع أن تلج ولا تخرج، قال: فانطلق يسير نحو يزيد بن معاوية، فتلقته الخيول بكربلاء فنزل يناشدهم الله والإسلام، قال: وكان بعث إليه ابن يزيد عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحصين بن نمير، فناشدهم الله والإسلام أن يسيروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فقالوا له: لا! إلا أن تنزل على حكم

ابن زياد، وكان في جملة من معهم الحر بن يزيد الحنظلي ثم النهشلي على خيل، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم: ألا تتقون الله؟ ألا تقبلون من هؤلاء ما يعرضون عليكم، والله لو سألتكم هذا الترك والديلم ما حل لكم أن تردوهم فأبوا إلا حكم ابن زياد؟ فضرب الحروجة فرسه وانطلق إلى الحسين، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم.

فلما دنا منهم قلب ترسه وسلم عليهم ثم كر على أصحاب ابن زياد فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمه الله.

وذكر أن زهير بن القين البجلي لقي الحسين وكان حاجاً فأقبل معه، وخرج إليه ابن أبي مخرمة المرادي ورجلان آخران، وهما عمرو بن الحجاج ومعن السلمي، وأقبل الحسين يكلم من بعث إليه ابن زياد وعليه جبة من برود، فلما كلمهم انصرف فرماه رجل من بني تميم يقال له عمرو الطهوي بسهم بين كتفيه، فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً بجبته، فلما أبوا عليه رجع إلى مصافه وإني لأنظر إليهم وهم قريب من مائة رجل، فيهم لِصُلْب عَلِيٍّ خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ورجل من بني سليم حليف لهم، ورجل من بني كنانة حليف لهم، وابن عم ابن زياد.

وقال حصين، حدثني سعد بن عبيدة قال: إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد إذ أتاه رجل فساره فقال له: قد بعث إليك ابن زياد جويرية بن بدر التميمي وأمره إن لم تقاتل القوم أن يضرب عنقك. قال: فوثب إلى فرسه فركبها ثم دعا بسلاحه فلبسه وإنه لعلى فرسه، ونهض بالناس إليهم فقاتلوهم فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد، فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيبه في أنفه ويقول: إن أبا عبد الله كان قد شمط. قال: وجيء بنسائه وبناته وأهله قال: وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل وأجرى عليهم رزقاً، وأمر لهم بنفقة وكسوة. قال: وانطلق غلامان منهم من أولاد عبد الله بن جعفر ـ أو ابن أبي جعفر ـ فأتيا رجلاً من طيء فلجأ إليه مستجيرين به، فضرب أعناقهما وجاء برأسيهما حتى وضعهما بين يدي ابن زياد، قال: فهم ابن زياد بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت.

قال: وحدثني مولى لمعاوية بن أبي سفيان قال: لما أتى يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه رأيته يبكي ويقول: لو كان بين ابن زياد وبينه رحم ما فعل هذا ـ يعني ابن زياد ـ قال الحصين: ولما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع.

من فضائله رضي الله عنه

روى البخاري عن عبد الله بن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن المحرم يقتل الذباب فقال: أهل العراق يسألون عن قتل الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ،

وقد قال رسول الله ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا».

عن أبي هريرة: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذاً رفيقاً فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله أردهما إلى أمهما؟ قال: فبرقت برقة فقال لهما: الحقا بأمكما، قال: فمكث ضوءها حتى دخلا على أمهما.

ومن شعر الحسين:

إغن عن المخلوق بالخالق ... تسد على الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غير اللّه من رازق
من ظن أن الناس يغنونه ... فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه ... زلت به النعلان من حالق

تاريخ مقتل الحسين

قال الزبير بن بكار: قتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، كذا قال الجمهور، وشذ من قال غير ذلك.

قال إبراهيم النخعي: لو كنت فيمن قاتل الحسين، ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ.

٣٧ ـ عمير بن سعد

«وفت أذنك يا غلام، وصدقك ربك»

اسمه

عمير بن سعد بن شهيد بن قيس بن النعمان بن عمرو، الأنصاري، الأوسي، العبد الصالح الأمير.

صحب رسول الله ﷺ وولاه عمر رضي الله عنه حمص. فأما أبوه سعد فشهد بدراً، يقال له سعد القارىء وهو الذي جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقتل سعد بالقادسية شهيداً.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت أم عمير بن سعد عند الجلاس بن سويد فقال الجلاس في غزوة تبوك إن كان ما يقول محمد حقاً فلنحن شر من الحمير، فسمعها

عمير فقال: والله إني لأخشى إن لم أرفعها إلى النبي ﷺ أن ينزل القرآن وأن أخلط بخطيئة ولنعم الأب هو لي، فأخبر النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ الجلاس فعرفه وهم يترحلون فتحالفا فجاء الوحي إلى النبي ﷺ فسكتوا فلم يتحرك أحد وكذلك كانوا يفعلون لا يتحركون إذا نزل الوحي فرفع عن النبي ﷺ فقال: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، فقال الجلاس: استتب لي ربي فإني أتوب إلى الله وأشهد لقد صدق.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤] فقال عروة: كان مولى للجلاس قتل في بني عمرو بن عوف، فأبى بنو عمرو بن عوف أن يعقلوه، فلما قدم النبي ﷺ المدينة جعل عقله على بني عمرو بن عوف، قال عروة: فما زال عمير منها بعلياء حتى مات، قال ابن جريح: عن ابن سيرين قال: فما سمع عمير من الجلاس شيئاً يكرهه بعدها.

قال عبد الرزاق: وأخبرنا هشام بن حسان عن ابن سيرين قال: لما نزل القرآن أخذ النبي ﷺ بأذن عمير فقال: «وفت أذنك يا غلام وصدقك ربك».

عن أبي طلحة الخولاني قال: أتينا عمير بن سعد في داره بفلسطين وكان يقال له نسيج وحده، فقعدنا على دكان له عظيم في داره، فقال: يا غلام، أورد الخيل ـ وفي الدار قور[(١)] من حجارة ـ قال: فأوردها، فقال: أين يا فلانة؟ قال: هي جربة، تقطر دماً، قال: أوردها، فقال أحد القوم: إذا تجرب الخيل كلها! قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ألم تر إلى البعير يكون بالصحراء ثم يصبح وفي كركرته[(٢)] ـ أو في مراقه[(٣)] ـ نكتة لم تكن. فمن أعدى الأول؟».

مع عمر بن الخطاب

عن ابن سيرين، قال: كان عمير بن سعد يعجب عمر؛ فكان من عجبه به يسميه: نسيج وحده، وبعثه مرة على جيش من قبل الشام، فوفد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها: «عرب السوس» تطلع عدونا على عوراتنا، فيفعلون ويفعلون.

فقال عمر: خيرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم ونعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان

---

(١) قور: أي كومة.
(٢) كركرته: زور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض، وهي ناتئة عن جسمه.
(٣) مراقه: المراق: الأرفاغ.

كل بقرة بقرتين، ومكان كل شيء شيئين؛ فإن فعلوا فأعطهم ذلك، وإن أبوا فانبذ[1] إليهم على سواء، ثم أجلهم سنة، فقال: اكتب لي يا أمير المؤمنين عهدك بذلك، فعرض عمير عليهم، فأبوا، فأجلهم سنة ثم نابذهم.

فقيل لعمر: إن عميراً قد خرب عرب السوس، وفعل، فتغيظ عليه، فلما قدم علاه بالدرة، وقال: خربت عرب السوس! وهو ساكت، فلما دخل عمر بيته استأذن عليه؟ فدخل، وأقرأه عهده، فقال عمر: غفر الله لك.

وعن عبد الملك بن هارون بن عنترة قال: حدثني أبي عن جدي عن عمير ابن سعد الأنصاري قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص مكث حولاً لا يأتيه خبره. فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا.

قال: فأخذ عمير جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شَعرته، فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما ترى من شأني ألست تراني صحيح البدن ظاهر الدم، معي جواربي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدواً إن عرض لي، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان لك أحد يتبع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك، فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم. فقال عمير: اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة، قال عمر: فأين بعثتك وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: سبحان الله.

فقال عمير: أما إني لولا أخشى أن أغمك ما أخبرتك، بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيهم حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به، قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا. قال: جددوا لعمير عهداً، قال: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك. ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال فقال عمر حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا. فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل، وإن رأيت حالاً شديداً فادفع إليه هذه المائة الدينار. فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يفلي قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: انزل رحمك الله، فنزل ثم ساءله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة، فقال: كيف تركت أمير

(١) أي ألق إليهم أنك قد نقضت ما بينك وبينهم، فيكونوا معك في علم النقض، والعودة إلى الحرب مستنين.

المؤمنين؟ فقال: صالحاً. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين، قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى ضرب ابناً له على فاحشة فمات من ضربه. فقال عمير: اللهم أعن عمر فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل، قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح وقال: لا حاجة لي فيها فردها. فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها. فقال عمير: والله ما لي شيء أجعلها فيه. فشقت المرأة درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها، ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء. ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً، فقال له عمير: أقرىء مني أمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت أمير المؤمنين حالاً شديداً. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري، قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها. قال: قدمتها لنفسي. قال: رحمك الله. فأمر له بوسق من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك، قد جاء الله بالرزق ولم يأخذ الطعام، وأما الثوبان فإن أم فلان عارية. فأخذهما ورجع إلى منزله.

فلم يلبث أن مات رحمه الله، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحم عليه وخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد. فقال لأصحابه: ليتمن كل رجل منكم أمنية، فقال رجل: يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالاً فأنفق في سبيل الله، وقال آخر: وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله، فقال عمر بن الخطاب: وددت أن لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين. رحمه الله ورضي الله عنه.

٣٨ ـ أبو الدرداء

«نعم الفارس عويمر»

اسمه

عويمر بن زيد، وقيل: ابن عامر.

إسلامه

أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحداً.

قصة إسلامه

كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً، وكان يعبد صنماً فدخل ابن رواحة ومحمد بن مسلمة بيته، فكسرا صنمه، فرجع يجمع الصنم ويقول: ويحك! هلا امتنعت! ألا دفعت عن نفسك! فقالت أم الدرداء: لو كان ينفع أو يدفع عن أحد دفع عن نفسه، ونفعها.

فقال أبو الدرداء: أعدي لي ماء في المغتسل. فاغتسل ولبس حلته، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فنظر إليه ابن رواحة مقبلاً فقال: يا رسول الله، هذا أبو الدرداء وما أراه جاء إلا في طلبنا. فقال ﷺ: «إنما جاء ليسلم، إن ربي وعدني بأبي الدرداء أن يسلم».

بلاؤه في أحد

قال شريح بن عبيد الحمصي: لما هزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد، كان أبو الدرداء يومئذ فيمن فاء إلى رسول الله ﷺ في الناس، فلما أظلهم المشركون من فوقهم، قال رسول الله ﷺ: «اللهم ليس لهم أن يعلونا» فثاب إليه ناس وانتدبوا، وفيهم عويمر أبو الدرداء حتى أدحضوهم عن مكانهم، وكان أبو الدرداء يومئذ حسن البلاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الفارس عويمر».

نبذ من أقواله وأفعاله

عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم.

وعن ميمون بن مهران قال: قال أبو الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله علمه. ويل للذي يعلم ولا يعمل ـ سبع مرات.

وعن أبي وائل قال: قال أبو الدرداء: إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكني أرجو فيه الأجر، وإن أبغض الناس إلي أن أظلمه من لا يستعين عليّ إلا بالله.

عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وعن عون بن عبد الله قال: سئلت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار. (رواهما الإمام أحمد).

وعن الضحاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء. ما يمنعكم من مودتي، وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به وتركتم ما آمركم به، ألا إن قوماً بنوا شديداً وجمعوا كثيراً وزملوا بعيداً، فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً، ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم

والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما.

وعن ابن أبي ليلى قال: كتب أبي الدرداء إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري: أما بعد، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله حببه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله وبغضه إلى خلقه.

وعن أنس، عن أبي الدرداء، قال: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً، ولا تك الرابع فتهلك. قلت للحسن: وما الرابع؟ قال: المبتدع.

وعن حبيب أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال له: أوصني، فقال له: اذكر الله عز وجل في السراء يذكرك في الضراء، فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير. (رواه أحمد).

أنبأ أبو سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال: يا حبذا نوم الأكياس[١] وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم؟ ومثقال ذرة من بر مع تقوى ودين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين. (الحلية لأبي نعيم عن الإمام أحمد).

وعن علي بن حوشب، عن أبي الدرداء قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها الآمرة، هل ائتمرت والزاجرة هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع. (رواه الإمام أحمد).

وعن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: إنما أخشى على نفسي أن يقال لي على رؤوس الخلائق: يا عويمر، هل علمت؟ فأقول: نعم. فيقال: ماذا عملت فيما علمت؟.

عن سالم عن أم الدرداء قالت: دخل علينا يوماً أبو الدرداء مغضباً، فقلت: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جميعاً.

وعن سالم بن أبي الجعد أن رجلاً صعد إلى أبي الدرداء إلى غرفة له، وهو يلتقط حباً، فقال أبو الدرداء: إن من فقه الرجل رفقه في معيشته.

عن عبد الرزاق قال: أنبأ معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده، واغتنم دعوة المبتلي. يا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المساجد بيت كل تقي، وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والرحمة

---

(١) الأكياس: مفردها «كيس»، وهو الظريف الفطن.

والجواز على الصراط إلى رضوان الله عز وجل».

ويا أخي ارحم اليتيم وأدنه وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول، وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك؟» فقال: نعم، قال: «ادن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك».

يا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله عز وجل فيها، وهو بين يدي ماله، وماله خلفه وكلما تكفأ به الصراط قال له صاحبه: امض فقد أديت الحق الذي كان عليك»، قال: «ويجاء بالذي لم يطع الله عز وجل فيه وما له بين كتفيه فيعثره ماله ويقول له: ويلك هلا عملت بطاعة الله عز وجل؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل».

ويا أخي حدثت أنك اشتريت خادماً، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يخدم فإذا خدم وجب عليه الحساب»، وإن أم الدرداء سألتني خادماً وأنا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب.

ويا أخي لا تغترن بصحابة رسول الله ﷺ فإنا عشنا بعده دهراً طويلاً، والله أعلم بالذي أصبنا بعده.

رفضه تزويج ابنته يزيد بن معاوية

وعن جابر قال: خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ابنة أم الدرداء، فردَّه، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله، تأذن لي أن أتزوجها؟ قال: أعزب ويلك. قال: فائذن لي أصلحك الله، قال: فأذن له فأنكحها أبو الدرداء للرجل. قال: فسار ذلك في الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه، قال: فقال أبو الدرداء: إني نظرت للدرداء فما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان، ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ؟ (رواه الإمام أحمد).

وروي أيضاً من حديث لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: معاتبة الأخ خير له من فقده، ومن لك بأخيك كله؟ أعط أخاك ولِنْ له، ولا تطع به حاسداً فتكون مثله. غداً يأتيك الموت فيكفيك فقده، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله؟

وقال: إن ناقدت الناس ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم أدركوك. قال: يا أبا الدرداء فما تأمرني؟ قال: هب عرضك ليوم فقرك، وما تجرع مؤمن جرعة أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه فاعفوا يعزكم الله.

وقال: إياكم ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام.

وقال: ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظة يعظ بها قومه، يفترقون وقد نفعهم الله عز وجل بها.

وعن حرام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولخرجتم إلى الصعدات تضربون نفوسكم تبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

عن يزيد بن مرثد أبو عثمان، عن أبي الدرداء أنه قال: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب عز وجل.

وروى أحمد عن فرات بن سليمان أن أبا الدرداء كان يقول: ويل لكل جَمَّاع فاغرٍ فاه، كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

قال: وكان يقول: أحب الموت وتكرهونه، وأحب الفقر وتكرهونه، أين الذين أملوا بعيداً، وجمعوا كثيراً، وبنوا شديداً فأصبح أملهم غروراً وأصبح جمعهم بوراً وأصبحت منازلهم قبوراً؟.

وفي رواية أخرى: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي عز وجل، وأحب الفقر تواضعاً لربي عز وجل، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

وعن ابن جابر قال: كان أبو الدرداء يقول: تبنون شديداً، وتأملون بعيداً، وتموتون قريباً.

وعن محمد بن سعد الأنصاري، عن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع. (رواه الإمام أحمد).

وعن معاوية بن صالح، عن أبي الدرداء قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح.

وعن عبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال: بلغني أن أبا الدرداء كتب إلى أخ له: أما بعد، فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وهو صائر له أهل بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك فآثرها على المصلح من ولدك، فإنك تقدم على من لا يعذرك، وتجمع لمن لا يحمدك، وإنما تجمع لواحد من اثنين: إما عامل فيه بطاعة الله عز وجل فيسعد بما شقيت، وإما عامل فيه بمعصية الله عز وجل فيشقى بما جمعت له، وليس ـ والله ـ واحد منهما بأهل أن تبرد له على ظهرك، وأن تؤثره على

نفسك. ارج لمن مضى منهم رحمة الله، وثق لمن بقي منهم برزق الله عز وجل والسلام.

وعن محمد بن يزيد الرحبي قال: قيل لأبي الدرداء: ما لك لا تشعر فإنه ليس رجل له بيت في الأنصار إلا وقد قال شعراً؟ قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

يريد المرء أن يعطي مناه ويأبى اللَّه إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى اللَّه أفضل ما استفادا

وعن يحيى بن سعيد قال: قال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقاً لا شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورقة فيه، إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك. قالوا: فكيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك.

وعن قتادة، قال: قال أبو الدرداء: ابن آدم، طأ الأرض بقدم، فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك من يوم ولدتك أمك.

وعن روح بن الزبرقان قال: قال أبو الدرداء: ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن حلمه وعمله، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة في ماله ظل فرحاً مسروراً، والليل والنهار دائبان في هدم عمره لا يحزنه ذلك، ضل ضلاله، ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص؟

وعن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فرأيتهم كما نرى.

وعن شرحبيل، أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون، وروحوا فإنا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظاً، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له.

عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد أنه سمعه يقول: كان أبو الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع في كل واد مال.

عن معاوية بن قرة، قال أبو الدرداء: ثلاثة أحبهم ويكرههم الناس: الفقر، والمرض، والموت. أحب الفقر تواضعاً لربي، والموت اشتياقاً لربي، والمرض تكفيراً لخطيئتي.

وعن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، قال: إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

وعن حسان بن معطية أن أصحاباً لأبي الدرداء تضيفوه، فضيفهم، فمنهم من بات على ثيابه كما هو، فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا داراً لها نجمع وإليها نرجع.

وعن أبي قلابة، أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله عز وجل الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي. (رواه الطبراني).

وعن سليم بن عامر، عن أبي الدرداء، قال: نعم صومعة المرء المسلم يكف لسانه وفرجه وبصره، وإياكم ومجالس الأسواق فإنها تلهى وتلغى.

ورعه وخوفه

عن يزيد بن مزيد، قال: ذكر الرجال في مجلس فيه أبو الدرداء فقال ابن الكندية: إني لغير الرجال أخوف مني من الرجال، فقال أبو الدرداء: وما هو؟ قال: أخاف أن أستلب إيماني وأنا لا أشعر، فقال أبو الدرداء: ثكلتك أمك يا ابن الكندية، وهل في الأرض خمسون يتخوفون ما تتخوف، ثم قال: وثلاثون، وعشرون، وعشرة، وخمسة، ثم قال: وثلاثة. كل ذلك يقول: ثكلتك أمك والذي نفسي بيده، ما أمن عبد على إيمانه إلا سلبه، أو انتزع منه فيفقده، والذي نفسي بيده، ما الإيمان إلا كالقميص يتقمصه مرة، ويضعه أخرى.

زهد أبي الدرداء رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت تاجراً قبل أن يبعث النبي ﷺ، فلما بُعث النبي ﷺ أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم يستقم، فتركت التجارة وأقبلت على العبادة.

قال الذهبي: الأفضل الجمع بين الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله هو طريقة جماعة من السلف والصوفية، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك، فبعضهم يقوى على الجمع، كالصديق وعبد الرحمن بن عوف، وبعضهم يعجز ويقتصر على العبادة، وبعضهم يقوى في بدايته ثم يعجز، وبالعكس، وكل سائغ، ولكن لا بد من النهضة بحقوق الزوجية والعيال.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه، وزاد: والذي نفس أبي الدرداء بيده، ما أحب أن لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة، أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً وأتصدق بها كلها في سبيل الله، قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب.

وعند أبي نعيم أيضاً من طريق آخر عنه قال: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها في المسجد، ما أقول: إن الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من

الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن خالد بن حُدَير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء رضي الله عنه وتحته فراش من جلد أو صوف، وعليه كساء صوف وسبتية صوف وهو وجع وقد عرق، فقال: لو شئت كسيت فراشك بورق وكساء مرعزى مما يبعث به أمير المؤمنين؟ قال: إن لنا داراً، وإنا لنظعن إليها ولها نعمل.

وعند أحمد عن محمد بن كعب أن ناساً نزلوا على أبي الدرداء ليلة قرة، فأرسل إليهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلُحُف، فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القر، لا أنتهي أو أبين له، قال الآخر: دعه، فأبى فجاء حتى وقف على الباب رآه جالساً وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر؛ فرجع الرجل وقال: ما أراك بت إلا بنحو ما بتنا به، قال: إن لنا داراً ننتقل إليها قدمنا فرشنا ولحفنا إليها، ولو ألقيت عندنا منه شيئاً لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبة كؤوداً، المخف فيها خير من المثقل، أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم.

وقد تقدم في الإنكار على ترفع الأمير أن عمر رضي الله عنه دخل عليه فدفع الباب فإذا ليس له غلق، فدخل في بيت مظلم فجعل يلمسه حتى وقع عليه فجس وساده فإذا برذعة، وجس فراشه فإذا بطحاء، وجس دثاره فإذا كساء رقيق، قال عمر: رحمك الله، ألم أوسع عليك؟! ألم أفعل لك؟ فقال له أبو الدرداء: أتذكر حديثاً حدثناه رسول الله ﷺ؟ قال: أي حديث؟ قال: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»، قال: نعم! قال: فماذا فعلنا بعده يا عمر؟ قال: فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا.

ذكر وفاة أبي الدرداء رضي الله عنه

عن معاوية بن قرة: أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: أشتكي ذنوبي. قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني.

عن لقمان بن عامر، عن أم الدرداء أنها قالت: اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا، اللهم فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه في الجنة، فقال لها أبو الدرداء: فإن أردت ذلك وكنت أنا الأول فلا تزوجي بعدي. قال: فمات أبو الدرداء، وكان لها جمال وحسن. فخطبها معاوية فقالت: لا والله لا أتزوج زوجاً في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله عز وجل في الجنة.

عن عمر بن ميمون بن مهران عن أبيه قال: قالت أم الدرداء لأبي الدرداء: إن احتجت بعدك آآكل الصدقة؟ قال: لا، اعملي وكلي. قالت: فإن ضعفت عن العمل؟ قال: التقطي السنبل ولا تأكلي الصدقة.

عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء، أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠].

عن إسماعيل بن عبيد الله: أن أبا مسلم قال: جئت أبا الدرداء، وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا؟ ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ثم قبض رحمه الله.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: رأيت في المنام كأني أتيت مرجاً أخضر، فيه قبة من أدم، حولها غنم ربوض تجتر وتبعر العجوة، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الرحمن بن عوف. فانتظرته حتى خرج من القبة فقال: يا عوف بن مالك هذا ما أعطانا الله عز وجل بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت ما لم تر عينك وسمعت ما لم تسمع أذنك ولم يخطر على قلبك، أعده الله عز وجل لأبي الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر.

عن محمد بن سعد قال: أخبرنا الواقدي، توفي أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، وله عقب بالشام.

وعن غير الواقدي، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، قال: توفي أبو الدرداء بالشام سنة إحدى وثلاثين.

٣٩ ـ حجر بن عدي

«وما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفناً منشوراً، وسيفاً مشهوراً»

اسمه

حجر بن عدي بن جبل بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكبر بن الحارث بن معاوية بن ثور بن بزيغ بن كندي الكوفي، ويقال له حجر الخير، ويقال له حجر بن الأدبر، لأن أباه عدياً طُعن مولّياً فسمي الأدبر، وهو من كندة من رؤساء أهل الكوفة.

قال ابن عساكر: وفد إلى النبي ﷺ وسمع علياً وعماراً وشراحيل بن مرة، ويقال شرحبيل بن مرة.

وغزا الشام في الجيش الذين افتتحوا عذراء، وشهد صفين مع علي أميراً.

وقال المرزباني: قد روي أن حجر بن عدي وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه

هانىء بن عدي، وكان هذا الرجل من عباد الناس وزهادهم، وكان باراً بأمه، وكان كثير الصلاة والصيام، قال أبو معشر: ما أحدث قط إلا توضأ، ولا توضأ إلا صلى ركعتين. هكذا قال غير واحد من الناس.

مع المغيرة بن شعبة

عن أبي إسحاق قال: وكان إذ كان المغيرة بن شعبة على الكوفة إذا ذكر علياً في خطبته يتنقصه بعد مدح عثمان وشيعته فيغضب حجر هذا ويظهر الإنكار عليه، ولكن كان المغيرة فيه حلم وأناة فكان يصفح عنه ويعظه فيما بينه وبينه، ويحذره غب هذا الصنيع، فإن معارضة السلطان شديد وبالها، فلم يرجع حجر عن ذلك.

فلما كان في آخر أيام المغيرة قام حجر يوماً، فأنكر عليه في الخطبة وصاح به وذمه بتأخيره العطاء عن الناس، وقام معه فقام الناس لقيامه، يصدقونه ويشنعون على المغيرة.

ودخل المغيرة بعد الصلاة قصر الإمارة ودخل معه جمهور الأمراء، فأشاروا عليه بردع حجر هذا عما تعاطاه من شق العصي والقيام على الأمير، وذمروه وحثوه على التنكيل فصفح عنه وحلم به.

وذكر يونس بن عبيد أن معاوية كتب إلى المغيرة يستمد بمال يبعثه من بيت المال، فبعث عيراً تحمل مالاً فاعترض لها حجر، فأمسك بزمام أولها وقال: لا والله حتى يوفى كل ذي حق حقه. فقال شباب ثقيف للمغيرة: ألا نأتيك برأسه؟ فقال: ما كنت لأفعل ذلك بحجر، فتركه، فلما بلغ معاوية ذلك عزل المغيرة وولى زيداً، والصحيح أنه لم يعزل المغيرة حتى مات، فلما توفي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وجمعت الكوفة مع البصرة لزياد دخلها وقد التف على حجر جماعات من شيعة علي يقولون أمره ويشدون على يده، ويسبون معاوية ويتبرأون منه.

وقال محمد بن سعد في الطبقات: ذكر بعض أهل العلم أن حجراً وفد إلى رسول الله ﷺ مع أخيه هانىء بن عدي ـ وكان من أصحاب علي ـ فلما قدم زياد بن أبي سفيان والياً على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: تعلم أني أعرفك وقد كنت أنا وأبوك على أمر قد علمت ـ يعني من حب علي ـ وأنه قد جاء غير ذلك، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله، أملك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدي، فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك، فأنشدك الله في نفسك، وإياك وهذه السقطة وهؤلاء السفهاء أن يستنزلوك عن رأيك. فقال حجر: قد فهمت، ثم انصرف إلى منزله فأتاه الشيعة فقالوا: ما قال لك؟ قال: قال لي كذا وكذا.

وسار زياد إلى البصرة ثم جعلوا يترددون إليه يقولون له: أنت شيخنا، وإذا جاء

المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حريث ـ نائب زياد على الكوفة ـ يقول: ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير ما قد علمت؟ فقال للرسول: إنهم ينكرون ما أنتم عليه، إليك وراءك أوسع لك.

فكتب عمرو بن حريث إلى زياد: إن كان لك حاجة بالكوفة فالعجل العجل، فأعجل زياد السير إلى الكوفة، فلما وصل بعث إليه عدي بن حاتم، وجرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن عرفطة في جماعة من أشراف الكوفة لينهوه عن هذه الجماعة، فأتوه فجعلوا يحدثونه ولا يرد عليهم شيئاً، بل جعل يقول: يا غلام أعلفت البكر؟ ـ البكر مربوط في الدار ـ فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت؟ نكلمك وأنت تقول أعلفت البكر!، ثم قال عدي لأصحابه: ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى.

ثم نهضوا فأخبروا زياداً الخبر وكتموه بعضاً، وحسنوا أمره وسألوه الرفق به فلم يقبل، بل بعث إليه الشرط والمحاربة فأتي به وبأصحابه، فقال له: ما لك ويلك؟ قال: إني على بيعتي لمعاوية، فجمع زياد سبعين من أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر وأصحابه، ففعلوا، ثم أوفدهم إلى معاوية، وبلغ الخبر عائشة فأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم، فلما دخلوا على معاوية قرأ كتاب زياد فقال معاوية: اخرجوا بهم إلى عذراء فاقتلوهم هناك، فذهبوا بهم ثم قتلوا منهم سبعة، ثم جاء رسول معاوية بالتخلية عنهم، وأن يطلقوهم كلهم، فوجدوا قد قتلوا منهم سبعة وأطلقوا السبعة الباقين، ولكن كان حجر فيمن قتل في السبعة الأول، وكان قد سألهم أن يصلي ركعتين قبل أن يقتلوه، فصلى ركعتين فطول فيهما، وقال: إنهما لأخف صلاة صليتها. وجاء رسول عائشة بعدما فرغ من شأنهم.

فلما حج معاوية قالت له عائشة: أين عزب عنك حلمك حين قتلت حجراً؟ فقال: حين غاب عني مثلك من قومي.

ويذكر أن حجراً لما أرادوا قتله قال: دعوني حتى أتوضأ، فقالوا: توضأ، فقال: دعوني حتى أصلي ركعتين فصلاهما وخفف فيهما، ثم قال: لولا أن يقولوا ما بي جزع من الموت لطولتهما، ثم قال: قد تقدم لهما صلوات كثيرة. ثم قدموه للقتل وقد حفرت قبورهم ونشرت أكفانهم، فلما تقدم إليه السياف ارتعدت فرائصه فقيل له: إنك قلت: لست بجازع، فقال: وما لي لا أجزع وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً. فأرسلها مثلاً.

ثم تقدم إليه السياف، وهو أبو شريف البدوي، وقيل: تقدم إليه رجل أعور فقال له: امدد عنقك، فقال: لا أعين على قتل نفسي، فضربه فقتله. وكان قد أوصى أن يدفن في قيوده ففعل به ذلك، وقيل: بل صلوا عليه وغسلوه.

وروي أن الحسن بن علي قال: صلوا عليه ودفنوه في قيوده؟ قالوا: نعم. قال: حجهم والله. والظاهر أن الحسين قائل هذا، فإن حجراً قتل في سنة إحدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وعلى كل تقدير فالحسن قد مات قبله والله أعلم، فقتلوه رحمه الله وسامحه.

قال ابن كثير: إن معاوية لما دخل على أم المؤمنين عائشة فسلم عليها من وراء الحجاب ـ وذلك بعد مقتله حجراً وأصحابه ـ قالت له: أين ذهب عنك حلمك يا معاوية حين قتلت حجراً وأصحابه؟ فقال لها: فقدته حين غاب عني من قومي مثلك يا أماه. ثم قال لها: فكيف بري بك يا أمة؟ فقالت: إنك بي لبار، فقال: يكفيني هذا عند الله، وغداً لي ولحجر موقف بين يدي الله عز وجل. وفي رواية أنه قال: إنما قتله الذين شهدوا عليه.

وروى ابن جرير أن معاوية جعل يغرغر بالموت وهو يقول: إن يومي بك يا حجر بن عدي لطويل، قالها ثلاثاً فالله أعلم.

ويروى أن عبد الرحمن بن الحارث قال لمعاوية: أقتلت حجر بن الأدبر؟ فقال معاوية: قتله أحب إليّ من أن أقتل معه مائة ألف. وقد ذكر ابن جرير وغيره عن حجر بن عدي وأصحابه أنهم كانوا ينالون من عثمان ويطلقون فيه مقالة الجور، وينتقدون على الأمراء، ويسارعون في الإنكار عليهم، ويبالغون في ذلك، ويتولون شيعة علي، ويتشددون في الدين.

ويروى أنه لما أخذ في قيوده سائراً من الكوفة إلى الشام تلقته بناته في الطريق وهن يبكين، فمال نحوهن فقال: إن الذي يطعمكن ويكسوكن هو الله وهو باق لكنّ بعدي، فعليكن بتقوى الله وعبادته، وإني إما أن أقتل في وجهه وهي شهادة، أو أن أرجع إليكن مكرماً، والله خليفتي عليكن. ثم انصرف مع أصحابه في قيوده، ويقال: إنه أوصى أن يدفن في قيوده ففعل ذلك به، ولكن صلوا عليهم ودفنوهم رحمهم الله وسامحهم، وقد قالت امرأة من المتشيعات ترثي حجراً ـ وهي هند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية ـ ويقال: إنها لهند أخت حجر، فالله أعلم:

ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجراً يسير؟
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير
يرى قتل الخيار عليه حقاً ... له من شر أمته وزير
ألا يا ليت حجراً مات يوماً ... ولم ينحر كما نحر البعير
تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً ... كأن لم يحيها مزن مطير

ألا يـا حـجـر حـجـر بـن عـدي تـلـقـتـك الـسـلامـة والـسـرور
أخـاف عـلـيـك مـا أردي عـديـاً وشـيـخـاً فـي دمـشـق لـه ربـيـر
فـإن تـهـلـك فـكـل زعـيـم قـوم مـن الـدنـيـا إلـى هـلـك يـصـيـر
فـرضـوان الإلٰـه عـلـيـك مـيـتـاً وجـنـات بـهـا نـعـم وحـور

٤٠ ـ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح

«رجل حمته الدبر»

اسمه

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، وفى لله تعالى في حياته فحماه الله تعالى من المشركين بعد وفاته.

يكنى أبا سليمان، شهد بدراً وأحداً، وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولى الناس وبايعه على الموت.

في أحد

قاتل عاصم بن ثابت فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهماً[(١)]، فيأتي أمه سُلاَفة فيضع رأسه في حجرها، فتقول: يا بني، من أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول: خذها وأنا ابن أبي الأقلح. فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة.

قصة مقتله

قدم ناس من هذيل على رسول الله ﷺ، وسألوه أن يوجه معهم من يعلمهم، فوجه عاصماً في جماعة. فقال لهم المشركون: استأسروا فإنا لا نريد قتلكم، وإنما نريد أن ندخلكم مكة فنصيب بكم ثمناً. فقال عاصم: لا أقبل جوار مشرك. وجعل يقاتلهم حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقال: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره. فجرح رجلين وقتل واحداً، وقتلوه فأرادوا أن يجتزوا رأسه فبعث الله الدبر فحمته، ثم بعث الله إليه سيلاً في الليل فحمله وذلك يوم الرجيع. هكذا رواه محمد بن سعد.

وعن بريدة بن سفيان الأسلمي: أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن ثابت وزيد بن

(١) أشعره السهم: أصابه به في جسده، فصار له كالشعار.

الدثنة، وخبيب بن عدي، ومرثد بن أبي مرثد، إلى بني لحيان بالرجيع، فقاتلوهم حتى أخذوا أماناً لأنفسهم إلا عاصماً فإنه أبى، وقال: لا أقبل اليوم عهداً من مشرك. ودعا عند ذلك فقال: اللهم إني أحمي لك دينك فاحم لي لحمي. فجعل يقاتل وهو يقول:

ما علتي وأنا جلد نابل[1] والقوس فيها وتر عنابل[2]
إن لم أقاتلهم فأمي هابل الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل بالمرء، والمرء إليه آئل[3]

قال: فلما قتلوه قال بعضهم لبعض: هذا الذي آلت فيه المكية، وهي سلافة. فأرادوا أن يجتزوا رأسه ليذهبوا به إليها، فبعث الله الدبر[4] فلم يستطيعوا أن يجتزوا رأسه.

فلما حالت بينه وبينهم الدبر، قالوا: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به.

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً، تنجُّساً، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته.

وكانت وفاته يوم الرجيع سنة ثلاث من الهجرة.

٤١ ـ أبو موسى الأشعري

«لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود»

اسمه

عبد الله بن قيس بن سليم، بن حصار، بن حرب بن عامر بن غنم، بن عدب بن وائل بن ناجية، بن الجماهر بن الأشعر.

أمه طيبة بنت وهب بن وعك، أسلمت وماتت بالمدينة.

(١) الجلد: الشديد، النابل: صاحب النبل.
(٢) عنابل: غليظ شديد.
(٣) آئل: صائر.
(٤) الدبر: الزنابير والنحل.

إسلامه وهجرته

أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر. وبعضهم ينكر هجرته إلى الحبشة، فقد قيل: بل رجع إلى بلاد قومه، ولم يهاجر إلى الحبشة.

قدم المدينة بعد فتح خيبر، صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب، فقدموا جميعاً.

قال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن.

وكان عمر إذا رآه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى.

وكان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم.

استعمله عمر على إمرة البصرة، بعد أن عزل المغيرة، وهو الذي افتتح الأهواز وأصبهان.

عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وأمرهما أن يعلما الناس القرآن. (رواه الإمام أحمد).

وكان حسن الصوت بالقرآن، وفي الصحيح المرفوع: «لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود».

مع النبي ﷺ

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا صعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر ـ أحسبه قال: بأعلى صوته ـ ورسول الله ﷺ على بغلته تعرَّض[١] به في الجبل، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تنادون أصم ولا غائباً»، ثم قال: «يا عبد الله بن قيس ـ أو يا أبا موسى ـ ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل: لا حول ولا قوّة إلا بالله».

في غزوة أوطاس

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين، بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم أصحابه، فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته[٢]. فقلت: يا عم من رماك؟ فأشار إليه فقصدت له، فلحقته،

---

(١) تعرض به: أي أخذ منه في عروض، فتحتاج أن تأخذ يميناً وشمالاً.

(٢) أثبته: أي جعله ثابتاً في مكانه أي لا يفارقه.

فلما رآني ولى ذاهباً، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربياً؟ ألا تثبت؟.

قال: فكف، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء، فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يستغفر لي.

واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً، ثم مات، فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبدك أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً».

أبو موسى والتحكيم بين علي ومعاوية

روى ابن قتيبة أن علياً لما استقام رأيه على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو بن العاص، قام إليه الأشعث بن قيس، وشريح بن هانىء، وعدي بن حاتم، وقيس بن سعد، ومعهم أبو موسى الأشعري، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا أبو موسى الأشعري وافد أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ، وصاحب مغانم أبي بكر، وعامل عمر بن الخطاب، وقد عرضنا على القوم ابن عباس، فزعموا أنه قريب القرابة منك، ضنين في أمرك، وايم الله لو لقيت به عمراً لأخذ بصره، وغم صدره، ولكن الناس قد رضوا برجل يثق أهل العراق وأهل الشام بتقيته.

فتكلم شبيب بن ربعي فقال: إنا والله إن خفنا على أبي موسى من عمرو ما لا يخافه أهل الشام على عمرو من أبي موسى، فلعل ما خفناه لا يضرنا، ولعل ما رجوا لا ينفعهم، فإن قلت في أبي موسى ضعف، فضعفه وتقاه خير من قوة عمرو وفجوره، فأغلق به البلاء، وافتح به العافية.

ثم تكلم ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أجبت الله وأجبناك، ولكنا نقول: الله بيننا وبينك، إن كنت تخشى من أبي موسى عجزاً فشر من أرسلت الخائن العاجز، ولست تحتاج من عقله إلا إلى حرف واحد، أن لا يجعل حقك لغيرك، فيدرك حاجته منك. واعلم أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة، فإن صدقك فقد حل خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه، وإن ادعى أن عمر وعثمان استعملاه، فلقد صدق، استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب من المريض، يحميه ما يشتهي، ويوجره ما يكره، ثم استعمله عثمان برأي عمر وما أكثر من استعمل ممن لم يدع الخلافة، واعلم أن لعمرو مع كل شيء يسرك خبراً يسوؤك، ومهما نسيت فلا تنس أن علياً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وأنها بيعة هدى، وأنه لم يقاتل إلا عاصيا أو ناكثاً.

فقال أبو موسى: رحمك الله، أما والله ما لي إمام غير علي، وإني لواقف عندما رأى ولرضاء الله تعالى أحب إليّ من رضاء الناس، وما أنا وأنت إلا بالله تعالى.

فقال علي: إن الأنصار والقراء أتوني بأبي موسى فقالوا: ابعث هذا فقد رضيناه، ولا نريد سواه، والله بالغ أمره.

الاختلاف في كتابة صحيفة الصلح

فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين، فلما جيء بالكتاب قال علي: اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ومعاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية: علام قاتلناك إذا كنت أمير المؤمنين؟ اكتب: علي بن أبي طالب.

فقال الأشعث: اطرح هذا الاسم فإنه لا يضرك، فضحك علي، ثم قال: دعاني رسول الله ﷺ يوم الحديبية، حين صده المشركون عن مكة، فقال: يا علي اكتب: هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش، فقال سهيل بن عمرو: قد ظلمناك إذاً يا محمد إن قاتلناك وأنت رسول الله، لكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال ﷺ: «اكتب محمد بن عبد الله وإني رسول الله». وكنت إذا أمرني بشيء رسول الله ﷺ أسرعت، وإذا قال مشركو قريش أبطأت به، وإذا كتبت شيئاً قال نبي الله: امحها، فتعاظمني ذلك.

فدعا بمقراض فقرضه، وكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، فقال أبو الأعور: أو معاوية وعلي، فقال الأشعث: لا لعمر الله، ولكن نبدأ بأولهما إيماناً وهجرة، وأدناهما من الغلبة. فقال معاوية: قدموا أو أخروا، تقاضوا على أن علياً ومن معه من شيعته من أهل العراق، ومعاوية ومن معه من أهل الشام، أنا ننزل عند حكم الله وكتابه، من فاتحته إلى خاتمته، ما أحيا القرآن أحييناه، وما أمات القرآن أمتناه. وما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص في القرآن حكماً بما يجدان في السنة العادلة، غير المفرقة، وعلى علي ومعاوية، وتبيعتهما وضع السلاح إلى انقضاء هذه المدة، وهي من رمضان إلى رمضان، وعلى أن عبد الله بن قيس وعمراً آمنان على دمائهما وأموالهما وحريمهما والأمة على ذلك أنصار، وعليهما مثل الذي أخذا أن يقضيا بما في كتاب الله تعالى، وما لم يجدا في كتاب الله قضيا بما يجدان في السنة، وعليهما أن لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة، فإن أحبا أن يقولا قبل انقضائها، فلهما أن يقولا عن تراض منهما، على أن يرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام، فيكون الاجتماع إلى دومة الجندل، فإن رضيا أن يجتمعا بغيرها فلهما ذلك، ولهما ألا يحضرهما إلا من أحبا، ولا يشهدا إلا من أرادا، وهؤلاء النفر من أهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء إلى هذه المدة.

فكتب أهل العراق بهذا كتاباً لأهل الشام، وكتب أهل الشام كتاباً بهذا لأهل العراق، بخط عمرو بن عبادة كاتب معاوية، وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق، وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام.

ما وصى به شريح بن هانىء أبا موسى

وذكروا أن شريح بن هانىء أخذ بيد أبي موسى فقال: يا أبا موسى إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه، ولا تستقال فلتته، ومهما تقل من شيء لك أو عليك، يثبت حقه، ويزيل باطله، إنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية، ولا بأس بأهل الشام إن ملكها علي، فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الأمر حقاً.

ما وصى به الأحنف بن قيس أبا موسى

ثم جاء الأحنف بن قيس، فأخذ بيده، ثم قال: يا أبا موسى، اعرف خطب هذا الأمر، واعلم أن له ما بعده، وأنك إن ضيعت العراق، فلا عراق لك، فاتق الله، فإنك تجمع بذلك دنيا وأخرى، وإذا لقيت عمراً غداً فلا تبادره بالسلام، فليس أنت أهله، ولا تعطيه يدك، فإنها أمانة، وإياك أن يقعدك على صدر الفراش، فإنها خدعة، ولا تلقه إلا وحده، وإياك أن يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالاً، وإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فخيره أن يختار أهل العراق من قريش وأهل الشام من شاؤوا، فإنهم إن يولوا الخيار يختاروا من يريدون، فإن أبى فلتختر أهل الشام من قريش أهل العراق من شاؤوا إن فعلوا كان الأمر بيننا.

ما قال عمرو لأبي موسى

وذكروا أن عمراً غدا على أبي موسى فقال: يا أبا موسى، قد عرفت حال معاوية في قريش، وشرفه في بني عبد مناف، وأنه ابن هند، وابن أبي سفيان، فما ترى؟ فقال أبو موسى: أما معاوية فليس بأشرف في قريش من علي، ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية، كان أخوال ذي أصبح، ولكنني أرى وترى، وباعده أبو موسى، ثم غدا عليه عمرو، فقال: يا أبا موسى إن قال قائل: إن معاوية من الطلقاء، وأبوه رأس الأحزاب، لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق، وإذا قال: إن علياً آوى قتلة عثمان، وقتل أنصاره يوم الجمل، وبرز على أهل الشام بصفين، فقد صدق، وفينا وفيكم بقية، وإن عادت الحرب ذهب ما بقي، فهل لك أن تخلعهما جميعاً، وتجعل الأمر لعبد الله بن عمر، فقد صحب رسول الله ﷺ، ولم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً، وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه، فقال أبو موسى: جزاك الله بنصيحتك خيراً، وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر أحداً، لمكانه من رسول الله ﷺ ومكانه من أبيه. ولفضل عبد الله في نفسه، وافترقا على هذا الأمر. واجتمع رأيهما على ذلك.

ثم إن عمراً غدا على أبي موسى بالغد، وجماعة الشهود، فقال: يا أبا موسى، ناشدتك الله تعالى، من أحق بهذا الأمر؟ من أوفى، أو من غدر؟ قال أبو موسى: من أوفى، قال عمرو: يا أبا موسى ناشدتك الله تعالى ما تقول في عثمان؟ قال أبو موسى: قتل مظلوماً. قال عمرو: فما الحكم فيمن قتل؟ قال أبو موسى: يقتل بكتاب الله تعالى. قال: فمن يقتله؟ قال: أولياء عثمان. قال: فإن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء:٣٣]. قال: فهل تعلم أن معاوية من أولياء عثمان؟ قال: نعم. قال عمرو للقوم: اشهدوا. قال أبو موسى للقوم: اشهدوا على ما يقول عمرو.

الخدعة

ثم قال أبو موسى لعمرو: قم يا عمرو، فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه، فقال عمرو: سبحان الله! أقوم قبلك وقد قدمك الله قبلي في الإيمان والهجرة، وأنت وافد أهل اليمن إلى رسول الله، ووافد رسول الله إليهم، وبك هداهم الله، وعرفهم شرائع دينه، وسنة نبيه، وصاحب مغانم أبي بكر وعمر ولكن قم أنت فقل، ثم أقوم فأقول.

فقام أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن خير الناس للناس خيرهم لنفسه، وإني لا أهلك ديني بصلاح غيري، إن هذه الفتنة قد أكلت العرب، وإني رأيت وعمرا أن نخلع عليا ومعاوية، ونجعلها لعبد الله بن عمر، فإنه لم يبسط في هذه الحرب يدا ولا لسانا.

ثم قام عمرو فقال: أيها الناس، هذا أبو موسى شيخ المسلمين، وحكم أهل العراق، ومن لا يبيع الدين بالدنيا، وقد خلع عليا وأثبت معاوية.

فقال أبو موسى: ما لك؟عليك لعنة الله! ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث! فقال عمرو: لكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً.

واختلط الناس، فقالوا: والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتمانا عما نحن عليه وما صلحكما بلازمنا، وإنا اليوم على ما كان عليه أمس، ولقد كنا ننظر إلى هذا قبل أن يقع، وما أمات قولكما حقاً، ولا أحيا باطلاً، ثم تشاتم أبو موسى وعمرو، ثم انصرف عمرو إلى معاوية، ولحق أبو موسى بمكة، وانصرف القوم إلى علي، فقال عدي: أما والله يا أمير المؤمنين لقد قدمت القرآن، وأخرت الرجال، وجعلت الحكم لله.

فقال علي: أما إني قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غير أبي موسى، فأبيتم عليّ، ولا سبيل إلى حرب القوم حتى تنقضي المدة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين، أبي موسى وعمرو.

فقام الحسن، فتكلم، فقال: أيها الناس، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو، وإنما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى، فحكما بالهوى دون القرآن، فمن كان هكذا لم يكن حكماً ولكنه محكوم عليه، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال، خالف ـ يعني أبا موسى ـ أباه عمر، إذ لم يرضه لها، ولم يره أهلاً لها، وكان أبوه أعلم به من غيره، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لا شيء له فيها، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى، فهذه واحدة، وثانية: لم تجمع عليه المهاجرون والأنصار، الذين يعقدون الإمامة، ويحكمون على الناس، وثالثة: لم يستأمر الرجل في نفسه، ولا علم ما عنده من رد أو قبول. ثم جلس.

ثم قال علي لعبد الله بن عباس: قم فتكلم. فقام عبد الله بن عباس، وقال: أيها الناس، إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا، والناس بين راض به وراغب عنه، وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلالة، وسار عمرو بضلالة إلى هدى، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه، ومضى عمرو على ضلاله، فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه، ولئن كانا حكما بهواهما على القرآن، ولئن مسكا بما سار به، لقد سار أبو موسى وعلي أمامه، وسار عمرو ومعاوية أمامه. ثم جلس.

فقال علي لعبد الله بن جعفر: قم فتكلم. فقام وقال: أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلي، والرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبي موسى، فقلتم قد رضينا هذا، فارض به، وايم الله ما أصلحا بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق ولا أماتا حق علي، ولا أحييا باطل معاوية، ولا يذهب الحق قلة رأي، ولا نفخة شيطان، وإنا لعلي اليوم كما كنا أمس عليه. ثم جلس.

كتاب ابن عمر إلى أبي موسى

وذكروا أن عبد الله بن عمر لما بلغه ما كان من رأي أبي موسى، كتب إليه: أما بعد يا أبا موسى، فإنك تقربت إليّ بأمر لم تعلم هواي فيه، أكنت تظن أني أبسط يداً إلى أمر نهاني عنه عمر؟ أو كنت تراني أتقدم على علي وهو خير مني؟ لقد خبت إذاً وخسرت، وما أنا من المهتدين، فأغضبت بقولك وفعلك عَلَيَّ علياً ومعاوية، ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو إياك، وأنت حامل القرآن، ووافد أهل اليمن إلى نبي الله، وصاحب مغانم أبي بكر وعمر، فقدمك عمرو للقول مخادعاً، حتى خلعت علياً قبل أن تخلع معاوية، ولعمري ما يجوز لك على علي ما جاز لعمرو على معاوية، ولا ما جاز لنا عليه، ولا كرهنا ما رضيت، وأردت أن الحاكم بما حكم الله بين الناس، ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما غير أمرك في خلاف هواه.

فلما أتى أبا موسى كتاب ابن عمر كتب إليه: أما بعد، فإني والله ما أردت بتوليتي

إياك وبيعتي لك القربة إليك، ما أردت بذلك إلا الله عز وجل، وما تقلدي أمر هذه الأمة غير مستكره فإنهم كانوا على مثل حد السيف، فقلت: إلى سنة محيا وممات، إن يصطلحوا فهو الذي أردت، وإلا لم يرجعوا إلى أعظم مما كانوا عليه، وأما إغضابي عليك علياً ومعاوية، فقد غضبا عليك قبل ذلك، وأما خديعة عمرو إياي، فوالله ما ضر بخديعتي علياً، ولا نفع معاوية، وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه، لا ما اختلفنا فيه، وأما نهيي إليك، فوالله لو تم الأمر لأكرهت عليه.

كتاب معاوية إلى أبي موسى

وذكروا أن معاوية كتب إلى أبي موسى بعد الحكومة وهو بمكة: أما بعد، فاكره من أهل العراق ما كرهوا منك، وأقبل إلى الشام، فإني خير لك من علي، والسلام.

فكتب إليه أبو موسى: أما بعد، فإنه لم يكن مني في علي إلا ما كان من عمرو فيك، غير أني أردت بما صنعت وجه الله، وأراد عمرو بما صنع ما عندك، وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت. وأما قولك: إن الحكمين إذا حكما على أمر فليس للمحكوم عليه أن يكون بالخيار، إنما ذاك في الشاة والبعير، وأما في أمر هذه الأمة فليست تساق إلى ما تكره، ولن تذهب بين عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر، وأما دعاؤك إياي إلى الشام فليس لي بدل ولا إيثار عن قبر ابن إبراهيم أبي الأنبياء.

كتاب علي إلى أبي موسى

قال: وذكروا أنه لما بلغ علياً كتاب أبي موسى رق له، وأحب أن يضمه إليه، فكتب إليه: أما بعد، فإنك امرؤ ضللك الهوى، واستدرجك الغرور، فاستقل الله يقلك عثرتك، فإنه من استقال الله أقاله، إن الله يغفر ولا يغير، وأحب عباده إليه المتقون، والسلام.

فلما انتهى كتاب علي إلى أبي موسى هَمَّ أن يرجع، ثم قال لأصحابه: إني امرؤ غلب علي الحياء، ولا يستطيع هذا الأمر رجل فيه حياء.

فكتب أبو موسى إلى علي: أما بعد، فلولا أني خشيت أن يؤول منع الجواب إلى أعظم مما في نفسك لم أجبك، لأنه ليس عذر ينفعني، ولا عذر يمنعني منك، وأما التزامي مكة، فإني استفسرت إلى أهل الشام، وانقطعت من أهل العراق، وأصبت أقواماً صغروا من ذنبي ما عظمتم، وعظموا من حقي ما صغرتم، فأقمت بين أظهرهم، إذ لم يكن لي منكم ولي ولا نصير.

نبذ من أقواله وأفعاله

وقد صح من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «القرآن، فإنه من تبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زج في قفاه فقذفه في النار».

وعن أنس أن أبا موسى كان له تبان[١] ينام فيه مخافة أن ينكشف.

وعن أبي مجلز قال: قال أبو موسى: إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل.

وعن قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسى فقال: أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت (روى هذه الأحاديث الثلاثة الإمام أحمد رحمه الله).

وعن أبي بردة عن أبي موسى قال: خرجنا غازين في البحر والريح لنا طيبة والشراع لنا مرفوعاً، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل السفينة قفوا أخبركم. حتى والى بين سبعة أصوات. قال أبو موسى: فقمت على صدر السفينة فقلت: من أنت ومن أين أنت؟ أو ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفاً؟ قال: فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه؟ قال: قلت: بل أخبرنا.

قال: فإن الله قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة. قال: فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان فيصومه.

وعن أبي إدريس قال: صام أبو موسى حتى عاد كأنه خلال[٢] فقيل له: لو أجممت[٣] نفسك، فقال: أيهات[٤] إنما يسبق من الخيل المضمرة. قال: وربما خرج من منزله فيقول لامرأته: شدي رحلك فليس على جسر جهنم معبر.

عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب قال: دعا أبو موسى فتيانه حين حضرته الوفاة فقال: اذهبوا فاحفروا، وأوسعوا، وأعمقوا. فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا. فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين، أما ليوسعن على قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحن لي باب إلى الجنة فلأنظرن إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله عز وجل لي من الكرامة، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث، ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ فيضيقن عليّ قبري حتى أكون في أضيق من القناة في الزج،

---

(١) التبان: سراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة.
(٢) خلال: عود تخلل به الأسنان.
(٣) أجممت نفسك: أرحتها.
(٤) هيهات.

ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم فلأنظرن إلى سلاسلي، وأغلالي، وقرنائي، ثم ليصيبني من سَمُومها وحميمها حتى أبعث.

وعن أبي بردة قال: لما حضرت أبا موسى الوفاة قال: يا بني اذكروا صاحب الرغيف. قال: كان رجل يتعبد في صومعته، أراه قال سبعين سنة، لا ينزل إلا في يوم واحد. قال: فشبه أو شب الشيطان في عينه امرأة. قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال. قال: ثم كشف عن الرجل غطاءه فخرج تائباً فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد فآواه الليل إلى دكان[1] عليه اثنا عشر مسكيناً، فأدركه الإعياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثم راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة فيعطي كل إنسان رغيفاً. فجاء صاحب الرغيف فأعطى كل إنسان رغيفاً، فقال المتروك لصاحب الرغيف: ما لك لم تعطني رغيفي؟ قال: أتراني أمسكه عنك؟ سل هل أعطيت أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا. قال: أتراني أمسكه عنك؟ والله لا أعطيك الليلة شيئاً. فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك فأصبح التائب ميتاً. قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي فرجحت الليالي. فوزن الرغيف بالسبع ليالي فرجح الرغيف، فقال أبو موسى: يا بني اذكروا صاحب الرغيف، رضي الله عنه.

وفاته

قال أصحاب السير: توفي أبو موسى سنة اثنتين وخمسين. وقيل: اثنتين وأربعين. وقيل: أربع وأربعين. ودفن بمكة، وقيل: دفن بالثوية على ميلين من الكوفة.

٤٢ ـ بلال بن رباح

«يا بلال، إني سمعت دف نعليك في الجنة»

اسمه

بلال بن رباح، يكنى أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو، وأمه حمامة من مولدي مكة لبني جمح، وقيل: من مولدي السراة، وهو مولى أبي بكر الصديق، اشتراه بخمس أواقٍ، وقيل: بسبع أواقٍ، وقيل: بتسع أواقٍ، وأعتقه الله عز وجل وكان مؤذناً لرسول الله ﷺ وخازناً.

شهد بدراً والمشاهد كلها، وكان من السابقين إلى الإسلام، وممن يعذب في الله عز وجل فيصبر على العذاب، وكان أبو جهل يبطحه على وجهه في الشمس، ويضع

(١) دكان: بناية منخفضة يجلس عليها (مصطبة).

الرحا عليه حتى تصهره الشمس، ويقول: اكفر برب محمد، فيقول: أحد، أحد. فاجتاز به ورقة بن نوفل وهو يعذب ويقول: أحد، أحد. فقال: يا بلال، أحد أحد، والله لئن مت على هذا لأتخذن قبرك حناناً[١].

قيل: كان مولى لبني جمح، وكان أمية بن خلف يعذبه، ويتابع عليه العذاب، فقدر الله سبحانه وتعالى أن بلالا قتله ببدر.

قال سعيد بن المسيب، وذكر بلالاً: كان شحيحاً على دينه، وكان يعذب، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم[٢] قال: الله الله، قال: فلقي النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، فقال: لو كان عندنا شيء لاشترينا بلالاً، قال: فلقي أبو بكر العباس بن عبد المطلب فقال: اشتر لي بلالاً، فانطلق العباس فقال لسيدته: هل لك أن تبيعيني عبدك هذا قبل أن يفوتك خيره؟ قالت: وما تصنع به، إنه خبيث، وإنه، وإنه. ثم لقيها، فقال لها مثل مقالته، فاشتراه منها، وبعث به إلى أبي بكر رضي الله عنه وقيل: إن أبا بكر اشتراه وهو مدفون بالحجارة يعذب تحتها.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ في حياته سفراً وحضراً، وهو أول من أذن له في الإسلام.

قال بلال: «آخر الأذان، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله».

صفته رضي الله عنه

عن مكحول قال: حدثني من رأى بلالاً: رجلاً آدم، شديد الأدمة، نحيفاً، طوالاً، أحنى، له شعر كثير، خفيف العارضين، به شمط كثير، وكان لا يغير.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا» يعني: بلالاً.

وقال مجاهد: أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وخباب، وصهيب، وعمار، وبلال، وسمية أم عمار، فأما بلال فهانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه فأخذوه فكتفوه، ثم جعلوا في عنقه حبلاً من ليف فدفعوه إلى صبيانهم، فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة فإذا ملوا تركوه.

عن سعد، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل وآخرون، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآيتين.

---

(١) أي لأجعلن قبرك موضع حنان، مظنة رحمة الله تعالى.

(٢) أي يستميلوه إليهم.

وكان أمية بن خلف الجمحي ممن يعذب بلالاً ويوالي عليه بالعذاب والمكروه فكان من قدر الله أن قتله بلال يوم بدر على حسب ما أتى من ذلك في السير، فقال فيه أبو بكر الصديق أبياتاً، منها قوله:

هنيئاً زادك الرحمٰن خيراً　　فقد أدركت ثأرك يا بلال

فلما توفي رسول الله ﷺ أراد أن يخرج إلى الشام، فقال له أبو بكر: بل تكون عندي، فقال: إن كنت أعتقتني لنفسك فاحبسني، وإن كنت أعتقتني لله عز وجل فذرني أذهب إلى الله عز وجل، فقال: اذهب، فذهب إلى الشام، فكان به حتى مات. وقيل: إنه أذّنَ لأبي بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ.

وفي رواية: لما توفي رسول الله ﷺ جاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل أعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله» وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر: أنشدك الله يا بلال، وحرمتي وحقي، فقد كبرت واقترب أجلي، فأقام بلال مع أبي بكر حتى توفي أبو بكر، فلما توفي جاء بلال إلى عمر رضي الله عنه فقال له كما قال لأبي بكر، فرد عليه كما رد أبو بكر، فأبى.

وقيل: إنه لما قال له عمر، ليقيم عنده، فأبى عليه: ما يمنعك أن تؤذن؟ فقال: إني أذنت لرسول الله ﷺ حتى قبض، ثم أذنت لأبي بكر حتى قبض، لأنه كان ولي نعمتي، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا بلال، ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله»، فخرج إلى الشام مجاهداً، وأنه أذن لعمر بن الخطاب لما دخل الشام مرة واحدة، فلم ير باكياً أكثر من ذلك اليوم.

وروى أبو الدرداء أن عمر بن الخطاب لما دخل من فتح بيت المقدس إلى الجابية سأله بلال أن يقره بالشام، ففعل ذلك، قال: وأخي أبو رويحة الذي آخى رسول الله ﷺ بيني وبينه؟ قال: وأخوك فنزلا داريا في خولان، فقال لهم: لقد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين، فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله، فزوجوهما.

من مناقب بلال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي.

عن يونس بن الحسن قال رسول الله ﷺ: «بلال سابق الحبشة» قالت عائشة: لما قدم النبي ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كـل امـرىء مـصـبـح فـي أهـلـه والـمـوت أدنـى مـن شـراك نـعـلـه

وكان بلال إذا أقلع عن مجنة يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بـواد وحـولـي إذخـر وجـلـيـل
وهـل أردن يـومـاً مـيـاه مـجـنـة وهـل يـبـدون لـي شـامـة وطـفـيـل

اللهم العن عتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

عن أنس أن النبي ﷺ قال: «السباق أربعة: أنا سابق العرب، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم».

عن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من أذن بلال.

عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ: «أصبحوا بالصبح فإنه أعظم للأجر».

عن جابر بن عبد الله، عن أبي بكر الصديق، عن بلال، قال: «أذنت في غداة باردة»، فخرج النبي ﷺ فلم ير في المسجد أحداً فقال: «أين الناس؟» فقلت: حبسهم القر[١]، فقال: «اللهم أذهب عنهم البرد»، قال: فلقد رأيتهم يتروحون[٢] في الصلاة. ورواه الحماني، وغيره عن أيوب، ولم يذكروا أبا بكر.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال عمر رضي الله عنه: كان أبو بكر سيدنا وأعتق بلالاً سيدنا.

عن أبي عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالاً فقلت: يا بلال، حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي له ذلك منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي، وكان إذا أتاه الرجل المسلم فرآه عارياً يأمرني، فأنطلق فأستقرض وأشتري البردة فأكسوه وأطعمه.

وعن عبد الله قال: دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبرة[٣] من تمر، قال: «ما هذا يا بلال؟» قال: يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك. فقال: «أما تخشى أن يكون له بخار في النار؟ أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين ليلة ويوم ما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال».

---

(١) القر: البرد الشديد.
(٢) يتروحون في الصلاة: أي يحتاجون إلى الترويح من الحر.
(٣) الصبرة: الكومة من الطعام.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أمر رسول الله ﷺ بلالاً وقت الفتح فأذن فوق الكعبة.

وروي أن النجاشي بعث بثلاث عنزات[١] إلى رسول الله ﷺ، فأعطى علياً واحدة، وعمر واحدة، وأمسك واحدة، فكان بلال يمشي بها بين يديه في العيدين حتى يأتي المصلى فيركزها بين يديه فيصلي إليها، ثم كان يمشي بها بين يدي أبي بكر، ثم كان سعد القرظ يمشي بها بين يدي عمر وعثمان.

قالوا: ولما توفي رسول الله ﷺ جاء بلال إلى أبي بكر الصديق، فقال له: يا خليفة رسول الله إني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله»، فقال أبو بكر: فما تشاء يا بلال؟ قال: أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت.

ثم إن بلالاً رأى النبي ﷺ في منامه وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ ما آن لك أن تزورنا؟» فانتبه حزيناً، فركب إلى المدينة فأتى قبر النبي ﷺ وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه، فأقبل الحسن والحسين، فجعل يقبلهما ويضمهما، فقالا له: نشتهي أن تؤذن في السحر، فعلا سطح المسجد، فلما قال: «الله أكبر، الله أكبر» ارتجت المدينة، فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» زادت رجتها، فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» خرج النساء من خدورهن[٢]، فما رئي يوماً أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم.

وفاة بلال رضي الله عنه

قال علي بن عبد الرحمن: مات بلال بحلب، ودفن على باب الأربعين.

وقال ابن سعد: توفي بلال بدمشق، ودفن بباب الصغير سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة.

٤٣ ـ أبو سفيان بن الحارث القرشي

«ترب رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة»

اسمه

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ، وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية.

---

(١) العنزة: العصا.

(٢) الخدر: ستر يمد للمرأة في ناحية البيت.

وأمه غزية بنت قيس بن طريف، من ولد فهر بن مالك.

اسمه المغيرة، وقال آخرون: اسمه كنيته، والمغيرة أخوه.

يقال: إن الذين كانوا يشبهون رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب، والحسن ابن علي، وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث.

وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين، وكان سبق له هجاء في رسول الله ﷺ، وإياه عارض حسان بن ثابت بقوله:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند اللّه في ذاك الجزاء

ثم أسلم فحسن إسلامه.

إسلامه

عن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ عام الفتح ـ وذكره ـ قال: وكان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقي رسول الله ﷺ بثنية العقاب ـ بين مكة والمدينة ـ فالتمس الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما وقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك! فقال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال». فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان ابن له، فقال: والله ليأذنن لنا رسول الله ﷺ أو لآخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً.

فلما بلغ رسول الله ﷺ رق لهما، فدخلا عليه فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه، واعتذاره مما كان مضى، فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية ... لتغلبَ خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالظلم الحيران أظلم ليلة ... فهذا أواني حين أهدي فأهتدي
هداني هاد غير نفسي ودلني ... على اللّه من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهداً عن محمد ... وأدعي ـ وإن لم أنتسب ـ من محمد

فلما كان عام الفتح ألقى الله في قلبه الإسلام، فخرج متنكراً، فتصدى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه فتحول إلى الجانب الآخر فأعرض عنه. قال: فقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه، فأسلمت وخرجت معه حتى شهدت فتح مكة وحنيناً، فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صلتاً، والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر إلي. فقال العباس: يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه. فقال: «قد فعلت، فغفر الله له كل عداوة عادانيها»، ثم التفت إليّ فقال: «أخي لعمري» فقبلت رجله في الركاب.

مناقبه

عن سعيد بن المسيب أن أبا سفيان بن الحارث كان يصلي في الصيف نصف النهار حتى تكره الصلاة، ثم يصلي من الظهر إلى العصر.

قال أبو إسحاق السبيعي: لما احتضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قال: لا تبكوا عليّ فإني لم أشطف بخطيئة منذ أسلمت.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: فخرج مالك بن عوف النضري بمن معه إلى حنين، فسبق رسول الله ﷺ إليه، فأعدوا وتهيؤوا في مضايق الوادي وأحنائه، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه، وانحط بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل، فشدت عليهم، فانكفأ الناس منهزمين، وركبت الإبل بعضها بعضاً، فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته ورهط من المهاجرين، والعباس آخذ بحَكَمَة البغلة البيضاء وقد شجرها، وثبت معه من أهل بيته: علي بن أبي طالب، وأبو سفيان بن الحارث، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وغيرهم. وثبت معه من المهاجرين: أبو بكر، وعمر. فثبتوا حتى عاد الناس.

ثم إن رسول الله ﷺ أحب أبا سفيان، وشهد له بالجنة، وقال: «أرجو أن تكون خلفاً من حمزة»، وهو معدود من فضلاء الصحابة.

ومن شعره: قال أبو سفيان يبكي رسول الله ﷺ:

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
فقد عظمت مصيبته وجلت ... عشية قيل: قد قبض الرسول
وتصبح أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا، والرسول لنا دليل
فلم نر مثله في الناس حياً ... وليس له من الموتى عديل
أفاطم، إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي فهو السبيل
فعودي بالعزاء، فإن فيه ... ثواب اللّه والفضل الجزيل
وقولي في أبيك ولا تملي ... وهل يجزى بفعل أبيك قيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

وفاته

وتوفي أبو سفيان سنة عشرين. وكان سبب موته أنه حج فحلق رأسه، فقطع الحجام ثؤلولاً[1] كان في رأسه، فمرض منه حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة، وصلى عليه عمر بن الخطاب.

وقيل: مات بالمدينة بعد أخيه نوفل بن الحارث بأربعة أشهر إلا ثلاث عشرة ليلة. وهو الذي حفر قبر نفسه قبل أن يموت بثلاثة أيام، وذلك سنة خمس عشرة، والله أعلم.

٤٤ ـ جعفر بن أبي طالب

«ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب»

اسمه

جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

أمه فاطمة بنت أسد.

وكان أسن من علي رضي الله عنه بعشر سنين. وله من الولد: عبد الله، وبه كان يكنى، ومحمد، وعون، ولد بأرض الحبشة. أمهم أسماء بنت عميس.

إسلامه وهجرته إلى الحبشة

أسلم جعفر قديماً، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء. فلم يزل هنالك حتى قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر سنة سبع، فقال النبي ﷺ: «ما أدري بأيهما أنا أفرح، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر».

سبب الهجرة إلى الحبشة

عن أم سلمة قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان هو في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه. فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده. فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً» فخرجنا إليه أرسالاً، حتى اجتمعنا فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمننا على ديننا.

---

(١) ثؤلولاً: حبة مستديرة تظهر على الجلد (دمل).

عن أم سلمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار: النجاشي. آمننا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذي. فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين وأن يهدوا إلى النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته[1] بطريقاً إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه إليكم قبل أن يكلمهم.

إرسال قريش إلى النجاشي بشأنهم

فخرجا فقدما إلى النجاشي، فدفعا إلى كل بطريق هديته، وقالا: إنه قد صبأ إلى بلدكم منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا على الملك بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، فقالوا: نعم.

ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم، لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالت بطارقته: صدقوا، فأسلمهم إليهما.

فغضب النجاشي ثم قال: لا، هيم الله إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا أكيد قوماً جاوروني، نزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قال: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهما، فلما أن جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائن في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين آخر من هذه الأمم؟

قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا رسولاً منا نعرف

---

(١) البطارقة: رؤساء الأساقفة من النصارى.

نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، وكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به فعبدنا الله عز وجل وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين قومنا خرجنا إلى بلدك فاخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله عز وجل شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، قال: فاقرأه علي. فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١] فبكى ـ والله ـ النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضل مصاحفهم. قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة[١] واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً.

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاماً. فقال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً. فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها. فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال فيه الله عز وجل وما جاء به نبينا، كائن في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ، هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قال: فضرب النجاشي يده في الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم: الآمنون ـ من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي.

حديث آخر: وعن أبي بردة، عن أبيه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع

(١) مشكاة: ما يحمل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح.

جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي، فبلغ ذلك قريشاً فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وجمعوا للنجاشي هدية فأتياه بها، فقبلها، ثم قالا: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرض الملك. فبعث إلينا فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم. فلما انتهينا بدرنا من عنده فقال: اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله. فذكر نحو الحديث المتقدم. فقال النجاشي: مرحباً بكم، وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه بشر به عيسى عليه السلام، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله.

وعن عمير بن إسحاق قال: حدثني عمرو بن العاص قال: لما أتينا باب النجاشي ناديت: ائذن لعمرو بن العاص، فنادى جعفر من خلفي: ائذن لحزب الله. فسمع صوته فأذن له قبلي.

جعفر أبو المساكين

عن أبي هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه وكان رسول الله ﷺ يسميه أبو المساكين.

عن أبي هريرة، قال: «إن كنت لألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقرىء الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي، فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها، فنلعق ما فيها».

العكة: وعاء من جلد يتخذ للسمن والعسل.

جعفر في غزوة مؤتة

عن خالد بن سمير قال: قدم علينا عبد الله بن رباح، فاجتمع إليه ناس فقال حدثنا أبو قتادة قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: عليكم زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فابن رواحة. فوثب جعفر وقال: بأبي أنت وأمي! ما كنت أرهب أن يستعمل زيداً علي، قال: امضوا، فإنك لا تدري أي ذلك خير، فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله. ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر وأمر أن ينادي: الصلاة جامعة. قال ﷺ: «ألا أخبركم عن جيشكم، إنهم لقوا العدو فأصيب زيد شهيداً، فاستغفروا له. ثم أخذ اللواء جعفر فشد على الناس حتى قتل، ثم أخذه ابن رواحة فأثبت قدميه حتى أصيب شهيداً، ثم أخذ اللواء خالد ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه، فرفع رسول الله ﷺ اصبعيه وقال: «هو سيف من سيوفك فانصره» ـ فيومئذ سمي سيف الله ـ ثم قال: انفروا فامددوا إخوانكم، ولا يتخلفن أحد. فنفر الناس في حر شديد.

قال ابن إسحاق: وهو أول من عقر في الإسلام وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها

أسماء بنت عميس زوج جعفر

قال الشعبي: تزوج علي أسماء بنت عميس فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: إن أبي خير من أبيك. فقال علي: يا أسماء! اقضي بينهما. فقالت: ما رأيت شاباً كان خيراً من جعفر ولا كهلاً خيراً من أبي بكر. فقال علي: ما تركت لنا شيئاً، ولو قلت غير هذا لمقتك. فقالت: والله إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار.

مناقب جعفر وجهاده

عن البراء: سمع النبي ﷺ يقول لجعفر: «أشبه خلقك خلقي، وأشبه خُلقك خلقي، فأنت مني ومن شحمتي».

وسمع علي يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يكن قبلي نبي إلا قد أعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء، وإني أعطيت أربعة عشر: حمزة، وجعفر، وعلي، وحسن، وحسين، وأبو بكر، وعمر، والمقداد، وحذيفة، وسلمان، وعمار، وبلال، وابن مسعود، وأبو ذر».

عن ابن عمر قال: جمعت جعفراً على صدري يوم مؤتة فوجدت في مقدم جسده بضعاً وأربعين من بين ضربة وطعنة.

عن عمرو بن ثابت، عن أبيه: سأل رسول الله ﷺ عن جعفر، فقال رجل: رأيته حين طعنه رجل، فمشى إليه في الرمح، فضربه، فماتا جميعاً.

عن ابن عباس: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة إذ قال: «يا أسماء! هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مر، فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلم، فردي عليه السلام.

وقال: إنه لقي المشركين فأصابه في مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذ اللواء بيده اليمنى فقطعت، ثم أخذ باليسرى فقطعت. قال: فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة آكل من ثمارها».

وعن أسماء قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فدعا بني جعفر، فرأيته شمهم، وذرفت عيناه. فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: «نعم، قتل اليوم»، فقمنا نبكي، ورجع فقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم».

وعن عائشة قالت: لما جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه النبي ﷺ الحزن.

عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً في الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير في الجنة».

عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكور بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب.

يعني في الجود والكرم.

مقتله

قتل جعفر بن أبي طالب بمؤتة سنة ثمان من الهجرة.

عن ابن عمر قال: وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ نعى جعفراً وزيداً، نعاهما قبل أن يجيء خبرهما وعيناه تذرفان.

وقال حسان بن ثابت لما بلغه قتل عبد الله بن رواحة يرثي أهل مؤتة، من قصيدة:

رأيت خيار المؤمنين تواردوا   شعوبَ[1] وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدن اللَّه قتلى تتايعوا[2]   بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد اللَّه حين تتايعوا   جميعاً وأسباب المنية تخطر

ويقول فيها:

وكنا نرى في جعفر من محمد   وفاء وأمراً صارماً حيث يؤمر
فلا زال في الإسلام من آل هاشم   دعائم عز لا تزول ومفخر

ولما أتى النبي ﷺ نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماه، فقال رسول الله ﷺ: «على مثل جعفر فلتبك البواكي».

عن ابن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در كل واحد منهم على سرير، فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود». وقال: فسألت ـ أو قيل لي ـ: «إنهما حين غشيهما الموت أعرضا أو كأنهما صدا بوجهيهما وأما جعفر فإنه لم يفعل».

عن الشعبي قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: كنت إذا سألت علياً شيئاً فمنعني، وإذا قلت له بحق جعفر أعطاني.

---

(١) الشعوب: المنية.
(٢) تتايعوا: لجوا في الأمر واضطربوا.

٤٥ ـ أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري

«أول من بدأ النبي ﷺ بتحية الإسلام»
«أبو ذر يمشي على الأرض في زهد عيسى ابن مريم»

اسمه

جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ.

صفته

كان آدم، طويلاً، أبيض الرأس واللحية.

إسلامه

كان إسلام أبي ذر قديماً، يقال: بعد ثلاثة، ويقال: بعد أربعة، وقد روي عنه أنه قال: أنا ربع الإسلام، وقيل: كان خامساً ثم رجع إلى بلاد قومه بعدما أسلم فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم قدم على النبي ﷺ المدينة فصحبه إلى أن مات ثم خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية فنفاه وأسكنه الربذة فمات بها.

دعوته قومه

كان أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى هاجر النبي ﷺ فأتاه بالمدينة، بعدما ذهبت بدر وأحد والخندق، وصحبه إلى أن مات، وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبي ﷺ بثلاث سنين، وبايع النبي ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق، وإن كان مراً.

شجاعته، وتحمله الأذى

قال خفاف بن إيماء: كان أبو ذر شجاعاً ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصرم كأنه السبع، ثم إن الله تعالى قذف في قلبه الإسلام وسمع بالنبي ﷺ بمكة فأتاه.

وعن عبد الله بن صامت، قال: قال أبو ذر: لقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين، قال: فقلت: لمن؟ قال: لله، قلت: فأين تتوجه؟ قال: حيث وجهني الله عز وجل، قال: وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تتلوني الشمس.

قال أبو ذر: لما سمعت بالنبي ﷺ انطلقت حتى نزلت بحضرة مكة وانطلق أخي

أنيس فراث[١] علي فقلت: ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً يزعم أن الله عز وجل أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس فيه؟ قال: يقولون: إنه شاعر، وساحر، وكاهن.

قال أنيس: قد سمعت قول الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقراء الشعراء فوالله ما يلتام، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

قال: فقلت له: هل أنت كافي حتى أنطلق فأنظر؟ قال: نعم، فكن من أهل مكة على حذر فإنهم قد شنفوا[٢] له وتجهموا له. فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلاً منهم فقلت له: أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابىء؟ قال: فأشار إلي. قال الصابىء، قال: فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي، فارتفعت فحين ارتفعت كأني نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم، فدخلت بين الكعبة وأستارها فلبثت به يا ابن أخي ثلاثين، من بين ليلة ويوم، ما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن[٣] بطني وما وجدت في كبدي سخفة[٤] جوع.

قال: بينما أهل مكة في ليلة قمراء ـ أي مضيئة ـ إضحيان، وضرب الله على أصمغة أهل مكة وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتتا عليّ وهما تدعوان أسافاً ونائلة. فقلت: أنكحوا أحدهما الآخر.

قال: فما ثناهما ذلك. قال: فأتتا عليّ فقلت: هن مثل الخشبة غير أني لم أكن. فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ها هنا أحد من أنفارنا، قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا: ما لكما؟ قالتا: الصابىء بين الكعبة وأستارها. قالا: فما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم.

قال: فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر، فطافا بالبيت ثم صلى ركعتين. قال: فأتيته، فكنت أول من حياه بتحية الإسلام، فقال: وعليك السلام ورحمة الله، ممن أنت؟ قال: قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته. قال: فقلت في نفسي: كره إن انتميت إلى غفار. قال: فأردت أن آخذ بيده فقدعني[٥] صاحبه وكان أعلم به مني، قال: متى أنت ها هنا؟ قال: قلت: كنت ها هنا منذ ثلاثين من بين يوم وليلة. قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى

---

(١) راث: أبطأ.
(٢) شنفوا له: عارضوه.
(٣) عكن: جمع عكنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمناً.
(٤) سخفة: رقة وضعف.
(٥) قدعني: كفني ومنعني.

تكسرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع، فقال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طعم».

قال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة، قال: ففعل، قال: فانطلق النبي ﷺ وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف. قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها.

فلبثت ما لبثت ثم قال لي رسول الله ﷺ: «إني وجهت إلى أرض ذات نخل فلا أحسبها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟». قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أنيساً، قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت. قال: فما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت. ثم أتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت.

فتحملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ. وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا. فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم بقيتهم فقال رسول الله ﷺ: «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله» (انفرد بإخراجه مسلم).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن أبا ذر لما دخل على رسول الله ﷺ وأسلم قال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك حتى يأتيك أمري». فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأنه طريق تجارتكم إلى الشام؟ يعني عليهم. فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثلها وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه.

دعوته لأهل مكة

وعن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس، أنا جندب الغفاري، هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلى. قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يوماً شديداً حره لطول النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم. تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين مجلساً في طلب الحلال ومجلساً في طلب الآخرة. الثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده. اجعل المال درهمين درهماً تنفقه

على عيالك من حله، ودرهماً تقدمه لآخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك فلا ترده.

نبذ من أقواله وأفعاله

وعن عطاء بن محمد، قال إبراهيم التيمي: قال أبي: خرجنا حجاجاً فوجدنا أبا ذر بالربذة، قائماً يصلي. فانتظرناه حتى فرغ من صلاته ثم أقبل علينا بوجهه فقال: هلم إلى الأخ الناصح الشفيق، ثم بكى فاشتد بكاؤه وقال: قتلني حب يوم لا أدركه. قيل: وما يوم لا تدركه؟ قال: طول الأمل.

وعن بكر بن عبد الله عن أبي ذر قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح.

وعن عراك بن مالك قال: قال أبو ذر: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها، غيري».

وعن أبي السليل قال: جاءت ابنة أبي ذر وعليها صوف، سفعاء[١] الخدين، وعليها قفة لها، فمكثت بين يديه وعنده أصحابه فقالت: يا أبتاه، زعم الخازنون والزارعون أن أفلسك هذه بهرجة[٢]. فقال: يا بنية ضعيها فإن أباك أصبح بحمد الله لا يملك من صفراء ولا بيضاء إلا أفلسه هذه.

وعن نافع الطاحي قال: مررت بأبي ذر فقال لي: من أنت؟ قلت: من أهل العراق. قال: أتعرف عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم، قال: فإنه كان يتقرأ معي ويلزمني، ثم طلب الإمارة، فإذا قدمت البصرة فترايا له، فإنه سيقول لك حاجة فقل له: أخلني، فقل له: أنا رسول أبي ذر إليك وهو يقرئك السلام ويقول لك: إنا نأكل من التمر، ونشرب من الماء، ونعيش كما تعيش.

فلما قدمت تراءيت له فقال: ألك حاجة؟ فقلت: أخلني أصلحك الله. فقلت: أنا رسول أبي ذر إليك ـ فلما قلتها خشع لها قلبه ـ وهو يقرأ عليك السلام، ويقول لك:

إنا نأكل من التمر ونشرب من الماء ونعيش كما تعيش. قال: فحلل إزاره، ثم أدخل رأسه في جيبه ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء.

وعن أبي بكر بن المنكدر، قال: بعث حبيب بن مسلمة، وهو أمير بالشام، إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقال أبو ذر: ارجع بها إليه أو ما

(١) سفعاء: متغيرة لون البشرة (سوداء).
(٢) بهرجة: زائفة، باطلة، لا تستعمل.

وجد أحداً أغر بالله عز وجل منا؟ ما لنا إلا ظل نتوارى به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها ثم إني لأتخوف الفضل.

وعن جعفر بن سليمان قال: دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا. قال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم ولا شبعتم من الطعام، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل، والله لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها.

وعن ابن عمر بن الخطاب قال: قال أبو ذر: الصاحب الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملي الخير خير من الصامت، والصامت خير من مملي الشر، والأمانة خير من الخاتم، والخاتم خير من ظن السوء.

وعن أبي حرب بن أبي الأسود قال: سمعت عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر» (رواه الإمام أحمد).

وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موته فسألها عن عبادة أبي ذر قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر.

وعن عبد الله بن سيدان عن أبي ذر أنه قال: في المال ثلاثة شركاء: القدر، لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت. والوارث، ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم. وأنت الثالث، فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن. إن الله عز وجل يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي.

عن أبي السليل عن أبي ذر رحمه الله قال: قال النبي ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾» [الطلاق: ٢، ٣] فما زال يقولها ويعيدها.

عن ثابت أن أبا ذر مر بأبي الدرداء وهو يبني بناء له، فقال له: قد حملت الصخر على عواتق الرجال؟ فقال له: إنما هو بيت أبنيه، فقال له أبو ذر مثل ذلك، فقال: يا أخي، لعلك وجدت علي من ذلك، فقال: لو مررت بك وأنت في عذرة أهلك كان أحب إليّ مما رأيتك فيه.

عن أبي عبد الله عون قال: قال أبو ذر: هل ترى الناس؟ ما أكثرهم! ما فيهم خير إلا تقي أو تائب.

عن عبد الله بن الصامت قال: كنت مع أبي ذر رحمه الله وقد خرج عطاؤه ومعه جارية له فجعل يقضي حوائجه قال ففضل معه، قال: أحسبه قال سبع، فأمرها أن تشتري بها فلوساً فقلت: يا أبا ذر لو ادخرته لحاجة تنوبك ولضيف يأتيك، فقال: إن خليلي ﷺ عهد إلي أيما ذهب أو فضة أوكي[١] عليه فهو جمر على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه إفراغاً في سبيل الله عز وجل.

زهد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

عن أبي أسماء أنه دخل على أبي ذر رضي الله عنه وهو بالربذة، وعنده امرأة سوداء مشنعة[٢] ليس عليها أثر المحاسن ولا الخلوق، فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السويداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا عليّ بدنياهم، وإن خليلي ﷺ عهد إليّ أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة، وإنا إن نأتي عليه في أحمالنا اقتدار واضطمار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير[٣].

عن عبد الله بن خراش قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه بالربذة في ظلة له سوداء وتحته امرأة له سحماء[٤]، وهو جالس على قطعة جوالق[٥]، فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد، فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء، قالوا: يا أبا ذر لو اتخذت امرأة غير هذه؟ قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إليّ من امرأة ترفعني، فقالوا له: لو اتخذت بساطاً ألين من هذا؟ قال: اللهم غفراً خذ مما خولت ما بدا لك.

عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان؟ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً! وإنما يكفيني كل يوم شربة ماء أو لبن وفي الجمعة قفيز[٦] من قمح! وعنه أيضاً عن أبي ذر قال: كان قوتي إلى عهد رسول الله ﷺ صاعاً فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عز وجل.

من مروياته عن النبي ﷺ

عن أبي ذر، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

---

(١) أوكي: شد عليها الوكاء (الرباط).
(٢) مشنعة: قبيحة الوجه.
(٣) أي: وفي أحمالنا خفة وسرعة أجدر من أن نأتي عليه ونحن مثقلون بالأوزار.
(٤) سحماء: سوداء.
(٥) جوالق: جمع جولق وهو الجوال.
(٦) القفيز: مكيال مختلف المقادير وهو عند أهل الحجاز صاع، والصاع قدحان بالكيل المصري.

«يا عبادي، إني قد حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان ما سأل، لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

ذكر خروج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة

روى البخاري في أفراده من حديث زيد بن وهب، قال: مررت بالربذة فقلت لأبي ذر: ما أنزلك هنا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] فقال: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: فينا وفيهم. فكتب يشكوني إلى عثمان. فكتب عثمان: أقدمه المدينة فقدمت فكثر الناس عليّ كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكر ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً، فذلك الذي أنزلني هذا المنزل.

وروى ابن سيرين قال: قدم أبو ذر المدينة، فقال عثمان: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح. قال: لا حاجة لي في دنياكم، ثم قال: ائذن لي حتى أخرج إلى الربذة، فأذن له فخرج.

ذكر وفاة أبي ذر رضي الله عنه

عن إبراهيم الأشتر عن أبيه، عن أم ذر قالت: لما حضر أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ما لي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ولا يدان لي بنعشك، وليس معنا ثوب يسعك كفناً، ولا لك. فقال: لا تبكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً». وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين». وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات في قرية أو جماعة وإني أنا الذي أموت بالفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت فأبصري الطريق. قالت: فقلت: إني وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟ فقال: انظري. فكنت أشتد إلى الكثيب فأقوم عليه ثم أرجع إليه فأمرضه.

قالت: فبينما أنا كذلك إذ أنا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم، فألحت بهم فأسرعوا إلي، ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إلي، فقالوا: ما لك يا أمة الله؟ فقلت: امرؤ من المسلمين تكفنونه، يموت. قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذر. قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم.

قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فسلموا عليه فرحب بهم، وقال: أبشروا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين من المسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً». وسمعته يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية أو جماعة وأنا الذي أموت بفلاة من الأرض، والله ما كذبت ولا كذبت، وإنه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً أو لامرأتي ثوب يسعني كفناً لم أكفن إلا في ثوب هو لي أو لها، وإني أنشدكم الله لا يكفني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً، قال: فليس من القوم أحد إلا وقد قارف من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار فقال: أنا أكفنك في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي. قال: أنت فكفني. فكفنه الأنصاري ودفنه في النفر الذين معه منهم حجر بن عدي بن الأدبر، ومالك بن الأشتر في نفر كلهم يمان.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في المغازي أن أبا ذر مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود منصرفه من الكوفة.

وعن القرظي قال: خرج أبو ذر إلى الربذة فأصابه قدره، فأوصاهم أن كفنوني، ثم ضعوني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا لهم: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على غسله ودفنه. فأقبل ابن مسعود في ركب من أهل العراق رضي الله عنه.

٤٦ ـ أبو هريرة رضي الله عنه

«سيد الحفاظ الأثبات»

اسمه وكنيته

عمير بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عتاب الأوسي.

اختلفوا في اسمه واسم أبيه على ثمانية عشر قولاً، وأشهرها: عبد شمس بن عامر، فسمي في الإسلام عبد الله وكان له هرة صغيرة فكني بها.

قال ابن إسحاق: قال لي بعض أصحابنا عن أبي هريرة: كان اسمي في الجاهلية

عتبة فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وإنما كنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي.

صفته

قال عبد الرحمن بن لبينة: رأيت أبي هريرة رجلاً آدم بعيد ما بين المنكبين، أفرق الثنيتين، ذا ضفيرتين.

وقال ابن سيرين: كان أبو هريرة أبيض ليناً، لحيته حمراء.

صحبته

صحب النبي ﷺ أربع سنين.

إسلامه

أسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه، وواظب عليه رغبة في العلم فدعا له رسول الله ﷺ. وقدم المدينة في سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة.

ذكره النعم

وعن سليمان بن حيان قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رحلي. فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدو إذا ركبوا. فزوجنيها الله عز وجل فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً.

إسلام أم أبي هريرة بدعاء الرسول ﷺ

وعن أبي كثير قال: حدثني أبو هريرة، قال: ما خلق الله عز وجل مؤمناً يسمع بي، ولا يراني إلا أحبني. قلت: وما علمت بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمي كانت مشركة وكنت أدعوها إلى الإسلام وكانت تأبى علي، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فكانت تأبى عليّ وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله عز وجل أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة».

فخرجت أعدو لأبشرها بدعاء رسول الله ﷺ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشخشة[1] رجل، فقالت: يا أبا هريرة كما أنت. ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقال: إني أشهد ألا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

---

(١) خشخشة: صوت تحريك الماء.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: يا رسول الله، أبشر، فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى أم أبي هريرة.

وقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عبيدك هذا إلى عبادك المؤمنين»، فما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني.

مع النبي ﷺ وتكثيره الطعام

وعن مجاهد أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل، ما سألته إلا ليستتبعني. فلم يفعل. ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل، ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل.

فمر أبو القاسم ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال: «يا أبا هريرة»، فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: «الحق». فتبعته فدخل فاستأذنت فأذن لي فوجد قدحاً فيه لبن فقال: «من أين لكم هذا اللبن؟»، فقالوا: أهداه لنا فلان. أو آل فلان. فقال: «أبا هريرة!»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «انطلق إلى أهل الصفة»، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام ولم يأووا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها.

قال: فأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي. فقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم. فما يبقى لي من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: أبا هر، خذ فأعطهم. فأخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت إلى آخرهم ودفعته إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة.

ثم رفع رأسه إليّ وتبسم فقال: «أبا هر». فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت»، فقلت: صدقت يا رسول الله، قال: «فاقعد فاشرب»، قال: فقعدت فشربت، ثم قال لي: «اشرب»، فشربت، فما زال يقول لي: اشرب، وأشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد لها فيّ مسلكاً، قال: «ناولني القدح»، فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة. (انفرد بإخراجه البخاري).

وعن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات

فدعا فيهن بالبركة وقال: «اجعلهن في مزودك[١] فإذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فخذه ولا تنثره»، فجعلته في مزودي فوجهت منه رواحل في سبيل الله تعالى، وكنت آكل منه وأطعم. وكان في حقوتي[٢] حتى كان يوم قتل عثمان فوقع فذهب.

كثرة روايته الحديث

عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: إنكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بهذه الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها، وإني كنت امرأ معتكفاً وكنت أكثر مجالسة لرسول الله ﷺ، أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي ﷺ حدثنا يوماً فقال: «ومن يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فإنه ليس ينسى شيئاً سمعه مني أبداً»، فبسطت ثوبي، أو قال: نمرتي، ثم حدثنا فقبضت إليّ ثوبي، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه، وايم الله لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩] الآية كلها. (أخرجاه في الصحيحين).

من أقواله

عن أنس عن أبي هريرة قال: ألا أدلكم على غنيمة باردة؟ قالوا: ماذا يا أبا هريرة؟ قال: الصوم في الشتاء.

عن أبي السليل قال: قال أبو هريرة: ما صدقتكم أنفسكم تأملون ما لا تبلغون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون.

عن فرقد السبحي قال: كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول: ويل لي من بطني إن أشبعته كضني[٣] وإن أجعته أنصبني[٤].

عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال: لن يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع.

زهده وعبادته

عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة قال: إن كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله عز وجل، لأنا أعلم بها منه ومن عشيرته، وما أتبعه إلا ليطعمني القبضة من التمر أو السفة من السويق أو الدقيق أسد بها جوعي.

فأقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى بلغ بابه، فأسند ظهره إلى

---

(١) المزود: وعاء الطعام.
(٢) حقوتي: خاصرتي.
(٣) كضني: أجهدني.
(٤) أنصبني: أتعبني.

الباب فاستقبلني بوجهه فكلما فرغت من حديث حدثته آخر. حتى إذا لم أر شيئاً انطلقت، فلما كان بعد ذلك لقيني فقال: أبا هريرة، أما لو أنه في البيت شيء لأطعمناك.

وعن أبي رافع: أن أبا هريرة قال: ما أحد من الناس يهدي لي هدية إلا قبلتها، فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل.

وعن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ذنبي.

عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح بها.

وعن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وبين حجرة عائشة، فيقول الناس: إنه لمجنون، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع.

وعن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه قال: رأى أبو هريرة زنجية كأنها شيطان فقال: يا أبا سليمان اشتر لي هذه الزنجية. فانطلقت فاشتريتها وهو على حمار معه ابن له، فقال لابنه: أردفها خلفي. فكره ابنه ذلك فجعل ابنه يزجيه ليخرجه من السوق فقال: اردفها خلفي ويحك، والله لشعلة من نار أجد مسها خلفي أحب إليّ من أن أرغب عن هذه ألا أحملها، إني لو انتسبت وانتسبت لم نتجاوز إلا قليلاً حتى نجتمع، أردفها. فأردفها خلفه.

وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعاً، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثاً، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا.

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: ما وجع أحب إليّ من الحمى لأنها تعطي كل مفصل قسطه من الوجع، وإن الله تعالى يعطي كل مفصل قسطه من الأجر.

عن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت له زنجية فدعمتهم[1] بعملها فرفع عليها السوط يوماً فقال: لولا القصاص لأغشيتك به ولكن سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله عز وجل.

عن قيس عن أبي هريرة قال: لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق شعراً:

يا ليلة في طولها وعنائها   على أنها من دارة الكفر نجت

قال: وأبق مني غلام لي في الطريق، فلما قدمت على رسول الله ﷺ بايعته. فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، هذا غلامك»، فقلت: هو حر لوجه الله تعالى، فأعتقته.

(١) دعمتهم: ساعدتهم وقوتهم.

عن أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ إلى خيبر، وقدمت المدينة مهاجراً، فصليت الصبح خلف سباع بن عرفطة ـ كان استخلفه ـ فقرأ في السجدة الأولى بسورة مريم، وفي الآخرة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين: ١] فقلت: ويل لأبي! قلَّ رجل كان بأرض الأزد إلا وكان له مكيالان مكيال لنفسه وآخر يبخس به الناس.

حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا أبو سعيد، حدثنا إسحاق بن عثمان الكلابي قال: سمعت أبا أيوب وهو عبد الله بن أبي سليمان مولى عثمان بن عفان يقول: كان لأبي هريرة في مخدعه مسجد وفي بيته مسجد، وفي حجرته مسجد، وفي داره مسجد، وعلى باب داره مسجد، إذا دخل صلى فيها جميعاً، وإذا خرج صلى فيها جميعاً.

وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي: أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك. فقلت: أصلحك الله، يكفي هذا. فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه.

نبذ من حياته

تولية عمر بن الخطاب أبا هريرة البحرين:

استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله، وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله وعدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما. قال عمر: فمن أين هي لك؟ قال: خيل نتجت، وغلة رقيق لي، وأعطية تتابعت، فنظروا، فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليوليه، فأبى، فقال عمر: تكره العمل، وقد طلب العمل من كان خيراً منك، يوسف عليه السلام، فقال: يوسف نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة ابن أميمة، وأخشى ثلاثاً واثنتين، قال: فهلا قلت: خمساً؟ قال أبو هريرة: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم، وأن يضرب ظهري، وينزع مالي، ويشتم عرضي.

من كراماته رضي الله عنه

روى الذهبي عن القاضي أبي الطيب قال: كنا في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عن حديث المصراة[1]، فطالب بالدليل، حتى استدل بحديث أبي هريرة الوارد فيها، فقال، وكان حنفياً: أبو هريرة غير مقبول الحديث، فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه، فقيل له: تب، تب، فقال: تبت، فغابت الحية، فلم ير لها أثر.

---

(١) المصراة: الناقة أو البقرة أو الشاة يسري اللبن في ضرعها، أي: يجمع ويحبس، وفي الحديث: «من اشترى مصراة فهو بخير النظرين، إن شاء ردها، ورد معها صاعاً من تمر».

مرضه ووفاته

عن سالم بن بشير بن حجل أن أبا هريرة بكى في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إنه ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري لأيهما يؤخذ بي.

وعن ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كؤود[١]، المهبط منها إلى الجنة أو النار.

توفي أبو هريرة بالمدينة، ويقال: بالعقيق سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة تسع في آخر خلافة معاوية. وله ثمان وسبعون سنة رحمه الله، والله أعلم.

٤٧ ـ العباس بن عبد المطلب

«خطيب العقبة»

اسمه

العباس بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل، عم رسول الله ﷺ. أمه: نتيلة بنت خباب.

وكان أسن من رسول الله ﷺ، ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، وضاع وهو صغير، فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت الحرير، فهي أول من كساه ذلك. وله من الولد: الفضل وهو أكبر ولده وبه يكنى، وعبد الله وهو الحبر، وعبيد الله، وكان جواداً، وعبد الرحمن، وقثم، ومعبد، وحبيبة. وأمهم جميعاً أم الفضل، واسمها لبابة بنت الحارس بن حزن. وكثير، وتمام، وصفية، وأميمة أمهم أم ولد. والحارث، وأمه: حجيلة بنت جندب.

كان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، وحضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم.

صفته وخلقه رضي الله عنه

كان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة وأبهاهم، وأجهرهم صوتاً، مع الحلم الوافر والسؤدد، شريفاً مهيباً، عاقلاً، جميلاً، أبيض، بضاً، له ضفيرتان، معتدل القامة، وكان له ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم، وأناة لجاهلهم، وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطي في النوائب.

---

(١) كؤود: صعبة.

إسلامه

أسلم العباس قديماً وكان يكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي ﷺ: «من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرهاً». فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً.

قال أهل السير والتواريخ: جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ، فقيل لهم: هو في بيت العباس. فدخلوا عليه، فقال العباس: إن معكم من قومكم من هو مخالف لكم من دينكم فأخفوا أمركم حتى ينصدع هذا الحاج ونلتقي نحن وأنتم فنوضح لكم هذا الأمر، فتدخلون فيه على أمر بين. فوعدهم رسول الله ﷺ الليلة التي في صبيحتها النفر الآخر أن يوافيهم أسفل العقبة وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً، ولا ينتظروا غائباً.

فخرج القوم تلك الليلة بعد هذه يتسللون وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العباس ليس معه غيره، وكان يثق به في أمره كله. فلما اجتمعوا كان أول من تكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج ـ وكانت الأوس والخزرج تدعى الخزرج ـ إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله من كان منا على قوله، ومن لم يكن منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد، وبصر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة، سترميكم عن قوس واحدة فارتؤوا رأيكم وائتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا عن اجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه، وأخرى: صفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم؟.

فأسكت القوم وتكلم عبد الله بن عمرو بن حرام قال: نحن والله أهل الحرب غذينا بها ومرنا ورثناها عن آبائنا كابراً فكابراً، نرمي بالنبل حتى نفنى، ثم نطاعن بالرماح حتى نكسرها، ثم نمشي بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا.

فقال العباس: هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة. قال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت. إنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ. فبايعهم رسول الله ﷺ والعباس آخذ بيد رسول الله ﷺ يؤكد له البيعة تلك الليلة على الأنصار.

وعن الشعبي، قال: انطلق النبي ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة فقال العباس: ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عيناً، وإن يعلموا بكم يفضحوكم. فقال قائلهم، وهو أسعد: يا محمد سل لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك، فقال: أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تُؤونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم.

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة، قالوا: فلك ذلك.

قصة أسره في بدر

عن أبي اليسر السلمي، قال: نظرت إلى العباس يوم بدر، وهو واقف كأنه صنم، وعيناه تذرفان، فقلت: جزاك الله من ذي رحم شراً! أتقاتل ابن أخيك مع عدوه؟ قال: ما أفعل، أقتل؟ قلت: الله أعز له وأنصر من ذلك. قال: ما تريد إلي؟ قلت: الأسر، فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك. قال: ليست بأول صلته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: «كيف أسرته؟»، قلت: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، قال: «لقد أعانك عليه ملك كريم».

ثم قال للعباس: افد نفسك، وابنا أخيك عقيلاً ونوفل بن الحارث، فأبى، وقال: إني كنت مسلماً قبل ذلك، وإنما استكرهوني، قال: الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدعي حقاً فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك، فقد كان علينا، فافد نفسك.

وكان رسول الله ﷺ قد عرف أن العباس أخذ معه عشرين أوقية ذهباً، فقال: يا رسول الله، احسبها من فدائي، قال: لا، ذاك شيء أعطانا الله منك. قال: فإنه ليس لي مال، قال: فأين المال الذي وضعته بمكة عند أم الفضل، وليس معكما أحد غيركما؟ فقلت: إن أصبت في سفري فللفضل كذا، ولقثم كذا ولعبد الله كذا؟ قال العباس: فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله.

وعن يزيد بن الأصم قال: لما كانت أسارى بدر فيهم العباس فسهر نبي الله ﷺ ليلته فقال له بعض أصحابه: ما يسهرك يا نبي الله؟ قال: «أنين العباس». فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: «ما لي لا أسمع أنين العباس؟»، فقال رجل من القوم: إني أرخيت من وثاقه شيئاً. قال: «فافعل ذلك بالأسارى كلهم».

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما تراضوا، وقال العباس: يا رسول الله، إني كنت مسلماً، إلى أن قال: وأنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠]، قال: فأعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى.

من كراماته رضي الله عنه

وعن أنس بن مالك أنهم كانوا إذا قحطوا على عهد عمر خرج بالعباس فاستسقى به، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا إذا قحطنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. (انفرد بإخراجه البخاري).

وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى اللّه الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمر

توجه بالعباس في الجدب راغباً إليه فما إن رام حتى أتى المطر
ومنا رسول اللَّه فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

وفاته

توفي العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، والله أعلم.

لما مات العباس بعثت بنو هاشم من يؤذن أهل العوالي: رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب، فحشر الناس.

وحضر غسله عثمان، وغسله علي وابن عباس وأخواه: قثم وعبيد الله، وحدت نساء بني هاشم سنة.

٤٨ ـ سعد بن الربيع

«رجل تبوأ مقعده من الجنة»

اسمه

سعد بن الربيع بن عمرو، بن أبي زهير، بن مالك، بن امرىء القيس، بن مالك، ابن ثعلبة، بن كعب، بن الخزرج، بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشهيد الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فعزم على أن يعطي عبد الرحمن شطر ماله ويطلق إحدى زوجتيه ليتزوج بها، فامتنع عبد الرحمن من ذلك ودعا له. وكان أحد النقباء ليلة العقبة.

مقتله في أحد

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أن رسول الله ﷺ قال: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعداً جريحاً مبهتاً(١) بآخر رمق(٢). فقال: يا سعد! إن رسول الله ﷺ أمرني أن انظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فإني في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ وقل: إن سعداً يقول: جزاك الله عني خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك مني السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف.

(١) مبهتاً: شاحب اللون.
(٢) رمق: بقية الروح.

ميراث بناته

عن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد فقالت: يا رسول الله! هاتان بنتا سعد، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وأن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال. قال: «يقضي الله في ذلك». فأنزلت آية المواريث، فبعث إلى عمهما فقال: «أعط بنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك».

ثناء أبي بكر عليه

روى الطبراني من طريق خارجة بنت زيد بن ثابت، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عمر رضي الله عنه فسأله، فقال: هذه ابنة من هو خير مني ومنك، قال عمر رضي الله عنه: ومن هو يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت.

٤٩ ـ صفوان بن أمية

«أحد المطعمين... سداد البطحاء»

اسمه

صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي.

وأمه أيضاً جمحية من ولد جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، يكنى أبا وهب وقيل يكنى أبا أمية وهما كنيتان له مشهورتان، ففي الموطأ لمالك عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال لصفوان بن أمية: «انزل أبا وهب»، وذكر ابن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي أن النبي ﷺ قال لصفوان بن أمية: «يا أبا أمية».

وقتل أبوه أمية بن خلف ببدر كافراً، قتل رسول الله ﷺ عمه أبي بن خلف بأحد كافراً طعنه فصرعه فمات من جرحه ذلك وهرب صفوان بن أمية يوم الفتح. وفي ذلك يقول حسان بن قيس البكري يخاطب امرأته فيما ذكر ابن إسحاق وغيره:

إنك لو شهدت يوم الخندمه ... إذ فر صفوان وفر عكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المسلمه ... يقطعن كل ساعد وجمجمه
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه ... لهم نئيب خلفنا وهمهمه
لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

إسلامه

ثم رجع صفوان إلى النبي ﷺ فشهد معه حنيناً والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة؛ أسلمت يوم الفتح قبل صفوان بشهر ثم أسلم صفوان فأقرا على نكاحهما، وكان عمير بن وهب بن خلف قد استأمن له رسول الله ﷺ لهما وبعث حين هرب يوم الفتح هو وابنه وهب بن عمير فأمنه رسول الله ﷺ إليه مع وهب بن عمير بردائه أو ببرده أماناً له، فأدركه وهب بن عمير ببرد رسول الله ﷺ أو بردائه فانصرف معه، فوقف على رسول الله ﷺ وناداه في جماعة الناس: يا محمد، إن هذا وهب بن عمير يزعم أنك أمنتني على أن أسير شهرين، فقال له رسول الله ﷺ: «انزل أبا وهب»، فقال: لا حتى تبين لي، فقال رسول الله ﷺ: «انزل فلك مسير أربعة أشهر» وخرج معه إلى حنين واستعاره رسول الله ﷺ سلاحاً، فقال: طوعاً أو كرهاً؟، فقال: «بل طوعاً عارية مضمونة»، فأعاره وأعطاه رسول الله ﷺ من الغنائم يوم حنين، فأكثر، فقال صفوان: أشهد بالله ما طابت بهذا إلا نفس نبي، فأسلم وأقام بمكة.

ثم إنه قيل له: من لم يهاجر هلك، ولا إسلام لمن لا هجرة له، فقدم المدينة مهاجراً، فنزل على العباس بن عبد المطلب، وذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»، وقال له: «على من نزلت أبا وهب؟»، قال: نزلت على العباس، قال: «نزلت على أشد قريش لقريش حباً»، ثم أمره أن ينصرف إلى مكة، فانصرف إليها فأقام بها حتى مات.

قيل: إن صفوان لما قيل له: من لم يهاجر هلك، فقدم المدينة، فقام في المسجد، وتوسد رداءه، فجاء سارق فأخذه، فأخذ صفوان السارق فجاء به إلى رسول الله ﷺ فأمر به أن يقطع، فقال صفوان: إني لم أرد هذا، هو عليه صدقة، قال رسول الله ﷺ: «فهلا قبل أن تأتيني به».

ذكر مالك عن ابن شهاب أن الذي جاءه برداء رسول الله ﷺ أماناً هو ابن عمه وهب بن عمير، والله أعلم.

وكان إسلام صفوان بن أمية بعد الفتح، وكان صفوان بن أمية أحد أشراف قريش في الجاهلية، وإليه كانت فيهم الأيسار، وهي الأزلام، فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي يجري يسره على يديه وكان أحد المطعمين، وكان يقال له: سداد البطحاء، وهو أحد المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم، وكان من أفصح قريش لساناً، يقال: إنه لم يجتمع لقوم أن يكون منهم مطعمون خمسة إلا لعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، أطعم خلف وأمية وصفوان وعبد الله وعمرو ولم يكن في العرب غيرهم إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري، فإن هؤلاء الأربعة مطعمون.

وقال معاوية يوماً: من يطعم بمكة من قريش؟ فقالوا: عمرو بن عبد الله بن صفوان، فقال: بخ[١] تلك نار لا تطفأ.

وقتل ابنه عبد الله بن صفوان بمكة مع ابن الزبير وذلك أنه كان عدواً لبني أمية.

وقال المدائني: توفي سنة إحدى وأربعين. وقيل: توفي بمكة سنة اثنتين وأربعين أول خلافة معاوية.

٥٠ ـ زيد بن الخطاب

«ما هبت الصَّبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد»

اسمه

زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العدوي ـ أخو عمر بن الخطاب لأبيه، يكنى أبا عبد الرحمن.

أمه أسماء بنت وهب بن حبيب من بني أسد بن خزيمة، وأم عمر خيثمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي.

كان زيد أسن من عمر، وكان من المهاجرين الأولين. أسلم قبل عمر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدي العجلاني حين آخى بين المهاجرين والأنصار بعد قدومه المدينة فقتلا باليمامة شهيدين.

صفته

كان زيد بن الخطاب طويلاً بائن الطول أسمر.

مناقبه

شهد بدراً، وأحداً، والخندق وما بعدها من المشاهد، وشهد بيعة الرضوان بالحديبية.

ولقد قال له عمر يوم بدر: البس درعي. قال: إني أريد من الشهادة ما تريد. قال: فتركاها جميعاً وكانت راية المسلمين معه يوم اليمامة، فلم يزل يقدم بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قتل.

وعن الجحاف بن عبد الرحمن، من ولد زيد بن الخطاب، عن أبيه قال: كان

(١) بخ: كلمة تقال عند الرضا والاستحسان والمدح والإعجاب بالشيء.

زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرحال، فجعل زيد يقول: أما الرحال فلا رحال، وأما الفرار فلا فرار. ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة. وجعل يشتد بالراية ينفذ بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قتل ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نؤتى من قبلك. فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أوتيتم من قبلي.

وزيد بن الخطاب هو الذي قتل الرحال بن عنفوة، وقيل: غفوة، واسمه نهار بن عنفوة، وقد كان هاجر وقرأ القرآن ثم سار إلى مسيلمة مرتداً، وأخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يشركه في الرسالة فكان أعظم فتنة على بني حنيفة.

وروي عن أبي هريرة قال: جلست مع رسول الله ﷺ في رهط ومعنا الرحال بن عنفوة، فقال: «إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار مثل أحد»، فهلك القوم وبقيت أنا والرحال، فكنت متخوفاً لها حتى خرج الرحال مع مسيلمة، وشهد له بالنبوة وقتل يوم اليمامة، قتله زيد بن الخطاب.

مقتله

قتل باليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة وحزن عليه عمر حزناً شديداً، قال عمر بن الخطاب: ما هبت الصبا إلا وأنا أجد منها ريح زيد.

ولما قتل زيد بن الخطاب ونعي إلى أخيه عمر قال: رحم الله أخي، سبقني إلى الحسنيين، أسلم قبلي واستشهد قبلي.

وقال عمر لمتمم بن نويرة حين أنشده مراثيه في أخيه: لو كنت أحسن الشعر لقلت في أخي زيد مثلما قلت في أخيك، فقال متمم: لو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنت عليه، فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به.

٥١ ـ أبي بن كعب

«ليهنك العلم أبا المنذر»

اسمه ونسبه

أبي بن كعب بن قبيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، والنجار هو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري المعاوي، وبنو معاوية بن عمرو يعرفون ببني جديلة، وهي أمهم ينسبون إليها وهي جديلة بنت مالك بن

زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج وهي أم معاوية بن عمرو.

وأمه صهيلة بنت الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وهي عمة أبي طلحة الأنصاري.

وزعم ابن سيرين أن النجار إنما سمي النجار لأنه اختتن بقدوم، وقال غيره: بل نجر وجه رجل بقدوم فقيل له النجار.

يكنى أبي بن كعب: أبا الطفيل، وأبا المنذر.

صفته

عن عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال: كان أبي رجلاً دحداحاً، يعني ربعة، ليس بالطويل ولا بالقصير.

وعن ابن عباس بن سهل، قال: كان أبي أبيض اللون واللحية.

مع النبي ﷺ والقرآن

وقال أنس: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، وفي لفظ: «أمرني أن أقرئك القرآن». قال: الله سماني لك؟ قال: «نعم». قال: وذُكرت عند رب العالمين؟ قال: «نعم»، فزرفت عيناه، ولما سأل النبي ﷺ أبياً: أي آية في القرآن أعظم؟ فقال أبي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر».

وقد روى مسلم في أفراده من حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟»، قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر».

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة:١]، قال: وسماني لك؟ قال: «نعم»، فبكى. (أخرجاه في الصحيحين).

قال أنس بن مالك: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد أحد عمومتي.

وقال ابن عباس: قال أبي لعمر بن الخطاب: إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب.

وقال ابن عباس: قال ابن عمر: أقضانا علي، وأقرأنا أبي، وإنا لندع من قراءة أبي، وهو يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة:١٠٦].

عن أبي العالية، عن أبي ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

قال: هن أربع كلهن عذاب وكلهن واقع لا محالة، فمضت اثنتان بعد رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض، وبقي ثنتان واقعتان لا محالة الخسفُ والرجم.

مع النبي ﷺ

وروى أبو قلابة: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرأ أمتي أبي». وعن أبي سعيد قال: قال أبي: يا رسول الله! ما جزاء الحمّى؟ قال: «تجري الحسنات على صاحبها»، فقال: اللهم إني أسألك حمى لا تمنعني خروجاً في سبيلك. فلم يُمسِ أبيّ قط إلا وبه الحمى.

قال الذهبي: ملازمة الحمى له حرّفت خلقه يسيراً، ومن ثم يقول زِر بن حبيش: كان أُبيّ فيه شراسة.

عن زِرّ قال: أتيت المدينة فأتيت أُبيّاً فقلت: يرحمك الله! اخفض لي جناحك. وكان امرءاً فيه شراسة، فسألته عن ليلة القدر فقال: ليلة سبع وعشرين.

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، قال: قال أبيّ بن كعب: قال لي رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقرأ عليك القرآن»، قلت: يا رسول الله! وسميتُ لك؟ قال: «نعم»، قلت لأبيّ: فرحتَ بذلك؟ قال: وما يمنعني وهو تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

عن أبي، قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! إني أُمرت أن أعرض عليك القرآن»، فقلت: بالله آمنت، وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت. فرد القول، فقلت: يا رسول الله! وذكرت هناك؟ قال: «نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى!»، قلت: اقرأ إذاً يا رسول الله.

عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: استقرأوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبيّ، ومعاذ، وسالم مولى أبي حذيفة.

وأخرج أبو داود من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ صلَّى صلاة فلبس عليه، فلما انصرف قال لأبيّ: «أصليتَ معنا؟» قال: نعم، قال: «فما منعك».

وعن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات مما علمني جبريل عليه السلام؟»، قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل: اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي، وهزلي، وجدي، ولا تحرمني بركة ما أعطيتني، ولا تفتني فيما حرمتني».

مع عمر رضي الله عنه

عن أبي إدريس الخولاني أن أبا العلاء ركب إلى المدينة في نفرٍ من أهل دمشق، فقرأوا يوماً على عمر: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام»، فقال عمر: من أقرأكم هذا؟ قالوا: أبي بن كعب، فدعاه، فلما أبى قال: اقرأوا. فقرأوا كذلك، فقال أبي: والله يا عمر إنك لتعلم أني كنت أحضر ويغيبون وأدني ويحجبون، ويصنع بي ويصنع بي، ووالله لإن أحببت لألزمن بيتي ولا أحدث شيئاً ولا أقرىء أحداً حتى أموت. فقال عمر: اللهم غفراناً! إنا لنعلم أن الله قد جعل عندك علماً فعلِّم الناس ما علمت.

روى ابن عيينة: أن عمر بن الخطاب مَرَّ بغلام يقرأ في المصحف «النبيُّ أوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجُه أمهاتُهم، وهو أبٌ لهم» فقال: يا غلام حكها. قال: هذا مصحف أبيّ. فذهب إليه فسأله فقال: إنه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالأسواق.

مناقبه

شهد العقبة، وبدراً. وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرض إلى النبي ﷺ وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل رضي الله عنه.

فضائله

وكان يكتب له الوحي. وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ، وأحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

قال عمر بن الخطاب في حقه: «هذا سيد المسلمين».

وعن عمران بن عبد الله قال: قال أبيّ لعمر: ما لك لا تستعملني؟ قال: أخاف أن يُدنَّس دينك. وعن موسى بن علي، عن أبيه أن عمر خطب بالجابية فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيداً، ومن أراد أن يسألَ عن الفقه فليأت معاذاً، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله جعلني خازناً وقاسماً.

وعده مسروق في الستة من أصحاب الفُتْيا، قال الواقدي: وهو أول من كتب للنبي ﷺ وأول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان.

عن قيس بن عباد، قال: أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ، ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إليّ من أبيّ فأقيمت الصلاة، وخرج فكنت في الصف الأول. فجاء رجل فنظر في وجوه القوم فعرفهم غيري، فنحّاني وقام في مقامي. فما عقلت صلاتي. فلما صلى قال: يا بني! لا يسوؤك الله، فإن لم آت الذي أتيت بجهالة، ولكن رسول

الله ﷺ قال لنا: كونوا لنا في الصف الذي سيليني! فنظرت في وجوه القوم فعرفتهم غيرك، وإذا هو أبيّ رضي الله عنه.

عن عمرو بن العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ في يوم عيد فقال: ادعُ إليّ سيد الأنصار، فدعوا أبيّ بن كعب، فقال: يا أبيّ! ائت بقيع المصلى. فأمر بكنسه.

نبذ من أقواله

قال أبو نضرة العبدي: قال رجل يقال له جابر أو جويبر طلب حاجة إلى عمر وإلى جنبه رجل أبيض الثياب والشعر فقال: إن الدنيا فيها بلاغنا، وزادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي نجزى بها في الآخرة. فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب.

وعن أبي العالية قال: قال رجل لأبي بن كعب: أوصني، قال: اتخذ كتاب الله إماماً وارض به قاضياً وحكماً، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر من بعدكم.

عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفاً مع أبي بن كعب في ظل أطم[1] جسام، والسوق سوق الفاكهة اليوم، فقال أبي: ألا ترى الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا؟ قلت: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوشك أن تحسر الفرات عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه لا يدعون منه شيئاً، فيقبل الناس من كل مائة تسعة وتسعون».

وعن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف من سبيل وسنة.

وعن عبيد بن عمير، عن أبي بن كعب، قال: ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله عز وجل به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله عز وجل بما هو أشد عليه منه، من حيث لا يحتسب.

علمه وورعه

عن ابن عباس، قال عمر: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا. فكنت في مؤخر الناس مع أبي بن كعب. فهاجت سحابة فقال: اللهم اصرف عنا أذاها، قال: فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم، فقال عمر: ما أصابكم الذي أصابنا، قلت: إن أبا المنذر قال: اللهم اصرف

---

(١) الأطم: الحصن رفع بناؤه.

عنا أذاها، قال: فهلا دعوتم لنا معكم!.

قال معمر: عامة علم ابن عباس من ثلاثة: عمر وعلي وأبيّ. وقال مسروق: سألت أبياً عن شيء، فقال: أكان بعد؟ قلت: لا. قال: فاحمنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

عن أبي نضرة قال: قال رجل منا يقال له جابر أو جويبر، قال: أتيت عمر وقد أعطيت منطقاً فأخذت في الدنيا فصغرتها فتركتها لا تساوي شيئاً، وإلى جنبه رجل أبيض الرأس واللحية والثياب، فقال: كل قولك مقارب إلا وقوعك في الدنيا، هل تدري ما الدنيا؟ فيها بلاغنا، أو قال: زادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي نجزى بها. قلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب.

عن أبي العالية قال: كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم.

عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبي بن كعب في قيام رمضان، فكان يصلي بهم عشرين ركعة. وقد كان أبي التقط صرة فيها مائة دينار فعرَّفها حولاً وتملكها، وذلك في الصحيحين.

وفاته

قال ابن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن نعيم يقول: مات أبي بن كعب سنة عشرين أو تسع عشرة، وقال الواقدي: ورأيت آل أبي وأصحابنا يقولون: مات سنة اثنين وعشرين، فقال عمر: اليوم مات سيد المسلمين، قال: وقد سمعت من يقول مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين وهو أثبت الأقاويل، وقال ابن عبد البر: الأكثر على أنه في خلافة عمر. قال ابن حجر: وصحيح أبو نعيم أنه مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين واحتج له بأن زر بن حبيش لقيه في خلافة عثمان. وروى البخاري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبزَى قال: قلت لأبي لما وقع الناس في أمر عثمان فذكر القصة؛ وروى البغوي عن الحسن في قصة له أنه مات قبل قتل عثمان بجمعة، وقال ابن حيان مات سنة ثنتين وعشرين في خلافة عمر، وقد قيل: إنه بقي إلى خلافة عثمان.

٥٢ ـ زيد بن ثابت

«أفرض أمتي زيد بن ثابت»

اسمه

زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك الأنصاري النجاري.

وأمه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

يكنى أبا سعيد، وقيل: كان يكنى أبا عبد الرحمن، قاله الهيثم بن عدي. وقيل: يكنى أبا خارجة بابنه خارجة، يقال إنه كان في حين قدوم رسول الله ﷺ المدينة ابن إحدى عشرة سنة وكان يوم بعاث ابن ست سنين وفيها قتل أبوه.

وقال الواقدي: استصغر رسول الله ﷺ يوم بدر جماعة فردهم منهم زيد بن ثابت فلم يشهد بدراً.

مناقبه

يقال: إنه شهد أحداً، ويقال أول مشاهده الخندق، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك وكانت أولاً مع عمارة بن حزم فأخذها النبي ﷺ منه فدفعها لزيد بن ثابت فقال: يا رسول الله بلغك عني شيء؟ قال: «لا، ولكن القرآن مقدم».

عن خارجة بن زيد عن أبيه قال: أتى بي النبي ﷺ مقدمه المدينة فقيل هذا من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك فقال: «تعلم كتاب يهود فإني ما آمنهم على كتابي». ففعلت فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له.

عن زيد بن ثابت قال: قال لي النبي ﷺ: «إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا فتعلم السريانية»، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً.

عن زيد بن ثابت قال: لم أجز في بدر ولا أحد وأجزت في الخندق، قال: وكان فيمن ينقل التراب مع المسلمين فنعس زيد، فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه وهو لا يشعر، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا رقاد» ويومئذ نهى النبي ﷺ أن يروع المؤمن ولا يؤخذ متاعه جاداً ولا لاعباً.

عن يوسف بن سعد عن وهيب ـ عبد كان لزيد بن ثابت ـ وكان زيد على بيت المال في خلافة عثمان، فدخل عثمان فأبصر وهيباً يعينهم في بيت المال فقال: من هذا؟ فقال زيد: مملوك لي، فقال عثمان: أراه يعين المسلمين وله حق وإنا نفرض له، ففرض له ألفين، فقال زيد: والله لا تفرض لعبد ألفين، ففرض له ألفاً.

قال أبو عمر رضي الله عنه: كان عثمان يحب زيد بن ثابت، وكان زيد عثمانياً ولم يكن فيمن شهد شيئاً من مشاهد علي مع الأنصار، وكان مع ذلك يفضل علياً ويظهر حبه وكان فقيهاً رحمه الله.

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت». وروى ابن سعد بإسناد صحيح قال: كان زيد بن ثابت أحد أصحاب الفتوى وهم ستة: عمر وعلي وابن مسعود وأُبي وأبو موسى وزيد بن ثابت، وروى الواقدي من طريق قبيصة قال: كان زيد

رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وروى البغوي بإسناد صحيح عن خارجة بن زيد كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل.

لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيد بن ثابت كان من الراسخين في العلم، وكان زيد من علماء الصحابة وكان هو الذي تولى قسم غنائم اليرموك.

وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن وأمره عثمان فكتب المصحف وأبي بن كعب يملي عليه.

جمعه القرآن

عن الزهري قال: أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري كان ممن يكتب الوحي، قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها. وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر (انفرد بإخراجه البخاري).

فلما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان، واتفق رأيه ورأي الصحابة أن يرد القرآن إلى حرف واحد وقع اختياره على حرف زيد، فأمره أن يملي المصحف على قوم من قريش جمعهم إليه، فكتبوه على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس، والأخبار بذلك متواترة، وكانوا يقولون: غلب زيد بن ثابت الناس على اثنتين: «القرآن والفرائض».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عز وجل عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت».

مناقبه

عن ابن عباس أنه أخذ لزيد بن ثابت بالركاب فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا.

وعن موسى بن علي قال: سمعت أبي قال: إن كان الرجل ليأتي زيد بن ثابت فيسأله عن الشيء فيقول: الله أنزل هذا؟ فإن قال: الله أنزل هذا، أفتاه وإن لم يحلف تركه.

وعن محمد بن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة فاستقبله الناس راجعين فدخل داراً فقيل له، فقال: إنه من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله.

وعن ثابت بن عبيد قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته وأزمته إذا خرج إلى الرجال.

وعنه قال: ما رأيت أحداً كان أفكه في بيته ولا أحلم في مجلسه إذا جلس مع القوم، من زيد بن ثابت.

وفاته

قال الواقدي: مات زيد بن ثابت بالمدينة سنة خمس وأربعين، وهو ابن ست وخمسين سنة. وقال غير الواقدي: مات سنة احدى أو اثنين وخمسين. وقال آخر: مات سنة خمس وخمسين.

وعن يحيى بن سعيد قال: لما مات زيد بن ثابت، قال أبو هريرة: مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً، رضي الله عنه.

٥٣ ـ معاذ بن الحارث بن رفاعة

«قاتل أبي جهل»

اسمه

معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، ويعرف بابن عفراء، وهي أمه، وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة، من بني غنم بن مالك بن النجار.

وقال ابن هشام: معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد. وقال ابن إسحاق: معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد. والأول أكثر وأصح.

وهو أنصاري خزرجي نجاري. شهد بدراً هو وأخواه عوف ومعوذ ابنا عفراء، وقتل عوف ومعوذ ببدر، وسلم معاذ فشهد أحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وقيل: إن معاذاً بقي إلى زمن عثمان. وقيل: إنه جرح ببدر، وعاد إلى المدينة فتوفي بها.

وقال خليفة: عاش معاذ إلى زمن علي.

إسلامه

وكان الواقدي يروي أن معاذ بن الحارث ورافع بن مالك الزرقي أول من أسلم من الأنصار بمكة، وجعل هذا معاذاً من النفر الثمانية الذين أسلموا أول من أسلم من الأنصار بمكة.

في غزوة بدر

روى ابن أبي خيثمة، عن يوسف بن بهلول، عن ابن إدريس، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر ورجل آخر، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن معاذ بن عفراء قال: سمعت القوم وهم في مثل الحرجة(١)، وأبو جهل فيهم، وهم يقولون: أبو الحكم، يعني أبا جهل لا يخلص إليه. فلما سمعتها جعلته من شأني، فقصدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة عظيمة فطنت(٢) قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني(٣) القتال عنه. ولقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت قدمي عليها وتمطيت حتى طرحتها. ثم عاش حتى كان زمن عثمان.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان معاذ بن عفراء لا يدع شيئاً إلا تصدق به، فلما ولد له استشفعت إليه امرأته بأخواله فكلموه وقالوا له: إنك قد أعلت، فلو جمعت لولدك. قال: أبت نفسي إلا أن أستتر بكل شيء أجده من النار.

وفي رواية عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟»، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فقال: آنت أبا جهل؟ قال ابن علية: قال سليمان: هكذا قالها أنس، قال: أنت أبا جهل!! قال: وهل فوق رجل قتلتموه؟ قال سليمان: أو قال: قتله قومه؟ قال: وقال ابن مجلز: قال أبو جهل: فلو غير أكار قتلني(٤).

عن نصر بن عبد الرحمن، عن جده معاذ القرشي: أنه طاف مع معاذ بن عفراء بعد العصر وبعد الصبح، فلم يصل، فسأله فقال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة بعد صلاتين، بعد الغداة حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس».

---

(١) الحرجة ـ بفتح الحاء والراء ـ مجتمع شجر ملتف كالغيضة.
(٢) أي: قطعت قدمه. وفي اللسان: وأطن ذراعه بالسيف فطنت: ضربها به فأسرع قطعها. ولفظ النهاية: «وضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه». وقال ابن الأثير: «أطنتها: قطعتها، استعارة من الطنين: صوت القطع».
(٣) أي: اشتد علي وغلبني.
(٤) الأكار: الزراع، أراد به احتقاره وانتقاصه، كيف مثله يقتل مثله؟.

مقتله

قال ابن منده: معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث الزرقي، وعفراء أمه. وكان هو ورافع بن مالك أول أنصاريين أسلما من الخزرج، قتل يوم بدر.

٥٤ ـ أسيد بن حضير

«نعم الرجل أسيد بن حضير»

اسمه

أسيد بن حضير بن سماك بن عتيق بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي.

أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة. أسلم قديماً، وقيل: ما شهد بدراً. وكان أبوه شريفاً مطاعاً يدعى حضير الكتائب، وكان رئيس الأوس يوم بعاث، فقتل يومئذ قبل عام الهجرة بست سنين. وكان أسيد يعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي.

إسلامه ومناقبه

وكان أبو أسيد رئيس الأوس يوم بعاث وقتل يومئذ، وكان ابنه بعده شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام، وكان يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي. وكانوا في الجاهلية يسمون من كانت فيه هذه الخصال: الكامل.

أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ بساعة، وشهد العقبة الأخيرة مع السبعين ولم يشهد بدراً، ولكنه شهد أحداً، وجرح يومئذ سبع جراحات، وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس وشهد الخندق والمشاهد بعدها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في شعبان سنة عشرين.

عن أنس قال: كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس(١)، فتحدثا عنده حتى إذا أخرجه أضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها. فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى في ضوئها. (انفرد بإخراجه البخاري).

جاء عامر بن الطفيل وأربد إلى رسول الله ﷺ فسألاه أن يجعل لهما نصيباً من تمر

---

(١) حندس: شديدة الظلمة.

المدينة، وأخذ أسيد بن حضير الرمح فجعل يقرع رؤوسهما ويقول: اخرجا أيها الهجرسان[1]. فقال عامر: من أنت؟ فقال: أنا أسيد بن حضير. قال: حضير الكاتب؟ قال: نعم، قال: كان أبوك خيراً منك، قال: بل أنا خير منك ومن أبي، مات أبي وهو كافر.

وذكر الواقدي أنه قدم الجابية مع عمر، وكان مقدماً على ربع الأنصار، وأنه ممن أسلم على يد مصعب بن عمير.

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أسيد بن حضير».

وروي أن أسيداً كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

عن عائشة قالت: ثلاثة من الأنصار من بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً بعد رسول الله ﷺ، سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهم.

قال ابن إسحاق: أسيد بن حضير، نقيب لم يشهد بدراً. يكنى أبا يحيى. ويقال: كان في أسيد مزاح وطيب أخلاق.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أسيد بن حضير ـ وكان فيه مزاح ـ أنه كان عند النبي ﷺ فطعنه النبي ﷺ بعود كان معه، فقال: أصبرني، فقال: اصطبر. قال: إن عليك قميصاً وليس عليّ قميص. قال: فكشف النبي ﷺ قميصه، قال: فجعل يقبل كشحه[2] ويقول: إنما أردت هذا يا رسول الله.

من كراماته

عن أبي سعيد الخدري، عن أسيد بن حضير، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال: قرأت ليلة سورة البقرة وفرس لي مربوط، ويحيى ابني مضطجع قريب مني وهو غلام، فجالت الفرس، فقمت وليس لي هم إلا ابني، ثم قرأت، فجالت الفرس، فقمت وليس لي هم إلا ابني، ثم قرأت فجالت الفرس، فرفعت رأسي، فإذا شيء كهيئة الظلة في مثل المصابيح مقبل من السماء فهالني، فسكت، فلما أصبحنا غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اقرأ يا أبا يحيى»؛ فقلت: قد قرأت، فجالت فقمت ليس هم لي إلا ابني، فقال لي: «اقرأ يا أبا يحيى»، فقلت: قد قرأت فجالت الفرس فقال: «اقرأ يا أبا حضير» فقلت: قد قرأت فرفعت رأسي فإذا كهيئة الظلة فيها المصابيح فهالني؛ فقال: «تلك الملائكة دنوا لصوتك؛ ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون إليهم».

---

(١) الهجرسان: الثعلبان.

(٢) كشحه: الكشح، هو ما بين الخاصرة والضلوع.

تركته

عن ابن عمر قال: لما هلك أسيد بن الحضير وقام غرماؤه بمالهم، سأل عمر في كم يؤدي ثمرها ليوفي ما عليه من الدين؟ فقيل له: في أربع سنين، فقال لغرمائه: ما عليكم أن لا تباع. قالوا: احتكم، وإنما نقتص في أربع سنين. فرضوا بذلك فأقر المال لهم. قال: ولم يكن باع نخل أسيد أربع سنين من عبد الرحمن بن عوف، ولكنه وضعه على يدي عبد الرحمن للغرماء.

عن ابن عمر قال: هلك أسيد وترك عليه أربعة آلاف. وكانت أرضه تغل في العام ألفاً، فأرادوا بيعها، فبعث عمر إلى غرمائه: هل لكم أن تقبضوا كل عام ألفاً؟ قالوا: نعم.

وفاته

قال يحيى بن بكير: مات أسيد سنة عشرين. وحمله عمر بين العمودين عمودي السرير حتى وضعه بالبقيع، ثم صلى عليه، وفيها أرخ موته الواقدي وأبو عبيد وجماعة.

٥٥ ـ جرير بن عبد الله البجلي

«خير ذي يمن، ألا وإن على وجهه مسحة ملك»

اسمه

جرير بن عبد الله بن جابر، وهو الشليل، بن مالك بن نصر، بن ثعلبة بن جشم، أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله البجلي.

إسلامه ومناقبه

أسلم بعد نزول المائدة، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر، وكان قدومه ورسول الله ﷺ يخطب، وكان قد قال في خطبته: «إنه يقدم عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، وإن على وجهه مسحة ملك»، فلما دخل نظر الناس إليه فكان كما وصف رسول الله ﷺ، وأخبروه بذلك فحمد الله تعالى. ويروى أن رسول الله ﷺ لما جالسه بسط له رداءه وقال: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه».

وقال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي ثم حللت عيبتي[1] ولبست حلتي فدخلت ورسول الله ﷺ يخطب، فسلمت عليه فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذكرك فأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ قال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الفج، أو من هذا الباب، الآن خير ذي يمن، ألا

(١) عيبتي: وعاء من جلد ونحوه يكون فيه المتاع.

وإن على وجهه مسحة ملك»، فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني.

وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي الخلصة ـ وكان بيتاً تعظمه دوس في الجاهلية ـ فذكر أنه لا يثبت على الخيل، فضرب في صدره وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً» فذهب فهدمه. وفي الصحيحين أنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم. وكان عمر بن الخطاب يقول: جرير يوسف هذه الأمة. وقال عبد الملك بن عمير: رأيت جريراً كأن وجهه شقة قمر.

وقال الشعبي: كان جرير هو وجماعة مع عمر في بيت، فاشتم عمر من بعضهم ريحاً، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام فتوضأ، فقال جرير: أو نقوم كلنا فنتوضأ يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام. وقد كان عاملاً لعثمان على همذان، يقال إنه أصيبت عينه هناك، فلما قتل عثمان اعتزل علياً ومعاوية.

وعن قيس قال: شهدت الأشعث وجريراً حضرا جنازة، فقدم الأشعث جريراً، ثم التفت إلى الناس فقال: إني ارتددت وإنه لم يرتد.

قال ابن سعد وقال يزيد بن جرير عن أبيه أن عمر قال له ـ والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم ـ: سر بقومك فما غلبت عليه فلك ربعه.

فلما جمعت الغنائم غنائم جلولاء ادعى جرير أن له ربع ذلك كله. فكتب سعد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب عمر: صدق جرير. قد قلت لك له. قال: فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله، وإن يكن إنما قاتل لله ودينه وجنته فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم.

فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك، فقال جرير: صدق أمير المؤمنين، لا حاجة لي بذلك، أنا رجل من المسلمين.

وفاته

توفي سنة إحدى وخمسين، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ست وخمسين.

٥٦ ـ البراء بن معرور

«أول من استقبل القبلة»

اسمه

البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري الخزرجي السلمي، كنيته أبو بشر.

أمه: الرباب بنت النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، عمه سعد بن معاذ، كان أحد النقباء، كان نقيب بني سلمة، وأول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى في قول، وأول من استقبل القبلة.

وروى كعب بن مالك، وكان فيمن بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فقال البراء لنا: يا هؤلاء، قد رأيت أن لا أدع هذه البنية ـ يعني الكعبة ـ مني بظهر وأن أصلي إليها، قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إني لمصل إليها، قال: قلنا له: لكنا لا نفعل، قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة، فقال: يا ابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك، قال: فدخلنا المسجد، ثم جلسنا إليه، قال: فقال البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله عز وجل للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها» قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام.

قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم.

قال: فخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج اجتمعنا تلك الليلة بالشعب ننتظر رسول الله ﷺ فجاء، وجاء معه العباس، يعني عمه، قال: فتكلم العباس، فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم أنت يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك عز وجل فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام، وقال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا[١]، فبايعنا رسول الله، فنحن ـ والله ـ أهل الحَلْقَةِ[٢] ورثناها كابراً عن كابر. قال: فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل، فكان البراء أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ ثم تتابع القوم.

---

(١) أزرنا: يعني نساءنا وأهلنا وأنفسنا.

(٢) أي السلاح.

وفاته

عن عبد الله بن أبي قتادة أن البراء بن معرور أوصى بثلثه للنبي ﷺ، وكان أوصى بثلث في سبيل الله، وأوصى بثلث لولده. فقيل للنبي ﷺ فرده على الورثة. فقدم النبي ﷺ وقد مات، فسأل عن قبره، فأتاه فوقف عليه وكبّر وقال: «اللهم اغفر له وارحمه وأدخله الجنة»، وقد فعلت.

٥٧ ـ عمرو بن الجموح

«والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة»

اسمه

عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن زيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي الغنمي.

والد معاذ، ومُعَوَّذ، وخلاد، وعبد الرحمن، وهند.

إسلامه

عن عكرمة قال: قدم مصعب بن عمير المدينة يُعلِّم الناس، فبعث إليه عمرو بن الجموح: ما هذا الذي جئتمونا؟ قالوا: إن شئت جئناك فأسمعناك القرآن!، فواعدهم يوماً، فقرأ صدراً من سورة يوسف، فقال عمرو: إن لنا مؤامرة في قومنا. وكان سيد بني سلمة، فخرجوا، ودخل على مناف فقال: يا مناف! تعلم والله ما يريد القوم غيرك، فهل عندك من نكير؟ قال: فقلده السيف وخرج، فقام أهله فأخذوا السيف، فلما رجع دخل عليه فلم ير السيف قال: أين السيف يا مناف؟ ويحك! إن العنزة لتمنع أستها. والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير. ثم قال لهم: إني ذاهب إلى مالي بعلياء المدينة فاستوصوا بمناف خيراً. فذهب، فأخذوه فكسروه وربطوه مع كلب ميت وألقوه في بئر، فلما جاء قال: كيف أنتم؟ قالوا: بخير يا سيدنا، طهر الله بيوتنا من الرجس، قال: والله إني أراكم قد أسأتم خلافتي في مناف. قالوا: هو ذاك، انظر إليه في ذلك البئر. فأشرف فرآه، فبعث إلى قومه فجاؤوا، فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى، أنت سيدنا. قال: فأشهدكم أني قد آمنت بما أنزل على محمد.

قال: فلما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين». فقام وهو أعرج فقال: والله لا نحزن عليها في الجنة. فقاتل حتى قتل.

وعن عاصم بن عمر أن إسلام عمرو بن الجموح تأخر، وكان له صنم يقال له مناف، وكان فتيان بني سلمة قد آمنوا، فكانوا يمهلون حتى إذا ذهب الليل دخلوا بيت صنمه فيطرحونه في أنتن حفرة منكساً، فإذا أصبح عمرو غمه ذلك، فيأخذه فيغسله ويطيبه، ثم يعودون لمثل فعلهم. فأبصر عمرو شأنه وأسلم، وقال أبيات منها:

الحمد للَّه العلي ذي المنن ... الواهب الرازق ديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن
واللَّه لو كنت إلٰهاً لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لمثواك إلٰهاً مستدن ... فالآن فتشناك عن شر الغبن

ثناء الرسول ﷺ عليه

قال الغلابي: أخبرنا ابن عائشة عن أبيه قالوا: قدم على رسول الله ﷺ نفر من الأنصار فقال: من سيدكم؟ فقالوا: الجد بن قيس على بخل فيه، فقال رسول الله ﷺ: «وأي داء أدوأ من البخل، بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح». وقال شاعر الأنصار في ذلك:

وقال رسول اللَّه والحق قوله ... لمن قال منا من تسمون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي ... نبخله فيها وإن كان أسودا
فتى ما تخطى خطوة لدنية ... ولا مد في يوم إلى سوءة يدا
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده ... وحق لعمرو بالندى أن يسودا
إذا جاءه السؤال أذهب ماله ... وقال خذوه إنه عائد غدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي ... على مثلها عمرو لكنت مسودا

استشهاده في أحد

عن محمد بن سعد قال: قال الواقدي: لم يشهد عمرو بدراً، وكان أعرج فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى أحد منعه بنوه وقالوا: قد عذرك الله. فأتى النبي ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك»، ثم قال لبنيه: «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة فخلوا عنه».

قالت امرأته هند بنت عمرو بن حرام: كأني أنظر إليه مولياً وقد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهل حزبي، وهي منازل بني سلمة.

قال أبو طلحة فنظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون ثم ثابوا، وهو في الرعيل

الأول لكأني أنظر إلى ظلع[١] في رجله يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة، ثم انظر إلى ابنه خلاد يعدو في أثره حتى قتلا جميعاً.

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريين كان السيل قد خرب قبرهما وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأمطيت يده عن جرحه ثم أرسلت فعادت كما كانت. وكان بين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة رضي الله عنه.

٥٨ ـ البراء بن مالك

«رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله عز وجل لأبره، منهم البراء بن مالك»

اسمه

البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن يزيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الأنصاري النجاري المدني.

البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ وأخو خادم النبي ﷺ أنس بن مالك.

وقال ابن سعد أخوه لأبيه وأمه أمهما أم سليم انتهى، وفيه نظر لأنه أخو البراء بن مالك لأمه أمهما سمحاء وأما أم أنس فهي أم سليم بلا خلاف. شهد أحداً وبايع تحت الشجرة.

مناقبه

روي أن البراء كان حادي النبي ﷺ وفي المستدرك من طريق ابن إسحاق عن عبد (عبيد) الله بن أنس سمعت أنس بن مالك يقول: كان البراء بن مالك حسن الصوت. وكان يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره. فقال له: «إياك والقوارير»، فأمسك، وروى السراج من طريق حماد عن ثابت عن أنس قال: كان البراء حادي الرجال، وشهد البراء مع رسول الله ﷺ المشاهد إلا بدراً، وله يوم اليمامة أخبار.

عن أنس بن مالك: دخلت على البراء بن مالك وهو يتغنى بالشعر، فقلت له: يا

---

(١) ظلع: عرج.

أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به ما هو خير منه وهو القرآن؟ قال: أتخاف عليّ أن أموت على فراشي وقد تفردت بقتل مائة سوى من شاركت فيه؟ إني لأرجو أن لا يفعل الله ذلك بي.

وعن ابن سيرين أنه قال: كتب عمر بن الخطاب أن لا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف مستضعف ذي طمرين(١) لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»، وأن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: «إنك لو أقسمت على الله لأبرك فاقسم على ربك»، قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا له: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا ربي لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بالنبي ﷺ فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

وقال أنس بن مالك: ركب البراء فرساً يوم اليمامة ثم قال: أيها الناس، إنها والله الجنة وما لي إلى المدينة سبيل. فمصع(٢) فرسه مصعات ثم كبس وكبس الناس معه، فهزم الله المشركين فكانت في مدينتهم ثلمة(٣).

وعن محمد بن سيرين أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس وقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم، ففعلوا، فأدركوه وقتل منهم عشرة.

وعن أبي إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين يوم اليمامة حتى ألجؤوهم إلى حديقة فيها عدو الله مسيلمة، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين، ألقوني إليهم. فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على حديقة حتى فتحها على المسلمين ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة.

عن أنس قال: رمى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة، فحمل إلى رحله يداوى، وأقام عليه خالد شهراً.

عن أنس أن خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء، قال: فركب فرسه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة؛ ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، فلقي البراء محكم اليمامة

(١) الطمر: الثوب الخَلَق البالي.
(٢) مصع: مصعت الدابة، أي تحركت بدون عدو.
(٣) ثلمة: فتحة يدخل منها إلى بقية المدن.

فضربه البراء وصرعه فأخذ سيف محكم اليمامة فضرب به حتى انقطع.

عن أنس عن البراء قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له حمار اليمامة، رجلاً جسيماً بيده السيف، أبيض، فضربت رجليه فكأنما أخطأته وانقعر[١] فوقع على قفاه فأخذت سيفه وأغمدت سيفي فما ضربت به ضربة حتى انقطع.

عن ابن أبي طلحة قال: بينما أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدو يعنى بالحريق (بالعراق) وكانوا يلقون كلاليب[٢] في سلاسل محماة فتعلق بالإنسان فيرفعونه إليهم ففعلوا ذلك بأنس، فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار ثم قبض بيده على السلسلة فما برح حتى قطع الحبل ثم نظر إلى يده فإذا عظامها تلوح قد ذهب ما عليها من اللحم وأنجى الله أنس بن مالك بذلك.

عن أنس أن النبي ﷺ قال: «رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك»، فلما كان يوم تستر من بلاد فارس انكشف الناس، فقال المسلمون: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسم عليك يا ربي لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك. فحمل وحمل الناس معه فقتل مرزبان الزاره من عظماء الفرس وأخذ سلبه فانهزم الفرس وقتل البراء.

مقتله

عن ابن سيرين قال: قال الأشعري ـ يعني في حصار تستر ـ للبراء بن مالك: إنا قد دللنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفراً يدخلون معك فيه. فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلاً من قومك طريفاً جلداً فسمه لي. قال: ولم؟ قال: لحاجة. قال: فإني أنا ذلك الرجل. قال: دللنا على سرب، وأردنا أن ندخله. قال: فأنا معك. فدخل مجزأة أول من دخل، فلما خرج من السرب شدخوه[٣] بصخرة، ثم خرج الناس من السرب فخرج البراء فقاتلهم في جوف المدينة، وقتل رضي الله عنه وفتح الله عليهم.

استشهد يوم حصن تستر في خلافة عمر سنة عشرين، وقيل: قبلها، وقيل: سنة ثلاث وعشرين. ذكر سيف أن الهرمزان هو الذي قتله.

(١) انقعر: أي انقطع من أصله.
(٢) كلاليب: حديدة معوجة الرأس ينزع بها الشيء أو يعلق.
(٣) شدخوه: شجوا رأسه.

٥٩ ـ صهيب بن سنان

«صهيب سابق الروم»

اسمه

صهيب بن سنان بن مالك بن النمر بن قاسط، الرومي، يعرف بذلك لأنه أخذ لسان الروم إذ سبوه وهو صغير، وهو نمري من النمر بن قاسط لا يختلفون في ذلك، قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: وممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ من النمر بن قاسط صهيب بن سنان.

وفي كتاب البخاري عن محمد بن سيرين قال: كان صهيب من العرب من النمر بن قاسط.

وقال ابن إسحاق: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن جذيمة بن كعب بن سعد، شهد بدراً إلى هنا نسبه ابن إسحاق وقال: يزعمون أنه من النمر بن قاسط.

ونسبه الواقدي وخليفة بن خياط وابن الكلبي وغيرهم، فقالوا: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن كعب بن سعد، ومنهم من يقول: ابن سفيان بن جندلة بن مسلم بن أوس بن زيد مناة بن النمر بن قاسط.

كان أبوه سنان بن مالك أو عمه عاملاً لكسرى على الأبلة وكانت منازلهم بأرض الموصل في قرية على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيباً وهو غلام صغير فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن[1] فابتاعته منهم كلب ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي منهم فأعتقه فأقام معه بمكة حتى هلك عبد الله بن جدعان وبعث النبي ﷺ.

وأما أهل صهيب وولده فيزعمون أنه إنما هرب من الروم حين عقل وبلغ، فقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان وأقام معه إلى أن هلك.

صفته

وكان صهيب فيما ذكروا أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير وهو إلى القصر أقرب كثير شعر الرأس.

---

(١) ألكن: يصعب عليه الإفصاح، فهو لا يحسن أن يبين.

إسلامه

قال الواقدي كان إسلام صهيب وعمار بن ياسر في يوم واحد، حدثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال: قال عمار بن ياسر: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها فقلت له: ما تريد؟ فقال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت الدخول إلى محمد ﷺ فأسمع كلامه، قال: فأنا أريد ذلك، قال: فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم مكثنا يومنا حتى أمسينا، ثم خرجنا مستخفين، فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وهو ابن عم حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه يلتقي حمران وصهيب عند خالد بن عبد عمرو وحمران أيضاً ممن لحقه السباق من سبي عين التمر.

يكنى صهيب أبا يحيى وقال مصعب الزبيري: هرب صهيب من الروم ومعه مال كثير، فنزل مكة فعاقد عبد الله بن جدعان وحالفه وانتمى إليه. وكانت الروم قد أخذت صهيباً من نينوى.

مناقبه

وأسلم قديماً فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة لحقه صهيب إلى المدينة، فقالت له قريش: لا تفجعنا بنفسك ومالك، فرد إليهم ماله، فقال النبي ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى» وأنزل الله تعالى في أمره ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة:٢٠٧] وروي عن صهيب أنه قال: صحبت رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «صهيب سابق الروم وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب صهيباً حب الوالدة لولدها».

وذكر الواقدي: قال عاصم بن سويد من بني عمرو بن عوف عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: قدم آخر الناس في الهجرة إلى المدينة علي وصهيب وذلك للنصف من ربيع الأول ورسول الله ﷺ بقباء لم يرم بعد.

مع عمر بن الخطاب

عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لصهيب: إنك تدعي إلى النمر بن قاسط، وأنت رجل من المهاجرين الأولين ممن أنعم الله عليه بالإسلام، قال صهيب: أما ما تزعم أني ادعيت إلى النمر بن قاسط فإن العرب كانت تسبي بعضها بعضاً وتسبيها الروم أيضاً فسبوني وقد عقلت مولدي وأهلي

فباعوني بسواد الكوفة فأخذت لسانهم ولو أني كنت من روثة حمار ما ادعيت إلا إليها.

عن حمزة بن صهيب أن صهيباً كان يكنى أبا يحيى وزعم أنه كان من العرب وكان يطعم الطعام الكثير فقال له عمر رضي الله عنه: يا صهيب ما لك تتكنى بأبي يحيى وليس لك ولد؟ وتزعم أنك من العرب وتطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال؟ فقال صهيب: إن رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى، وأما قولك في النسب فإني رجل من النمر بن قاسط من أنفسهم ولكن سبيت غلاماً صغيراً قد عقلت أهلي وقومي، وأما قولك في الطعام فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «خياركم من أطعم الناس ورد السلام» فذلك الذي يحملني على أن أطعم.

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر رضي الله عنه حتى دخل على صهيب حائطاً له بالعالية فلما رآه صهيب قال: يا ناس، يا ناس، فقال عمر رضي الله عنه: ما له لا أب له يدعو الناس؟ فقلت: إنما يدعو غلاماً له يدعى يحنس، فقال عمر: ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال لولاهن ما قدمت عليك أحداً، قال: هل أنت مخبري عنهن؟ فقال صهيب: ما أنت بسائلي عن شيء إلا صدقتك عنه، قال: أراك تنتسب عربياً ولسانك أعجمي وتتكنى بأبي يحيى اسم نبي، وتبذر مالك، قال: أما تبذيري مالي فما أنفقه إلا في حقه، وأما اكتنائي بأبي يحيى فإن رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى أفأتركها لك، وأما انتسابي إلى العرب فإن الروم سبتني صغيراً فأخذت لسانهم وأنا رجل من النمر بن قاسط لو انفلقت عن روثة لانتسبت إليها.

عن سعيد بن المسيب قال: خرج صهيب مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فاتبعه نفر من المشركين فانتثر ما في كنانته وقال لهم: يا معشر قريش قد تعلمون أني من أرماكم والله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي منه في يدي شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونتخلى عنك، فتعاهدوا على ذلك فدلهم ولحق برسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى» فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

دعابته

وكان صهيب مع فضله وورعه حسن الخلق مداعباً يروى عنه أنه قال: جئت النبي ﷺ وهو نازل بقباء وبين أيديهم رطب وتمر وأنا أرمد فأكلت فقال النبي ﷺ: «أتأكل التمر على عينك؟» فقلت: يا رسول الله آكل في شق عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه.

وأوصى إليه عمر بالصلاة بجماعة المسلمين حتى يتفق أهل الشورى استخلفه على ذلك ثلاثاً وهذا مما أجمع عليه أهل السير والعلم بالخبر.

عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان مر على سلمان وصهيب وبلال فقالوا: ما أخذت السيوف من عنق العدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها؟ ثم أتى نبي الله ﷺ فأخبره بالذي قالوا فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، والذي نفسي بيده لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فرجع إليهم فقال: يا إخواني لعلي أغضبتكم؟ فقالوا: يا أبا بكر يغفر الله لك.

وفاته

مات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل: مات في سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل: ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع.

٦٠ ـ حنظلة بن أبي عامر

«غسيل الملائكة»

اسمه

حنظلة بن أبي عامر الراهب بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة، الأنصاري الأوسي، ثم من بني عمرو بن عوف.

والده

وكان أبوه أبو عامر يعرف بالراهب في الجاهلية، وكان يسأل عن ظهور رسول الله ﷺ ويستوصف صفته الأحبار، ويلبس المسوح ويترهب، وكان أبو عامر وعبد الله بن أبي ابن سلول قد حسدا رسول الله ﷺ على ما مَنَّ الله به عليه، فأما عبد الله بن أُبيّ فأضمر النفاق، وأما أبو عامر فخرج إلى مكة، ثم قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق.

وأقام بمكة فلما فتحت هرب إلى هرقل والروم فمات كافراً هنالك سنة تسع، وقيل: سنة عشر، وكان معه كنانة بن عبد ياليل، وعلقمة بن علاثة، فاختصما في ميراثه إلى هرقل، فدفعه إلى كنانة، وقال لعلقمة: هما من أهل المدر[1]، وأنت من أهل الوبر[2].

(١) أهل المدر: سكان البيوت المبنية.
(٢) أهل الوبر: هم البدو سكان الخيام.

في غزوة أحد

وأما حنظلة ابنه فهو من سادات المسلمين وفضلائهم، وهو المعروف بغسيل الملائكة، استأذن رسول الله ﷺ أن يقتل أباه فنهاه عن قتله.

وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له. فلما كان الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها. وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت هذه الشهادة، وعلقت بعبد الله بن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي ﷺ وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان، فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة».

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم: «بنو غسيل الملائكة».

عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، يعني حنظلة، فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهائعة[1]، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة»، وكفى بهذا شرفاً ومنزلة عند الله تعالى.

ولما كان حنظلة يقاتل يوم أحد التقى هو وأبو سفيان بن حرب، فاستعلى عليه حنظلة وكاد يقتله، فأتاه شداد بن الأسود المعروف بابن شعوب الليثي، فأعانه على حنظلة، فخلص أبا سفيان، وقتل حنظلة، وقال أبو سفيان:

ولو شئت نجتني كُمَيْت طِمِرَّة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

وقيل: بل قتله أبو سفيان بن حرب، وقال: حنظلة بحنظلة، يعني حنظلة الأول هذا غسيل الملائكة، وحنظلة الثاني ابنه حنظلة، قتل يوم بدر كافراً.

روى قتادة عن أنس قال: افتخرت الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت، ومنا الذي اهتز لموته عرش الرحمٰن سعد بن معاذ.

(١) الهائعة: صيحة القتال.

٦١ ـ أبو دجانة الأنصاري

«كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً»

اسمه

سماك بن خرشة بن لوزان بن عبد ود بن زيد الساعدي.

كان يوم أحد عليه عصابة حمراء. فقيل: آخى النبي ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان.

بلاؤه في أحد

قال الواقدي: ثبت أبو دجانة يوم أحد مع النبي ﷺ، وبايعه على الموت. وذلك أن النبي ﷺ عرض ذلك السيف حتى قال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فأحجم الناس عنه، فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «تقاتل به في سبيل الله حتى يفتح الله عليك أو تقتل». فأخذه بذلك الشرط. فلما كان قبل الهزيمة يوم أحد خرج بسيفه مصلتاً وهو يتبختر، ما عليه إلا قميص وعمامة حمراء قد عصب بها رأسه، وإنه ليرتجز ويقول:

إني امرؤ عاهدني خليلي إذ نحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقيم الدهر في الكبول أضرب بسيف اللّه والرسول

قال: يقول رسول الله ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموطن».

يوم اليمامة

وعن أنس بن مالك قال: رمى أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة، فانكسرت رجله، فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل رضي الله عنه وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب.

عن أبي هريرة قال: لما وضعت الحرب أوزارها افتخر أصحاب رسول الله ﷺ بأيامهم، وطلحة ساكت لا ينطق، فقال رسول الله ﷺ حين رأى سكوتهما: «لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قربي مخلوق غير جبريل عن يميني، وطلحة عن يساري، وكان سيف أبي دجانة غير ذميم».

وقال زيد بن أسلم: دخلت على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني والأخرى كان قلبي للمسلمين سليماً.

مقتله

قتل يوم اليمامة، بعد أن قتل مسيلمة.

٦٢ ـ عدي بن حاتم الطائي

«ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها»

اسمه

عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي الطائي، ولد الجواد المشهور أبو طريف.

إسلامه

كان عدي يقول: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني. أما أنا فكنت امرأً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع[١]، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبا لك، اعدد لي من إبلي أجمالاً ذللاً[٢] سماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني[٣] ففعل.

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد! فقلت: فقرب إلى أجمالي. فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام. فسلكت الجوشية[٤] ـ ويقال: الحوشية فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها، وتخالفني خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيىء.

وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جَزْلَة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي مَنَّ الله عليك! قال: «ومن وافدك؟»، قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفار من الله ورسوله؟»، قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقالت له مثل ذلك، وقال لها مثل ما قال بالأمس، حتى إذا كان بعد الغد مر بها، وقد يئست منه، فأشار إلى رجل

(١) أي أخذ الربع من الغنائم، وكان العرب يجعلون ذلك للرئيس.
(٢) ذللاً: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ارتاض.
(٣) أي أعلمني. آذنه: أعلمه.
(٤) الجوشية: جبل للضباب قرب ضرية من أرض نجد.

من خلفه: أن قومي فكلميه. فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي منَّ الله عليك. فقال ﷺ: «قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن أكلمه. فقيل: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأقمت حتى قدم ركب من بَليّ أو قضاعة، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، فكساني رسول الله ﷺ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة[1] تصوب إلى تؤمنا فقلت: ابنة حاتم. قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت[2] تقول: القاطع، الظالم، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك! قلت: أي أخية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.

ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز اليمن وأنت أنت! قلت: والله إن هذا الرأي.

فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته. فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك.

ثم مضى بي رسول الله ﷺ، حتى إذا دخل في بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إلي، فقال: اجلس على هذه، قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.

قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال: «إيه يا عدي بن حاتم، ألم تك ركوسياً[3]؟»، قلت: بلى، قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟»، قلت: بلى، قال: «فإن ذلك لم يكن يحل في دينك»، قلت: أجل والله! وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل. ثم قال:

«لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله

---

(١) الظعينة: المرأة في هودجها. وقد يقال لها ظعينة وإن لم تكن في الهودج. وتصوب إلي: تقبل نحوي. وتؤمنا: تقصدنا.

(٢) انسحلت: أخذت في اللوم ومضت فيه بحدة.

(٣) الركوسية: قوم لهم دين بين النصارى والصابئين.

ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف. ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم».

قال: فأسلمت.

وكان عدي يقول: قد مضى اثنتان، وبقيت الثالثة، ووالله لتكونن: قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة، ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه.

مع الرسول ﷺ

وروى أحمد والترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ في المسجد، فقال الناس: هذا عدي بن حاتم، قال: وجئت بغير أمان ولا كتاب وكان قال قبل ذلك إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي، فقام فأخذ بيدي فلقيته امرأة وصبي معها، فقالا: إن لنا إليك حاجة، فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى إلى داره فألقت إليه الوليدة وسادة فجلس عليها وجلست بين يديه، فقال: «هل تعلم مِنْ إله سوى الله؟»، قلت: لا، ثم قال: «هل تعلم شيئاً أكبر من الله؟» قلت: لا، قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون».

وخرج الإمام أحمد عن عدي بن حاتم قال: لما نزلت ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة:١٨٧] عمدت إلى عقالين، أحدهما أسود والآخر أبيض، قال: فجعلتهما تحت وسادتي، قال: فجعلت أنظر إليهما، فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بالذي صنعت، فقال: «إن وسادك إذاً لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل». وأخرجاه في الصحيحين.

مناقبه

أسلم في سنة تسع، وقيل سنة عشر، وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي.

قال محل بن خليفة عن عدي بن حاتم: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء.

قال الشعبي عن عدي: أتيت عمر في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل ويعرض

عني، فاستقبلته فقلت: أتعرفني، قال: نعم، آمنت إذ كفروا وعرفت إذ أنكروا ووفيت إذ غدروا وأقبلت إذ أدبروا. إن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيىء. أخرجه أحمد وابن سعد وغيرهما وبعضه في مسلم.

استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة علي رضي الله عنه

قال عدي بن حاتم لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، لو تقدمت إلى قومي أخبرهم بمسيرك، وأستنفرهم، فإن لك من طيىء مثل الذي معك، فقال علي: نعم فافعل، فتقدم عدي إلى قومه، فأجمعت إليه رؤساء طيىء، فقال لهم: «يا معشر طيىء، إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله ﷺ في الشرك ونصرتم الله ورسوله في الإسلام على الردة، وعلى قادم عليكم، وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم، فخفوا معه، وقد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا، فقاتلوا في الإسلام على الآخرة، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة، وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فأجيبوا قولي، فإنكم أعز العرب داراً، لكم فضل معاشكم وخيلكم... فكونوا أكثر عدداً. فصاحت طيىء: نعم، نعم.

وفاته

مات سنة ثمان وستين، وهو ابن مائة وعشرين سنة.

٦٣ ـ النابغة الجعدي

«أجدت، لا يفضض الله فاك»

اسمه

النابغة الجعدي، وقد اختلفت في اسمه، فقيل: قيس بن عبد الله، وقيل: عبد الله بن قيس، وقيل: حيان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعدي، نسبه هكذا أبو عمر، وقال الكلبي: هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة.

واختلف أيضاً في نسبه، والذي ذكرناه أشهر ما قيل فيه، وإنما قيل له النابغة، لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر، ثم نبغ فيه فقاله، فسمي النابغة. وطال عمره في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النابغة الذبياني، وإنما مات الذبياني قبله، وعمر الجعدي بعده طويلاً، وقيل: عاش مائة وثمانين سنة.

وقال ابن قتيبة: عاش النابغة الجعدي مائتين وأربعين سنة، وهذا لا يبعد، لأنه أنشد عمر بن الخطاب:

ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الإلٰه هو المستآسا[١]

فقال له عمر: كم لبثت مع كل أهل؟ قال: ستين سنة، فذلك مائة وثمانون سنة، ثم عاش بعد ذلك إلى أيام ابن الزبير، وإلى أن هاجى أوس بن مغراء، وليلى الأخيلية.

إسلامه

وكان يذكر في الجاهلية دين إبراهيم والحنيفية، ويصوم ويستغفر، وله قصيدة أولها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وفيها ضروب من دلائل التوحيد، والإقرار بالبعث والجزاء، والجنة والنار. وقيل: إن هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت، وقد صححه يونس بن حبيب، وحماد الراوية، ومحمد بن سلام، وعلي بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدي.

ووفد على النبي ﷺ فأسلم، وأنشد قصيدته الرائية، وفيها:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

عن يعلى بن الأشدق قال: سمعت النابغة يقول: أنشدت رسول الله ﷺ:

بلغنا السماء، مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قلت: الجنة، قال: أجل، إن شاء الله. ثم قلت:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ: «أجدت، لا يفضض الله فاك» مرتين، فبقي عمره لم تنقض له سن.

وقد روي عن النبي ﷺ، روى يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عمه عبد الله بن الزبير، عن النابغة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما وليت قريش فعدلت، وما استرحمت فرحمت، وحدثت فصدقت، ووعدت فأنجزت، إلا ـ وذكر كلمة معناها ـ أنهم تحت النبيين بدرجة في الجنة».

ومن شعر النابغة الجعدي:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل في النهار وفي الـ ـليل نهاراً يفرج الظلما
الخافض الرافع السماء على الـ ـأرض ولم يبن تحتها دعما

---

(١) المستآس: المستعاض. والأوس: العطية والعوض.

الخالق الباريء المصور في الـ ـأرحام ماءً حتى يصير دما
من نطفة قدها مقدرها يخلق منها الأبشار والنسما
ثم عظاماً أقامها عصب ثمت لحماً كساه فالتأما
ثم كسا الريش والعقائق أبـ ـشارا وجلداً تخاله أدما
والصوت واللون والمعايش والـ ـأخلاق شتى، وفرق الكلما
ثمت لا بد أن سيجمعكم واللّه، جهراً، شهادة قسما
فائتمروا الآن ما بدا لكم واعتصموا إن وجدتم عصما

وفاته

عمر حتى ورد على ابن الزبير فمدحه، ومات بأصبهان، وهو ابن مائتين وعشرين سنة.

٦٤ ـ محمد بن مسلمة

«إني لأعلم رجلاً لا تضره الفتنة»

اسمه

محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الحارثي، حليف بني عبد الأشهل، يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبو عبد الله.

شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها.

صفته

كان أسمر شديد السمرة، طويلاً أصلع. وخلف من الولد عشرة ذكور، وست بنات.

وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف. واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وقيل: كانت غزوة قرقرة الكدر. وقيل: غزوة تبوك.

واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات جُهَينة، وهو كان صاحب العمال أيام عمر، كان عمر إذا شكى إليه عامل أرسل محمداً يكشف الحال. وهو الذي أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم، لثقته به.

في الفتنة

اعتزل الفتنة بعد قتل عثمان بن عفان، واتخذ سيفاً من خشب، وقال: بذلك أمرني رسول الله ﷺ.

عن طاوس قال: قال محمد بن مسلمة: أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً، وقال: «قاتل به المشركين، فإذا اختلف المسلمون بينهم فاكسره على صخرة، ثم كن حلساً من أحلاس بيتك».

ولم يشهد من حروب الفتنة شيئاً. وممن قعد في الفتنة: سعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وغيرهم.

وقيل: إنه هو الذي قتل مرحباً اليهودي، والصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن علي بن أبي طالب قتل مرحباً.

وقال حذيفة بن اليمان: إني لأعلم رجلاً لا تضره الفتنة: محمد بن مسلمة. قال الراوي: فأتينا الربذة فإذا فسطاط مضروب، وإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألناه: لا نشتمل على شيء من أنصارهم حتى ينجلي الأمر عما انجلى.

وفاته

توفي بالمدينة سنة ست وأربعين، أو سبع وأربعين، وقيل غير ذلك، قيل: كان عمره سبعاً وسبعين سنة.

٦٥ ـ معاذ بن عمرو بن الجموح

«يا عم، أتعرف أبا جهل؟»

اسمه

معاذ بن عمرو بن الجموح، بن كعب، الأنصاري الخزرجي السلمي المدني البدري العقبي، قاتل أبي جهل.

عن ابن إسحاق: معاذ بن عمرو بن الجموح. شهد بدراً.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما. فغمزني أحدهما فقال: يا عم! أتعرف أبا جهل! قلت: نعم، وما حاجتك؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده إن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، فلم ألبث أن نظرت إلى أبي

جهل وهو يجول في الناس. فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما. قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل منهما: أنا قتلته، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو. والآخر هو معاذ بن عفراء.

قال: ومر بأبي جهل معوذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق. ثم قاتل معوذ حتى قتل وقتل أخوه عوف قبله، وهما ابنا الحارث بن رفاعة الزرقي. ثم مر ابن مسعود بأبي جهل فوبخه وبه رمق ثم احتز رأسه.

وفاته

استشهد يوم بدر، رضي الله عنه.

٦٦ ـ عمران بن حصين

«ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ»

اسمه

عمران بن حصين بن عبيد، يكنى أبا نجيد.

إسلامه

أسلم قديماً وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، ولم يزل في بلاد قومه، ثم تحول إلى البصرة فنزلها ومرض بها فسقي بطنه فبقي ثلاثين سنة على سرير مثقوب.

عن محمد بن سيرين قال: ما قدم البصرة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يفضل على عمران بن حصين.

وعنه قال: سقي بطن عمران بن حصين ثلاثين سنة كل ذلك يعرض عليه الكي فيأبى أن يكتوي. حتى كان قبل وفاته بسنتين فاكتوى.

وعن مطرف عن عمران قال: قد اكتوينا وما أفلحنا وما أنجحن، يعني المكاوي.

وعنه قال: أرسل إلى عمران بن حصين في مرضه فقال: إنه كان يسلم علي، يعني الملائكة، فإن عشت فاكتم علي وإن مت فحدث به إن شئت.

وفي رواية عن قتادة: كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت.

وقال مطرف: قلت لعمران: ما يمنعني من عيادتك إلا ما أرى من حالك، قال: فلا تفعل فإنه أحب إلى الله عز وجل.

وعن مطرفة قالت: قال لي عمران بن حصين: أشعرت أنه كان يسلم علي، فلما اكتويت انقطع التسليم. فقلت له: أمن قبل رأسك كان يأتيك التسليم أم من قبل رجلك؟ قال: بل من قبل رأسي. فقلت: إني لأرى ألا تموت حتى يعود ذلك. فلما كان بعد قال لي: أشعرت أن التسليم عاد إلي. ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله.

عن الحكم بن الأعرج أن عمران بن حصين قال: ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ.

وفاته

قال الواقدي: توفي عمران بالبصرة قبل وفاة زياد بن أبي سفيان. وكانت وفاة زياد في سنة ثلاث وخمسين.

٦٧ ـ سهيل بن عمرو بن عبد شمس

«دعه، فعسى أن يقوم مقاماً تحمده»

اسمه

سهيل بن عمرو بن عبد شمس، بن عبد ودّ، بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي، العامري، يكنى أبا يزيد، كان أحد الأشراف من قريش وسادتهم في الجاهلية، أسر يوم بدر كافراً، وكان خطيب قريش، فقال عمر: يا رسول الله انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال ﷺ: «دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده» وكان آذى أسره مالك بن الدخشم فقال في ذلك:

أسرت سهيلاً فما أبتغي ... أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى ... سهيلاً فتاها إذا تصطلم
ضربت بذي الصفر حتى انثنى ... وأكرهت سيفي على ذي العلم

قال: فقدم مكرز بن حفص بن الأحنف العامري فقاطعهم في فدائه، وقال: ضعوا رجلي في القيد حتى يأتيكم الفداء، ففعلوا ذلك وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة وهو الذي جاء في الصلح يوم الحديبية، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «قد سهل لكم من أمركم» وعقد مع رسول الله ﷺ الصلح يومئذ، وهو كان متولياً ذلك دون سائر قريش، وهو الذي مدحه أمية بن الصلت فقال:

أبا يزيد رأيت سيبك واسعاً ... وسجال كفك يستهل ويمطر

وقال فيه ابن قيس الرقيات حين منع خزاعة من بني بكر بعد الحديبية وكانوا أخواله فقال:

منهم ذو الندى سهيل بن عمرو عصمة الناس حين جب الوفاء
حاط أخواله خزاعة لما كثرتهم بمكة الأحياء

وكان المقام الذي قامه في الإسلام الذي قال رسول الله ﷺ لعمر: «دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده» فكان مقامه في ذلك أنه لما ماج أهل مكة عند وفاة النبي ﷺ وارتد من ارتد من العرب، قام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: والله إني لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعني أبا سفيان، فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم، ولكنه قد جشم على صدره حسد بني هاشم وأتى في خطبته بمثل ما جاء به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالمدينة، فكان ذلك معنى قول رسول الله ﷺ فيه لعمر، والله أعلم.

حسرته على تأخره عن الإسلام

وروى ابن المبارك قال: سمعت الحسن يقول: حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الشيوخ من قريش، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر، لصهيب وبلال وأهل بدر، وكان يحبهم، وكان قد أوصى بهم، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا، فقال سهيل بن عمرو، وقال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله، أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون فيه، ثم قال: أيها القوم، إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله عز وجل أن يرزقكم شهادة، ثم نفض ثوبه، وقام ولحق بالشام، قال الحسن: فصدق والله لا يجعل الله عبداً له أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

وذكر الزبير عن عمه مصعب عن نوفل بن عمارة قال: جاء الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا، وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر فيقول: ها هنا يا سهيل، ها هنا يا حرث، فينحيهما عنه، فجعل الأنصار يأتون فينحيهما عنه كذلك حتى صارا في آخر الناس، فلما خرجا من عند عمر قال الحرث بن هشام لسهيل بن عمرو: ألم تر ما صنع بنا؟ فقال له سهيل: إنه الرجل لا لوم عليه، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا، دعي القوم فأسرعوا ودعينا فأبطأنا، فلما قاموا من عند عمر أتياه فقالا له: يا أمير المؤمنين قد رأينا ما فعلت بنا اليوم وعلمنا أنا أتينا من قبل أنفسنا، فهل من شيء نستدرك به ما فاتنا من الفضل؟، فقال: لا أعلم إلا هذا الوجه. وأشار لهما إلى ثغر الروم، فخرجا إلى الشام فماتا بها.

عبادته

عن ابن قمادين قال: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة، أكثر صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة، من سهيل بن عمرو حتى إن كان لقد شحب لونه. وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن. لقد رئي يختلف إلى معاذ بن جبل حتى يقرئه القرآن وهو بمكة، حتى خرج معاذ من مكة، فقال له ضرار بن الخطاب: يا أبا يزيد، تختلف إلى هذا الخزرجي يقرئك القرآن؟ ألا يكون إلى رجل من قومك من قريش؟ فقال: يا ضرار، هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كل السبق، أي لعمري أختلف إليه، لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، ورفع الله بالإسلام قوماً كانوا لا يذكرون في الجاهلية، فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا.

خروجه إلى الشام

قالوا: وكان سهيل بن عمرو بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة وخرج بجماعة أهله إلا ابنته هنداً إلى الشام مجاهداً حتى ماتوا كلهم هنالك فلم يبق من ولده أحد إلا ابنته هند وفاختة بنت عتبة بن سهيل، فقدم بها على عمر فزوجها عبد الرحمن بن الحرث بن هاشم، وكان الحرث قد خرج مع سهيل فلم يرجع ممن خرج معهما إلا فاختة وعبد الرحمن، فقال: زوجوا الشريد الشريدة، ففعلوا فنشر الله منهما عدداً كثيراً.

خبر وفاته

قال المدائني: قتل سهيل بن عمرو باليرموك. وقيل: بل مات في طاعون عمواس.

٦٨ ـ أبو سفيان بن حرب

«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»

اسمه

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان القرشي الأموي ـ مشهور باسمه وكنيته ـ وكان يكنى أيضاً أبا حنظلة.

وأمه صفية بنت حرب الهلالية عمة ميمونة زوج النبي ﷺ.

وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين، وقيل غير ذلك بحسب الاختلاف في سنة موته، وهو والد معاوية.

وكان رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق، ولكنه تداركه الله بالإسلام يوم الفتح، فأسلم شبه مكره خائف، ثم بعد أيام صلح إسلامه، وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم.

حديث أبي سفيان مع هرقل

أخرج البخاري، عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: ادنوه مني، وقرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا الرجل، فإن كَذَبني عند ظهره، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتكم عن نسبه فذكرتم أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرتم أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألت أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأ، فإذا فيه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾

«من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، أخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه يخاف ملك بني الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

وكان ابن الناطور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ سقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ. فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له بِرومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي.

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.

وكان أبو سفيان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ وجهه إلى مناة فهدمها وتزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم، وكانت أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فمات هناك.

عن ثابت البناني: إنما قال النبي ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» لأن النبي ﷺ كان إذا آوى بمكة دخل دار أبي سفيان.

عن عكرمة أن النبي ﷺ أهدى إلى أبي سفيان بن حرب تمر عجوة وكتب إليه يستهديه أدما مع عمرو بن أمية، فنزل عمرو على إحدى امرأتي أبي سفيان، فقامت دونه، وقبل أبو سفيان الهدية وأهدى إليه أدما.

وروى ابن سعد من طريق أبي السفر قال: لما رأى أبو سفيان الناس يطؤون عقب رسول الله ﷺ حسده فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل فضرب رسول الله ﷺ في صدره ثم قال: «إذاً يخزيك الله»، فقال: أستغفر الله وأتوب إليه والله ما تفوهت به إلا شيء حدثت به نفسي.

ومن طريق أبي إسحاق السبيعي نحوه، وقال: ما أيقنت أنك رسول الله حتى الساعة. ومن طريق عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: قال أبو سفيان في نفسه: ما أدري بم يغلبنا محمد!، فضرب في ظهره وقال: «بالله يغلبك»، فقال: أشهد أنك رسول الله.

روى الزبير بن بكار عمن أخبره أنه سمع أبا سفيان بن حرب يمازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أم حبيبة ويقول: والله إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب، إن انتطحت فيك جماء[1] ولا ذات قرن ورسول الله ﷺ يضحك، ويقول: أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة.

وعن سعيد بن عبيد الثقفي قال: رميت أبا سفيان يوم الطائف، فأصبت عينه، فأتى النبي ﷺ فقال: هذه عيني أصيبت في سبيل الله، قال: «إن شئت دعوت فردت عليك، وإن شئت فالجنة»، قال: الجنة.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب، قال: فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد، ويقال: فقئت عينه الثانية يومئذ، وكان يقف على الكراديس[2]، يذكر ويقول: الله الله، إنكم أنصار الإسلام ودارة العرب، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك.

وفاته

قال علي بن المديني: مات لست خلون من خلافة عثمان، وقال الهيثم: لتسع خلون، وقال الزبير: في آخر خلافة عثمان، وقال المدائني: مات سنة أربع وثلاثين،

(١) الجماء: النعجة ليس لها قرن.
(٢) الكراديس: مفردها كردوسة، وهي الطائفة العظيمة من الخيل أو الجيش.

وقيل: مات أبو سفيان سنة إحدى، وقيل: اثنين وثلاثين في خلافة عثمان، وقيل: مات سنة أربع وثلاثين.

قيل: عاش ثلاثاً وتسعين سنة، وقال الواقدي: وهو ابن ثمان وثمانين، وقيل غير ذلك.

٦٩ ـ حضرمي بن عامر

«حي ذوي الأضغان تسبِ عقولهم»

اسمه

حضرمي بن عامر بن مجمع بن موله بن همام بن ضب بن كعب بن القين بن مالك، بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، كذا نسبه أبا حفص بن شاهين وهشام بن الكلبي.

وفوده على النبي ﷺ

روى أبو هريرة والشعبي وغيره، قالوا: اجتمع بنو أسد بن خزيمة أن يفدوا إلى رسول الله ﷺ فوفدوا الحضرمي بن عامر، وضرار بن الأزور، وأبو مكعت، وسلمة بن حبيش، ومعهم قوم من بني الزِّنية، والزِّنية لقب سلمى بنت مالك بن غنم بن دودان بن أسد، وهي أم مالك بن مالك، فيقال لولده: بنو الزنية، وحضرمي منهم؛ فقال الحضرمي: يا محمد، إنا أتيناك نتدرع الليل البهيم، في سنة شهباء[1]، ولم ترسل إلينا، ونحن منك، تجمعنا خزيمة، حمانا منيع، ونساؤنا مواجد[2] وأبناؤنا أنجاد أمجاد. فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: نسلم على أن صدقات أموالنا لفقرائنا، وإن أسنتت[3] بلادنا رحلنا إلى غيرها، وأسلموا وبايعوا.

قال رسول الله ﷺ لبني الزنية: «من أنتم؟» قالوا: نحن بنو الزنية، فقال: «بل أنتم بنو رشدة»، قالوا: لا ندع اسم أبينا، ولا نكون كبني محولة، يعنون بني عبد الله بن غطفان كانوا بني عبد العزى، فسماهم رسول الله ﷺ بني عبد الله، فعيروهم وقالوا: بني محولة، فقال رسول الله ﷺ: «أفيكم من يقول الشعر؟»، قال الحضرمي: أنا، قلت:

حي ذوي الأضغان تسب عقولهم   تحيتك الحسنى فقد يرفع النغل[4]

(١) السنة الشهباء: المجدبة.
(٢) أي يحببن أزواجهن.
(٣) أي أجدبت.
(٤) النغل: الحقد والضغن وأصله فساد الأدم.

وإن دحسوا[١] بالكره فاعف تكرماً وإن غنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه سماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال رسول الله ﷺ: «تعلم القرآن»، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، وأقاموا أياماً يتعلمون القرآن.

قيل: كان للحضرمي إخوة، فماتوا، فورث أموالهم، فخرج ذات ليلة في حلة بعضهم، فقال رجل من قومه يقال له جزء: ما يسر الحضرمي أن إخوته أحياء وقد ورث أموالهم. فالتفت إليه الحضرمي وقال:

إن كنت أزننتني[٢] بها كذباً جزء فلاقيت مثلها عجلا

قال: فخرج جزء ومعه إخوة له يحفرون بئراً فانهارت عليهم، فصارت قبرهم، فبلغ الحضرمي بن عامر فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦] وافقت أجلاً وأورثت حقداً.

٧٠ ـ أبو سلمة

«أول من هاجر إلى الحبشة»

اسمه

أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب.

السيد الكبير أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدراً، ومات بعدها بأشهر، وله من الأولاد صحابة: كعمر وزينب وغيرهما. ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة تزوج بها النبي ﷺ. وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة، وكانت تقول: من خير من أبي سلمة؟، وما ظنت أن الله يخلفها في مصابها به بنظيره. فلما فتح عليها بسيد البشر اغتبطت أيما اغتباط.

قال ابن إسحاق: هو أول من هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مع عثمان بن مظعون حين قدم من الحبشة فأجاره أبو طالب.

قال الذهبي: رجعوا حين سمعوا بإسلام أهل مكة عند نزول سورة النجم.

---

(١) دحسوا: أفسدوا، والبيت في اللسان، ويروى: وإن دحسوا بالشر فاغض تكرماً.

(٢) البيت في اللسان: زنن، وأزننته الشيء: اتهمته.

قال مصعب بن عبد الله: ولدت له أم سلمة بالحبشة سلمة، وعمر، ودرة، وزينب.

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله! كيف أقول؟ قال: قولي: «اللهم اغفر له واعقبنا منه عقبى صالحة»، فأعقبني الله خيراً منه رسول الله ﷺ.

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها، وأبدلني خيراً منها».

فلما احتضر أبو سلمة قلت ذلك وأردت أن أقول: وأبدلني خيراً منها. فقلت: ومن خير من أبي سلمة؟ فلم أزل حتى قلتها. فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر، فردته. وخطبها عمر، فردته. فبعث إليها النبي ﷺ، فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ!.

عن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سلمة أحداً، وكان نازلاً بالعالية في بني أمية بن زيد، فجرح بأحد، وأقام شهراً يداوي جرحه. فلما هلّ المحرم دعاه النبي ﷺ وقال: اخرج من هذه السرية. وعقد له لواء، وقال: سر حتى تأتي أرض بني أسد، فاعبر عليهم. وكان معه خمسون ومائة. فساروا حتى انتهوا إلى ذي قطن من مياههم، فأخذوا سرحاً لهم، ثم رجع إلى المدينة بعد بضع عشرة ليلة.

وفاته

قال عمر بن عثمان: حدثني عبد الملك بن عبيد: لما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه فمات لثلاث بقين في جمادى الآخرة. يعني سنة أربع.

وقيل: مات أبو سلمة سنة ثلاث.

٧١ ـ بريدة بن الحصيب

«ما من أحد من أصحابي يموت بأرض
إلا كان قائداً ونوراً لهم يوم القيامة»

اسمه

بُرَيْدَة بن الحُصَيْب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأسلمي، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا سهل، وقيل: أبا الحصيب، وقيل: أبا ساسان، والمشهور أبو عبد الله.

إسلامه

أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجراً، هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فصلوا خلفه، وأقام بأرض قومه، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان من ساكني المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وابتنى داراً، ثم خرج غازياً إلى خراسان، فأقام بمرو حتى مات ودفن بها، وبقي ولده بها.

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا كان قائداً ونوراً لهم يوم القيامة».

وروى عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ قال له وللحكم بن عمرو الغفاري: «أنتما عينان لأهل المشرق» فقدما مرو وماتا بها.

وقال عبد الله بن بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ كان يتفاءل ولا يتطير، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فلقي النبي ﷺ، فقال له: «ممن أنت؟»، قال: من أسلم، فقال لأبي بكر: «سلمنا»، ثم قال «من بني من؟»، قال: من بني سهم، قال: «خرج سهمك».

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، وعليه خاتم من حديد، فقال: «ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟» ثم جاءه وعليه خاتم من صُفْر فقال: «ما لي أجد منك ريح الأصنام؟» ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب، فقال: «ما لي أرى عليك حلية أهل الجنة؟» قال: من أي شيء أتخذه؟ قال: «من ورق ولا تتمه مثقالاً».

وفاته

مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين.

٧٢ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

«أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو شهدتك لزرتك»

اسمه ونسبه

عبد الرحمن بن أبي بكر، واسم أبي بكر رضي الله عنه، عبد الله، وكان اسمه في الجاهلية عتيقاً، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.

وكان اسم عبد الرحمن عبد العزى، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

وأمه وأم عائشة أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة بن خزيمة، هذا قول الزبير وعمه.

إسلامه وصحبته

ولعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه صحبة بالنبي ﷺ، ولم يهاجر مع أبيه صغيراً عن ذلك، فبقي بمكانه؛ ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش.

وقيل: إنما أسلم يوم الفتح، ويقال: إنه شهد بدراً مع المشركين وهو أسن ولد أبي بكر وقد شهدها كافراً، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله ﷺ قال له: «متعنا بنفسك»، ثم أسلم وحسن إسلامه وصحب النبي ﷺ في هدنة الحديبية.

صور من خلقه وجهاده

عن سعيد بن المسيب: كان عبد الرحمن بن أبي بكر لم يجرب عليه كذبة قط، وقال ابن عبد البر: كان شجاعاً رامياً حسن الرمي، وشهد اليمامة فقتل سبعة من أكابرهم منهم محكم اليمامة، وكان في ثلمة[1] من الحصن فرماه عبد الرحمن بسهم فأصاب نحره فقتله، ودخل المسلمون من تلك الثلمة فخلصوا إلى مسيلمة فقتلوه.

عن عبد الله بن نافع قال: خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد فكلمه الحسين بن علي وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فقال له عبد الرحمن: أهرقلية كلما مات قيصر كان قيصر مكانه؟ لا نفعل والله أبداً.

وبسند له إلى عبد العزيز الزهري قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بعد ذلك بمائة ألف فردها وقال: لا أبيع ديني بدنياي، وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان على عشرة أميال من مكة فحمل إلى مكة ودفن بها.

وهو المخاطِب لمروان يوم دعا إلى بيعة يزيد، والقائل: إنما تريدون أن تجعلوها كسروية أو هرقلية. كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل، فقال مروان: أيها الناس، هذا الذي قال لوالديه: أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي، فصاحت به عائشة: ألعبد الرحمن تقول هذا؟ كذبت والله، ما هو به، ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته، ولكن أشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك، وأنت في صلبه، فأنت بعض مَنْ لعنه الله.

عن جويرية ابن أسماء، وفي غير رواية: أن عائشة قالت له: يا مروان، أفينا تتأول

---

(١) ثلمة: الشق يكون في الجدار وغيره. (فتحة).

القرآن، وإلينا تسوق اللعن؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً تود أني لم أقمه. فأرسل إليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها، وحلف ألا يصلي بالناس أو تؤمنه، ففعلت.

خبر عبد الرحمن مع ابنة الجودي

عن عروة بن الزبير، قال: كانت ليلى بنت الجودي بنت ملك من ملوك الشام، فشبب بها عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان قد رآها فيما تقدم بالشام، فلما فتح الله عز وجل على المسلمين، وقتلوا أباها أصابوها، فقال المسلمون لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، أعط هذه الجارية عبد الرحمن فقد سلمناها له، قال أبو بكر: أكلكم على هذا؟ قالوا: نعم، فأعطاه إياها، وكان لها بساط في بلدها لا تذهب إلى الكنيف ولا إلى الحاجة إلا بسط لها، ورمى بين يديها برمانتين من ذهب تتلهى بهما في طريقها. فكان عبد الرحمن إذا خرج من عندها ثم رجع إليها رأى في عينيها أثر البكاء، فيقول: ما يبكيك؟ اختاري خصالاً أيها شئت رددتك على قومك، قالت: لا أريد، وإن أحببت رددتك على المسلمين، قالت: لا أريد، قال: فأخبريني ما يبكيك؟ قالت: أبكي الملك من يوم البؤس.

رواية أخرى: قال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمن رجلاً صالحاً وفيه دعابة، وقال ابن عبد البر: نفله عمر بن الخطاب ليلى ابنة الجودي وكان أبوها عربياً من غسان أمير دمشق لأنه كان نزلها قبل فتح دمشق فأحبها وهام بها وعمل فيها الأشعار، فقال فيها:

تذكرت ليلى والسماوة دونها ... وما لابنة الجودي ليلى وما ليا

وأنى تُعَاطِي قلبه حارثية ... تحل ببصري أو تحل الجوابيا

وكيف يلاقيها، بلى، ولعلها ... إذا الناس حجوا قابلا أن تلاقيا

قال أبو زيد: وقال فيها:

يا ابنة الجودي قلبي كئيب ... مستهام عندها ما ينيب

جاورت أخوالها حي عك ... فلعك من فؤادي نصيب

قال الزبير في خبره: وكان قدم في تجارة، فرآها هناك على طنفسة حولها ولائد، فأعجبته. وقال أبو زيد في خبره: فقال له عمر: ما لك ولها يا عبد الرحمن! فقال: والله ما رأيتها قط إلا ليلة في بيت المقدس في جوار ونساء يتهادين، فإذا عثرت إحداهن قالت: يا ابنة الجودي، فإذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودي.

فكتب عمر إلى صاحب الثغر الذي هي به: إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي. فلما فتح الله عليهم غنموه إياها، فأعجب بها، وآثرها على نسائه، حتى جعلن يشكونه إلى عائشة.

قالت عائشة: فكنت أكلمه فيما يصنع بها، فيقول: يا أخية، دعيني، فوالله لكأني أرشف من ثناياها حب الرمان. ثم أصابها وجع سقط له فوها، فملَّها، وهانت عليه، فكنت أكلمه فيما يسيء إليها كما كنت أكلمه في الإحسان إليها، فكان إحسانه أن ردها إلى أهلها.

قال الزبير: فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضت ليلى فأفرطت، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها؛ فجهزها إلى أهلها.

قال الزبير: وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ: عن هشام بن عروة، عن أبيه:

إن عمر بن الخطاب نفل عبد الرحمن بن أبي بكر بنت الجودي، حين فتح دمشق، وكانت بنت ملك دمشق.

ومن شعره فيها، أيضاً:

فإما تصبحي بعد اقتراب ... بسلع أو ثنيات الوداع
فلم ألفظك من شبع ولكن ... لأقضي حاجة النفس الشعاع
كأنَّ جوانح الأضلاع مني ... بعيد النوم مبطنة اليراع

وفاته ورثاء عائشة له

مات عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه بالحُبْشِيّ، جبل من مكة على أميال، فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره، ثم قالت:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو شهدتك لزرتك.

قال ابن حجر: وكانت وفاة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ثلاث وخمسين، وقيل سنة خمس وخمسين، بمكة، والأول أكثر، والله أعلم.

٧٣ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب

«نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»

اسمه وإسلامه

عبد الله بن عمر بن الخطاب، يكنى أبا عبد الرحمن. أمه زينب بنت مظعون. أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغاً حينئذ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة وعرض على

رسول الله ﷺ يوم بدر فرده، ويوم أحد فرده لصغر سنه. وعرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه.

ثناء الرسول ﷺ عليه

عن سالم عن ابن عمر قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ. قال: وكنت غلاماً شاباً عزباً فكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية البئر وإذا لها قرنان وأرى فيها ناساً قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تراع، فقصصتهما على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»، قال سالم: فكان عبد الله بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً. (أخرجاه في الصحيحين).

وعن نافع قال: قال لي عبد الله بن عمر: رأيت في المنام كأن بيدي قطعة من إستبرق ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه. فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: «إن أخاك رجل صالح»، أو «إن عبد الله رجل صالح». (أخرجاه في الصحيحين).

نبذ من حياته وعلمه وزهده

عن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب، وعروة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، فقالوا: تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له.

وعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

عن طاوس قال: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس.

وقال سعيد بن المسيب: لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

وعن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة، فطأطأ رأسه ولم يجبه، حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم تحسبون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

وعن إبراهيم قال: قال عبد الله: إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر.

وعن محمد قال: نبئت أن ابن عمر كان يقول: إني لقيت أصحابي على أمر، وإني أخاف إن خالفتهم أن لا ألحق بهم.

مع الحجاج بن يوسف الثقفي

وعن المطعم بن مقدام الصنعاني، قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن عمر: بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن الخلافة لا تصلح لعيي ولا بخيل ولا غيور.

فكتب إليه ابن عمر: أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها، وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العي، والبخل، والغيرة، فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعيي، ومن أدى زكاة ماله فليس ببخيل. وأما ما ذكرت فيه من الغيرة فإن أحق ما غرت فيه ولدي، أن يشركني فيه غيري.

وعن عائشة قالت: ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر. وعنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا في النمار[1] من عبد الله بن عمر.

إنفاقه وعتقه

وعن عبد الله بن أبي عثمان قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها رميثة، فقيل له في ذلك، قال: إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

قال: وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل. قال نافع: كان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر أحدهم فلزم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك. فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله انخدعنا له.

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب[2] له قد أخذه بمال فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه فقال: يا نافع، انزعوا زمامه ورحله، وجللوه وأشعروه[3] وأدخلوه في البدن[4]. وعن سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال: إني لأشتهي حيتاناً. فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتاً واحداً، فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعته ثم قربته إليه. فأتى مسكين حتى وقف عليه،

---

(١) النمار: جمع «نمرة»، وهي شملة فيها خطوط بيض وسود، أو البردة من الصوف.
(٢) النجيب: الجمل.
(٣) جللوه: ألبسوه الجل والشعار.
(٤) البدن: النوق، مفردها «بدنة».

فقال له ابن عمر: خذه، فقال أهله: سبحان الله قد عنيتنا[١] ومعنا زاد نعطيه. فقال: إن عبد الله يحبه.

وعن نافع، عن ابن عمر أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل، قال: وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً. قال: وأعطاه ابن عامر ثلاثين ألفاً، قال: فقال ابن عمر: يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر.

وعنه قال: كان ابن عمر يقبض على لحيته ويأخذ ما جاوز القبضة.

وعنه أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف، فلما أراد أن يبايع ليزيد قال: أرى ذلك أراد، إن ديني عندي إذاً لرخيص. (رواه محمد بن سعد).

وعنه أن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء.

وعن أبي الوازع قال: قلت لابن عمر: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. قال: فغضب ثم قال: إني لأحسبك عراقياً وما يدريك ما يغلق عليه ابن أمك بابه. شبعة واحدة ـ فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظمء[٢] حمار.

وعن عبد الله بن عدي ـ وكان مولى لابن عمر ـ أنه قدم من العراق فجاءه فسلم عليه فقال: أهديت لك هدية، فقال: وما هي؟ قال: جوارش. قال: وما جوارش؟ قال: يهضم الطعام، قال: ما ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة، فما أصنع به؟.

وعن ميمون بن مهران أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر استكساه إزاراً وقال: قد تخرق إزاري. فقال: ارقع إزارك، ثم البسه. فكره الفتى ذلك فقال له عبد الله: ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله عز وجل في بطونهم وعلى ظهورهم.

وعن سفيان قال: أراد ابن عمر مرة الصدر[٣] من مكة فاتخذ له ابن صفوان سفرة من نقى[٤] وفالوذج[٥]، وأخبصة[٦]، وبعث بها إليه، فأتى بها فلما نظر إليها بكى وقال:

ما هكذا كنا، ما شبعت منذ أسلمت. وأمر بها فقسمت على أهل الماء، ودعا بسفرته وقال: لا خير إلا فيما يبقى نفعه غداً.

---

(١) عنيتنا: أتعبتنا.

(٢) ظمء حمار: أي فترة قصيرة، لأنه ليس شيء أقصر ظمأ منه.

(٣) الصدر: الرجوع والعودة.

(٤) نقى: النقى مخ العظم.

(٥) فالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل.

(٦) أخبصة: المفرد «الخبيص» وهو حلواء مخلوطة من التمر والسمن.

عبادته وورعه

وعن القاسم بن أبي بزة قال: حدثني من سمع ابن عمر قرأ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [المطففين: ١-٦].

قال: فبكى حتى حن وامتنع من قراءة ما بعد.

وعن البراء بن سليم قال: سمعت نافعاً يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى، ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد. (رواهما الإمام أحمد).

وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر، فقال لابنه: أعطه ديناراً. فلما انصرف قال له ابنه: تقبّل الله منك يا أبتاه. فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائب أحب إليّ من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

وعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه، فكان يخدمني أكثر.

وعن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطير، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي، يفعل ذلك الليلة أربع مرار أو خمس مرار.

وعن عبد الله بن سبرة قال: كان ابن عمر إذا أصبح قال: اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة، ونوراً تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزقاً تبسطه، وضرّاً تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها.

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماء مبرداً فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وعن جابر بن عبد الله قال: ما أدركنا أحداً ـ أو قال: ما رأينا أحداً ـ إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر.

وعن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء.

وقال رجل لابن عمر: يا خير الناس وابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله عز وجل أرجو الله عز وجل وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

وعن نافع قال: كان البر لا يعرف في عمر ولا في ابنه حتى يقولا أو يعملا. وعنه،

عن ابن عمر أنه نزل على رجل فلما مضت ثلاث قال: يا نافع أنفق علينا من مالنا.

وعن مجاهد، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب في الله وأبغض في الله وعاد في الله فإنك لن تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا، وإن ذلك لا يجزي عند الله شيئاً».

قال: وقال لي ابن عمر: إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً.

قال: وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «كن في الدنيا غريباً أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور». (رواه الطبراني).

في الفتنة

إن مروان بن الحكم دخل في نفر على عبد الله بن عمر بعدما قتل عثمان رضي الله عنه، فعرضوا عليه أن يبايعوا له، قال: وكيف لي بالناس؟ قال: تقاتلهم ونقاتلهم معك، فقال: والله لو اجتمع عليَّ أهل الأرض إلا أهل فدك ما قاتلتهم، قال: فخرجوا من عنده ومروان يقول:

والـمـلـك بـعـد أبـي لـيـلـى لـمـن غـلـبـا

عن حبيب بن أبي ثابت قال: قال ابن عمر: ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أني لم أقاتل مع علي الفئة الباغية.

ذكر وفاة ابن عمر

عن عطية العوفي قال: سألت مولى لعبد الله بن عمر عن موت عبد الله بن عمر فقال: أصابه رجل من أهل الشام بزجه[(١)] في رجله، فأتاه الحجاج يعوده، فقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه. فقال عبد الله: أنت الذي أصبتني، قال: كيف؟ قال: يوم أدخلت حرم الله السلاح.

وعن نافع قال: كان زج رمح رجل من أصحاب الحجاج، قد أصاب رِجل ابن عمر. فاندمل الجرح، فلما صدر انتقض[(٢)] عليه، فدخل الحجاج يعوده فقال: من أصابك؟ قال: أنت قتلتني، قال: وفيم؟ قال: حملت السلاح في حرم الله فأصابني بعض أصحابك.

---

(١) زجه: طعنه بحديدة.

(٢) انتقض الجرح: فسد بعد شفاء.

فلما حضرته الوفاة أوصى أن لا يدفن في الحرم، فغلب، فدفن في الحرم، وصلى عليه الحجاج.

وفي رواية عن نافع قال: لم يقدر على ذلك من الحجاج، فدفناه في مقبرة المهاجرين بفخ نحو ذي طوى، ومات بمكة سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وثمانين سنة رضي الله عنه.

٧٤ ـ عثمان بن مظعون

«أول من قبر بالبقيع»

اسمه

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب الجمحي، أبو السائب.

من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم فصلى عليهم. وكان أبو السائب رضي الله عنه أول من دفن بالبقيع.

صفته

كان عثمان شديد الأدمة، كبير اللحية، رضي الله عنه.

إسلامه

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين.

وحرم الخمر في الجاهلية وقال: لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد.

وشهد بدراً وكان متعبداً. توفي في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، وقبل النبي ﷺ خده وسماه «السلف الصالح»، وهو أول من قُبر بالبقيع، وكان له من الولد: عبد الله، والسائب، أمهما: خولة بنت حكيم.

قال عثمان بن مظعون: لما رأيت ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وأنا أغدو وأروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قلت: والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي. فمشيت إلى الوليد بن المغيرة فقلت له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك. قد رددت إليك جوارك. قال: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ قلت: لا، ولكني أرضى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرت علانية. فانطلقنا، ثم خرجنا حتى أتينا المسجد فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري. قلت: قد صدق، وقد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة في مجلس من مجالس قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقلت: صدقت. فقال:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقلت: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش والله ما كان يؤذي جليسكم، فمتى حدث فيكم هذا؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجد في نفسك من قوله. فرددت عليه حتى شرى أمرنا، فقام إلى ذلك الرجل فلطم عيني فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ، فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة. فقلت: بلى والله، إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله، وإني في جوار من هو أعز منك وأقدر.

زهد عثمان بن مظعون رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن شهاب أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه دخل يوماً المسجد وعليه نمرة[١] قد تخللت فرقعها بقطعة من فروة، فرق رسول الله ﷺ عليه ورق أصحابه لرقته، فقال: «كيف أنتم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه قصعة وترفع أخرى، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة؟» قالوا: وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله، فأصبنا الرخاء والعيش، قال: «فإن ذلك لكائن، وأنتم اليوم خير من أولئك».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون رضي الله عنه يوم مات فأحنى عليه كأنه يوصيه، ثم رفع رأسه فرأوا في عينيه أثر البكاء، ثم أحنى عليه الثانية ثم رفع رأسه فرأوه يبكي، ثم أحنى عليه الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق، فعرفوا أنه قد مات؛ فبكى القوم، فقال النبي ﷺ: «مه، إنما هذا من الشيطان، فاستغفروا الله»، ثم قال: «أذهب عنك[٢] أبا السائب، فلقد خرجت ولم تتلبس منها بشيء».

وعن عائشة قالت: دخلت على امرأة عثمان بن مظعون وهي باذة الهيئة، فسألتها

---

(١) نمرة: جبة من صوف.
(٢) المعنى: أذهب عنك الهم والحزن.

عن ذلك فقالت: زوجي يصوم النهار ويقوم الليل. فدخل النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فلقي رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك فيّ أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا».

عن عائشة بنت قدامة عن أبيها عن عمها قال: قلت يا رسول الله إني رجل تشق عليّ العزوبة في المغازي فتأذن لي في الخصي فأختصي؟ فقال: «لا، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم».

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت، قال: فرأيت دموع رسول الله ﷺ تسيل على خد عثمان بن مظعون.

وعن خارجة بن زيد الأنصاري أن أم العداء ـ امرأة من نسائهم قد بايعت رسول الله ﷺ ـ أخبرته أنه اقتسم المهاجرين قرعة، قالت: فطار لنا عثمان بن مظعون فاشتكى فمرضناه، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله ﷺ فقالت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله. فقال لي النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» فقلت: لا أدري، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه والله اليقين، إني لأرجو له الخير، والله ما أدري ـ وإني رسول الله ـ ما يفعل بي». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً، فأحزنني ذلك. قالت: فنمت فأريت لعثمان عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «ذلك عمله». (انفرد بإخراجه البخاري).

عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون حين مات، فأكب عليه، فرفع رأسه فكأنهم رأوا أثر البكاء، ثم جثا الثانية، ثم رفع رأسه فرأوه يبكي، ثم جثا الثالثة فرفع رأسه وله شهيق فعرفوا أنه يبكي، فبكى القوم، فقال: «مه، هذا من الشيطان» ثم قال: «استغفر الله، أبا السائب! لقد خرجت منها ولم تلبس منها بشيء».

عن عبيد الله أن عمر قال: لما توفي عثمان بن مظعون ولم يقتل هبط من نفسي، حتى توفي رسول الله ﷺ، فقلت: ويك إن خيار الناس يموتون. ثم توفي أبو بكر، قال: فرجع عثمان في نفسي إلى المنزلة.

٧٥ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل رضي الله عنه

«الصوام القوام... صاحب الصادقة»

إسلامه

أسلم قبل أبيه واستأذن النبي ﷺ في كتابة ما يسمع منه، فأذن له رسول الله ﷺ، وقال: قد حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل. وكان عالماً متعبداً.

كتابته الحديث

عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال: استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه فأذن لي قلت: يا رسول الله، أأكتب كل ما أسمع منك في الرضا والغضب؟ قال: «نعم، فإني لا أقول إلا حقاً».

شدته على نفسه

وعن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليّ جعلت لا أنحاش(١) لها مما بي من القوة على العبادة من الصلاة والصوم. فجاء عمرو بن العاص إلى كنته(٢) حتى دخل عليها فقال: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال، أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كتفاً، ولم يعرف لنا فراشاً. فأقبل علي فعذلني وعضني بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت؟.

قال: ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني. فأرسل إليّ النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار؟»، قلت: نعم، قال: «وتقوم الليل؟»، قلت: نعم، قال: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، وقال: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرة أيام»، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال أحدهما، إما حصين وإما مغيرة، قال: «فاقرأه في كل ثلاث». قال: ثم قال: «صم في كل شهر ثلاثة أيام»، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل يرفقني حتى قال: «صم يوماً وأفطر يوماً فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود».

قال حصين في حديثه: ثم قال ﷺ: «فإن لكل عابد ثمرة ولكل ثمرة فترة، فإما إلى سنة وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك».

عن عبد الرحمن بن رافع، قال: لما كبر عبد الله بن عمرو بن العاص، واشتد عليه قراءة القرآن قال: إني لما جمعت القرآن أتيت رسول الله ﷺ فقلت له: إني قد جمعت القرآن فافرضه علي. قال: «اقرأه في الشهر»، قال: قلت: إني أقوى من ذلك، قال: «اقرأه في الشهر مرتين»، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: «اقرأه في الشهر ثلاثاً»، قال: فقلت: إني أقوى من ذلك، قال: «اقرأه في كل ست»، قال: فقلت إني أقوى من ذلك، قال: «اقرأه في كل ثلاث» قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فغضب، وقال: «قم فاقرأ».

---

(١) أنحاش لها: أقترب منها.
(٢) كنته: الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

ندمه على عدم أخذه رخصة رسول الله ﷺ

قال مجاهد: فكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعدد تلك الأيام، قال: وكان يقرأ من حزبه كذلك يزيد أحياناً وينقص أحياناً غير أنه يوفي العدد إما في سبع وإما في ثلاث. قال: ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إليّ مما عدل به، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره. (انفرد بإخراجه البخاري).

عبد الله بن عمرو في الفتنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: ما لي ولصفين؟ ما لي ولقتال المسلمين؟ والله لوددت أني مت قبل هذا بعشر سنين، ثم يقول: أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ولوددت أني لم أحضر شيئاً منها، وأستغفر الله عز وجل من ذلك وأتوب إليه. إلا أنه ذكر أنه كانت بيده الراية يومئذ، فندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية، وجعل يستغفر الله ويتوب إليه.

قال ابن قتيبة: «إن معاوية دعا عبد الله بن عمرو بن العاص، فأمره أن يكلم أهل العراق، فأقبل عبد الله بن عمرو، حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنا عبد الله بن عمرو بن العاص، إنه قد كان بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا، فإن تك للدين، فقد ـ والله ـ أسرفنا وأسرفتم، وإن تك للدنيا، فقد ـ والله ـ أعذرنا وأعذرتم، وقد دعوناكم لأمر، لو دعوتمونا إليه أجبناكم، فإن يجمعنا وإياكم الرضا، فذلك من الله، وإلا فاغتنموا هذه الفرجة، لعل الله أن ينعش بها الحي، وينسى بها القتيل، فإن بقاء المقلد بعد الهالك قليل.

وقد كان عبد الله بن عمرو قاتل يوم صفين، وكان من حجته أن قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أطيع أبي.

نبذ من أقواله

وعن أبي كثير، عن عبد الله بن عمرو، قال: تجمعون فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال: فيبرزون فيقال: ما عندكم؟ فيقولون: يا رب، ابتليتنا فصبرنا، وأنت أعلم، ووليت الأموال والسلطان غيرنا. قال فيقال: صدقتم. قال: فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال.

وعن خالد بن معدان، عن ابن عمرو قال: أرواح المؤمنين في جوف طير خضر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة.

وعن عبد الله بن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمرو قال: لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم، ولصرختم حتى تنقطع أصواتكم، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتباكوا.

وعن علي بن عطاء عن أمه أنها كانت تصنع الكحل لعبد الله بن عمرو. قالت: وإن كان ليقوم بالليل فيطفىء السراج ثم يبكي حتى رصعت[١] عيناه.

وعن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار.

زهده وكرمه

وعن سلمان بن ربيعة أنه حج في عصابة من قراء أهل البصرة، فقال: والله لا نرجع حتى نلقى رجلاً من أصحاب محمد ﷺ مرضياً يحدثنا بحديث. فلم نزل نسأل حتى حدثنا أن عبد الله بن عمرو نازل في أسفل مكة. فعمدنا إليه فإذا نحن بثقل عظيم ويرتحلون ثلاثمائة راحلة، منها مائة راحلة ومائتا زاملة... فقلنا: لمن هذا الثقل؟ فقالوا: لعبد الله بن عمرو، فقلنا: أكل هذا له؟ وكنا نحدث أنه من أشد الناس تواضعاً. فقالوا لنا: أما هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار ولأضيافه. فعجبنا من ذلك، فقالوا: لا تعجبوا من هذا فإن عبد الله رجل غني، وإنه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس. فقلنا: دلونا عليه، فقالوا: إنه في المسجد الحرام، قال: فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دبر الكعبة جالساً بين بردتين وعمامة ليس عليه قميص، قد علق نعليه في شماله.

وفاؤه ووفاته

وعن هارون بن رئب قال: لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنته رجل من قريش وقد كان مني إليه شبيه بالوعد، فوالله لا ألقى الله عز وجل بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه.

قال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر: وتوفي عبد الله بن عمرو بالشام سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

قلت: وقد زعم قوم أنه مات بمكة، ويقال بالطائف، ويقال بمصر، رحمه الله ورضي عنه.

٧٦ ـ حسان بن ثابت

«لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق»

اسمه وكنيته

حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن

(١) التصقت عيناه وورمت.

مالك بن النجار. واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، الأنصاري الخزرجي، ثم من بني مالك بن النجار.

يكنى أبا الوليد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو الحسام، لمناضلته مع رسول الله ﷺ ولتقطيعه أعراض المشركين.

وأمه الفريعة بنت خالد بن خنس بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن كعب بن ساعدة الأنصارية.

شاعر رسول الله ﷺ

يقال له: شاعر رسول الله ﷺ، ووصفت عائشة رسول الله ﷺ فقالت: كان والله كما قال فيه حسان:

متى يبد في الداجي البهيم جبينه ... يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من ذا يكون كأحمد ... نظام لحق أو نكال لملحد

وكان رسول الله ﷺ ينصب له منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله».

وروي أن الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ من مشركي قريش: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبعرى، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب.

وقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: اهجُ القوم الذين يهجوننا، فقال: إن أذن رسول الله ﷺ فعلت، فقال رسول الله ﷺ: «إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك». ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها. وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء، قال رسول الله ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟»، فقال: يا رسول الله، لأسُلَّنَّك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال: ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك.

فكان يمضي إلى أبي بكر رضي الله عنه ليقفه على أنسابهم، فكان يقول له: كفَّ عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة. فجعل يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: هذا شعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة.

فمن قول حسان في أبي سفيان بن الحارث:

وأن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

ومـن ولـدت أبـنـاء زهـرة مـنـهـم كـرام ولـم يـقـرب عـجـائـزك الـمـجـد
ولـسـت كـعـبـاس ولا كـابـن أمـه ولـكـن لـئـيـم لا يـقـام لـه زنـد
وأن امـرأ كـانـت سـمـيـة أمـه وسـمـراء مـغـمـوز إذا بـلـغ الـجـهـد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال: هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة.

يعني بقوله بنت مخزوم فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم أبي طالب، وعبد الله، والزبير، بني عبد المطلب.

وقوله: ومن ولدت أبناء زهرة منهم، يعني حمزة وصفية، أمهما هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة.

وقوله: عباس وابن أمه، وهو ضرار بن عبد المطلب، أمهما نتيلة، امرأة من النمر بن قاسط، وسمية أم أبي سفيان، وسمراء أم أبيه الحارث.

قال ابن سيرين: انتدب لهجو رسول الله ﷺ من المشركين من ذكرنا وغيرهم، فانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسان وكعب يعارضانهم مثل قولهم في الوقائع والأيام والمآثر ويذكرون مثالبهم[١]، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وبعبادة ما لا يسمع ولا ينفع، فكان قوله أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان قول عبد الله أشد القول عليهم.

موقف عمر من الهجاء

نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن إنشاد شيء من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، وقال: في ذلك شتم الحي والميت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام.

رأي العلماء في شعر حسان

وقال ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

وقال أبو عبيدة: أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل المدر حسان.

وقال الأصمعي: الشعر نكد يقوى في الشر ويسهل، فإذا دخل في الخير يضعف. لأن هذا حسان كان من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره.

---

(١) مثالبهم: المعايب.

وقيل لحسان: لان شعرك وهرم يا أبا الحسام، فقال للسائل: يا ابن أخي، إن الإسلام يحجز عن الكذب. يعني أن الإجادة في الشعر هو الإفراط في الذي يقوله، وهو كذب يمنع الإسلام منه فلا يجيء الشعر جيداً.

موقفه في حادث الإفك

عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ جلد الذين قالوا لعائشة ما قالوا ثمانين ثمانين: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وكان حسان ممن خاض في الإفك، فجلد فيه في قول بعضهم، وأنكر قوم ذلك، وقالوا: إن عائشة كانت في الطواف، ومعها أم حكيم بنت خالد بن العاص، وأم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة، فذكرتا حسان بن ثابت وسبتاه، فقالت عائشة: إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه[1] عن النبي ﷺ بلسانه، أليس القائل لأبي سفيان بن الحارث:

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

وبرأته من أن يكون افترى عليها، فقالتا: ألم يقل فيك؟ فقالت: لم يقل شيئاً، ولكنه الذي يقول:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كان ما قد قيل عني قلته ... فلا رفعت سوطي إلى أناملي

جبن حسان

وكان حسان من أجبن الناس حتى أن النبي ﷺ جعله مع النساء في الآطام[2] يوم الخندق.

قال عبد الله بن الزبير: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع، حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، حيث خندق النبي ﷺ، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، قالت له صفية: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى، ولا آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت صفية: فلما قال ذلك أخذت عموداً ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل فاسلبه، فقال: ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب.

ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً من مشاهده لجبنه، ووهب له النبي ﷺ جاريته سيرين أخت مارية، فأولدها عبد الرحمن بن حسان، فهو وإبراهيم ابن رسول الله ﷺ ابنا خالة.

---

(١) ذبه: دفاعه.

(٢) الآطام: الحصون.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق».

وفاته

توفي حسان قبل الأربعين في خلافة علي، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة.

لم يختلفوا في عمره، وأنه عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين في الإسلام، وكذلك عاش أبوه ثابت، وجده المنذر، وأبو جده حرام، عاش كل واحد منهم مائة وعشرين سنة، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم.

٧٧ ـ المقداد بن عمرو

«أول من عدا به فرسه في سبيل الله»

اسمه

المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن دهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن أبي أهون بن قاس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة البهراوي.

يقال له المقداد بن الأسود. وهذا الأسود الذي ينسب إليه هو الأسود بن عبد يغوث الزهري، وإنما نسب إليه لأن المقداد حالفه، فتبناه الأسود فنسب إليه، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] قيل: المقداد بن عمرو.

ويقال له أيضاً المقداد الكندي. وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دماً في بهراء، فهرب منهم إلى كندة فحالفهم، ثم أصاب فيهم دماً فهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث.

وقيل: هو حضرمي، وحالف أبوه كندة فنسب إليها، وجده هو الأسود بن عبد يغوث، فنسب إليه.

والصحيح أنه بهراوي، كنيته أبو معبد، وقيل: أبو الأسود.

صفته

كان المقداد طويلاً، آدم، ذا بطن، كثير شعر الرأس، أعين، مقرون الحاجبين، أقنى، يصفر لحيته.

إسلامه وهجرته

وهو قديم الإسلام من السابقين، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم عاد إلى مكة فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة لما هاجر إليها رسول الله ﷺ، فبقي إلى أن بعث رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث في سرية، فلقوا جمعاً من المشركين عليهم عكرمة بن أبي جهل، وكان المقداد وعتبة بن غزوان قد خرجا مع المشركين ليتوصلا إلى المسلمين، فتواقفت الطائفتان ولم يكن قتال، فانحاز المقداد وعتبة إلى المسلمين.

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود.

وقال علي رضي الله عنه: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد.

عن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله: لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما عدل به. أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ذلك. (رواه الإمام أحمد).

وفي رواية قال: فوالذي بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه... فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له.

وعن أنس قال: بعث النبي ﷺ المقداد على سرية، فلما قدم قال له: «أبا معبد كيف وجدت الإمارة؟» قال: كنت أحمل وأوضع حتى رأيت أن لي على القوم فضلاً، قال: «هو ذاك، فخذ، أودع»، قال: والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبداً.

عن المقداد بن الأسود قال: استعملني رسول الله ﷺ على عمل، فلما رجعت قال: «كيف وجدت الإمارة؟» قلت: يا رسول الله! ما ظننت إلا أن الناس كلهم خول[١] لي، والله لا ألي على عمل ما دمت حياً.

مناقبه

عن أبي راشد الحبراني قال: وافيت المقداد فارس رسول الله ﷺ بحمص على تابوت من توابيت الصيارفة، قد أفضل عليها من عظمه، يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر[٢] الله إليك، فقال: أبت علينا سورة البحوث ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٣] [التوبة: ٤١].

---

(١) الخول: من يدبرون الأمر للأهل ويكفونهم، وهم الخدم.

(٢) أعذر إليه: عذره.

(٣) وسميت سورة البحوث، لأنها تبحث عن نفاق المنافقين.

وفي مسند أحمد لبريدة: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بحب أربعة: علي، وأبي ذر، وسلمان، والمقداد».

وعن كريمة بنت المقداد، أن المقداد أوصى للحسن والحسين بستة وثلاثين ألفاً، ولأمهات المؤمنين لكل واحدة بسبعة آلاف درهم، وقيل: إنه شرب دهن الخروع فمات.

من أقواله

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد يوماً فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شاهدت. فاستغضب فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسول الله ﷺ وأقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخركم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم ولقد كفيتم البلاء بغيركم؟ والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء في فترة جاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار وأنها للتي قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

من مروياته عن رسول الله ﷺ

عن المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من العباد، حتى تكون قيد ميل أو اثنين»، قال سليم: لا أدري أي الميلين عنى، أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين، قال: فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً، فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه، أي: يلجمه إلجاماً.

ذكر وفاته رضي الله عنه

قال أهل السير: شرب المقداد دهن الخروع فمات، وذلك بالجرف، على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

٧٨ ـ أسامة بن زيد

«لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه»

اسمه

أسامة بن زيد بن حارثة بن شرحبيل بن عبد العزى بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي الحب ابن الحب.

يكنى أبا محمد، ويقال: أبو زيد.

وأمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ.

قال ابن سعد: ولد أسامة في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة، وقال ابن أبي خيثمة: ثماني عشرة.

وكان أمّره على جيش عظيم، فمات النبي ﷺ قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر وكان عمر يجله ويكرمه، وفضله في العطاء على ولده عبد الله بن عمر، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية.

صفته

كان شديد السواد، خفيف الروح، شاطراً ماهراً، شجاعاً، رباه النبي ﷺ وأحبه كثيراً.

وكان أبوه أبيض.

وقد فرح له رسول الله ﷺ بقول مجزر المدلجي: إن هذه الأقدام بعضها من بعض.

وكان مجزر قد دخل على رسول الله ﷺ فرأى أسامة وزيداً عليهما قطيفة، قد غطيا رؤوسهما، وبدت أقدامهما فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، قالت: فدخل علي رسول الله ﷺ مسروراً.

مع النبي ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها: أمرني رسول الله ﷺ أن أغسل وجه أسامة وهو صبي، قالت: وما ولدت ولا أعرف كيف يغسل الصبيان، فآخذه، وأغسله غسلاً ليس بذاك، قالت: فأخذه فجعل يغسل وجهه ويقول: لقد أحسن بنا أسامة، إذ لم يكن جارية ولو كان جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه، أي أكثر خطابه.

تزويج النبي ﷺ أسامة فاطمة بنت قيس

لما حلت فاطمة بنت قيس ـ وكانت قد طلقها زوجها ـ، قال رسول الله ﷺ: «هل ذكرك أحد؟»، قالت: نعم، معاوية وأبو الجهم، فقال: «أما أبو الجهم فشديد الخلق، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، ولكن أنكحك أسامة».

فقالت: أسامة! ـ تهاوناً بأمر أسامة ـ ثم قالت: سمعاً وطاعة لله ولرسوله. فزوجنيه، فكرمني الله وشرفني ورفعني به.

عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة بن زيد ينتظره، فجاء غلام أسود أفطس، فقال أهل اليمن: إنما حبسنا من أجل هذا، قال: فلذلك كفر أهل اليمن من أجل هذا.

قال يزيد بن هارون: يعني ردتهم أيام أبي بكر.

مع أبي بكر رضي الله عنه

قال أبو بكر ـ وقد أراد أن يبعث أسامة على الجيش الذي أمره رسول الله ﷺ: والله لأن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله ﷺ ـ، فبعث أسامة، واستأذنه في عمر أن يتركه عنده، فأذن له.

مع عمر رضي الله عنه

فرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد خمسة آلاف ولابن عمر ألفين، فقال ابن عمر: فضلت عليّ أسامة وقد شهدت ما لم يشهد، فقال: إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وأبوه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك.

مع علي رضي الله عنه

لقي علي أسامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسن، إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد، لأخذت بمشفره الآخر معك، حتى نهلك جميعاً، أو نحيا جميعاً، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فوالله لا أدخل فيه أبداً.

مع معاوية رضي الله عنه

عن أبي عبد الرحمن الطائي، قال: قدم أسامة على معاوية، فأجلسه معه وألطفه، فمد رجله، فقال معاوية: يرحم الله أم أيمن، كأني انظر إلى ظنوب ساقها بمكة كأنه ظنوب نعامة خرجاء، فقال: فعل الله بك يا معاوية، هي والله خير منك! قال: يقول معاوية: اللهم غفراً.

(الظنوب: هو العظم الظاهر، والخرجاء: فيها بياض وسواد).

عبادته رضي الله عنه

عن مولى أسامة بن زيد، قال: كان أسامة يركب إلى مال له بوادي القرى فيصوم الاثنين والخميس في الطريق، فقلت له: تصوم الاثنين والخميس في السفر وقد كبرت وضعفت، أو رقفت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كان يصوم الاثنين والخميس، وقال: إن أعمال الناس تعرض يوم الاثنين والخميس.

فضائله

عن ابن عمر أن النبي ﷺ بعث سرية فيهم أبو بكر وعمر، فاستعمله عليهم، فكأن الناس طعنوا فيه، أي لصغره، فبلغ رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن الناس قد طعنوا في إمارة أسامة، وقد كانوا طعنوا في إمارة أبيه من قبله وإنهما لخليقان لها ـ أو كانا خليقين لذلك ـ إنه لمن أحب الناس إلي، وكان أبوه من أحب الناس إلي، ألا فأوصيكم بأسامة خيراً».

وعن حنش قال: سمعت أبي يقول: استعمل النبي ﷺ أسامة وهو ابن ثماني عشرة سنة.

بره بأمه

عن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة في عهد عثمان بن عفان ألف درهم قال: فعمد أسامة إلى نخلة فعقرها فأخرج جمارها فأطعمه أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتنيه، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: أحب الناس إلى أسامة ما حاشا فاطمة ولا غيرها».

عن عبيد الله بن عبد الله قال: رأيت أسامة بن زيد يصلي عند قبر النبي ﷺ، فدعى مروان إلى جنازة ليصلي عليها، فصلى عليها ثم رجع، وأسامة يصلي عند باب بيت النبي ﷺ فقال له مروان: إنما أردت أن يرى مكانك، فقد رأينا مكانك فعل الله بك وفعل ـ قولاً قبيحاً ـ ثم أدبر، فانصرف أسامة وقال: يا مروان، إنك آذيتني، وإنك فاحش متفحش وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يبغض الفاحش المتفحش».

عن علي بن حشرم، قال: قلت لوكيع: من سلم من الفتنة؟ قال: أما المعروفون من أصحاب النبي ﷺ فأربع: سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، واختلط سائرهم.

ولم يبايع علياً، ولا شهد معه شيئاً من حروبه، وقال له: لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها، ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله ﷺ حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد ألا إله إلا الله.

عن أسامة بن زيد قال: أدركت كافراً كان قتل في المسلمين في غزاة لهم، قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما شهرنا عليه السلاح قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، فلم نبرح عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره فقال: «يا أسامة، من لك بلا إلٰه إلا الله؟» فقلت: يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل، فقال: «من لك يا أسامة بلا إلٰه إلا الله؟» فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها عليّ حتى وددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني أسلمت يومئذ، فقلت: أعطي الله عهدا أن لا أقتل رجلاً يقول لا إلٰه إلا الله. فقال النبي ﷺ: «بعدي يا أسامة؟»، فقلت: بعدك.

وفاة أسامة

قال ابن سعد، قال الواقدي: قبض النبي ﷺ وأسامة ابن عشرين سنة. وكان قد سكن بعد النبي ﷺ وادي القرى، ثم نزل المدينة فمات بالجرف في آخر خلافة معاوية.

قال الزهري: حمل أسامة حين مات من الجرف إلى المدينة.

وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين، وقد روى عن أسامة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وأبو وائل وآخرون؛ وفضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة.

٧٩ ـ عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب

«إني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً»

اسمه

السيد الأمير المجاهد أبو غزوان المازني، حليف بني عبد شمس.

إسلامه

أسلم سابع سبعة في الإسلام وهاجر إلى الحبشة. ثم شهد بدراً والمشاهد وكان أحد الرماة المذكورين، ومن أمراء الغزاة، وقيل: كنيته أبو عبد الله.

عن جبير بن عبد الله، وإبراهيم بن عبد الله في ولد عتبة بن غزوان قالا: استعمل عمر عتبة بن غزوان على البصرة فهو الذي اختط البصرة وأنشأها وكانت قبلها الأبلة، وبنى المسجد بقصب ولم يبن بها داراً.

وقيل: كانت البصرة قبل تسمى أرض الهند، فأول ما نزلها عتبة، كان في ثمانمائة. وسميت البصرة بحجارة سود كانت هناك، فلما كثروا بنوا سبع دساكر من لَبِن، اثنتين منها في الخريبة فكان أهلها يغزون جبال فارس.

قال ابن سعد: كان سعد يكتب إلى عتبة وهو عامله، فوجد من ذلك واستأذن عمر أن يقدم عليه فأذن له. فاستخلف على البصرة المغيرة، فشكى إلى عمر تسلط سعد عليه، فسكت عمر، فأعاد عليه عتبة وأكثر، قال: وما عليك يا عتبة أن تقر بالأمر لرجل من قريش؟ قال: أو لست من قريش؟ قال رسول الله ﷺ: «حليف القوم منهم»، ولي صحبة قديمة. قال: لا ننكر ذلك من فضلك، قال: أما إذا صار الأمر إلى هذا فوالله لا أرجع إلى البصرة أبداً. فأبى عمر ورده، فمات بالطريق، أصابه البطن[1]. وقدم سويد غلامه بتركته على عمر.

عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد أذنت بصرم[2]، وولت حذاء[3]، ولم يبق منها إلا صُبَابة[4] كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى في شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، والله لتملأنه. أفعجبتم؟! والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ[5] الزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، وإني التقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فاتزر بنصفها واتزرت بنصفها فما أصبح منا أحد اليوم حياً إلا أصبح أمير مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً، وعند الله صغيراً، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى تكون عاقبتها ملكاً، وستبلون، وستجربون الأمراء بعدنا. (انفرد بإخراجه مسلم، ليس لعتبة في الصحيح غيره).

وفاته

قيل: توفي سنة سبع عشرة، وقيل: مات سنة خمس عشرة، وعاش سبعاً وخمسين سنة، رضي الله عنه.

٨٠ ـ سعيد بن عامر

«الحمد لله الذي لم يفل فراستي»

اسمه

سعيد بن عامر بن خذيم بن سلمان بن ربيعة الجمحي.

---

(١) البطن: مرض البطن.
(٢) صرم: قطيعة.
(٣) حذاء: قاطعة.
(٤) صبابة: الصبَابة: البقية القليلة من الماء.
(٥) كظيظ: ممتلىء.

إسلامه

أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعدها.

مع عمر بن الخطاب

عن عبد الرحمن بن سابط قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء، فسر بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم، فقال: يا عمر لا تفتني، فقال عمر: والله لا أدعكم، فجعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني.

وعنه قال: دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جمح يقال له سعيد بن عامر بن خذيم، فقال له: إني مستعملك على أرض كذا وكذا، فقال: لا تفتني يا أمير المؤمنين، فقال: والله لا أدعك قلدتموها في عنقي وتركتموني. فقال عمر: ألا نفرض لك رزقاً؟ قال: قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلاً على ما أريد.

صور من زهده

قال: وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قوتهم وتصدق ببقيته. فتقول له امرأته: أين فضل عطائك؟ فيقول لها: قد أقرضته. فأتاه ناس فقالوا: إن لأهلك عليك حقاً وإن لأصهارك عليك حقاً، فقال: ما أنا مستأثر عليهم، ولا بملتمس رضا أحد من الناس لطلب الحور العين، ولو اطلعت خيرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بمتخف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجمع الله عز وجل الناس ليوم فيجيء فقراء المؤمنين فيزفون كما يزف الحمام، فيقال لهم: قفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب ولا آتيتمونا شيئاً. فيقول ربهم عز وجل: صدق عبادي، فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاماً».

فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخن في بيته فأرسل إليه عمر بمال فأخذه فصرره صرراً فتصدق به يميناً وشمالاً. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن حوراء أطلعت إصبعاً من أصابعها لوجد ريحها كل ذي روح، فأنا أدعهن لكن؟ فوالله لأنتن أحرى أن أدعكن لهن منهن لكنّ».

وعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام، بعث سعيد بن عامر بن خذيم الجمحي، قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، قال: فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار، قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين، فقالت: لو أنك اشتريت أدماً وطعاماً وادخرت سائرها. فقال لها: أولا أدلك على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها علي. قالت: فنعم إذاً. فاشترى أدماً وطعاماً واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة.

قال: فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته: إنه قد نفذ كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه، قالت: فسكت عنها. ثم عاودته فسكت عنها، حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل.

قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله، فقال لها: ما تصنعين؟ إنك قد آذيته، وإنه قد تصدق بذلك، قال: فبكت أسفاً على ذلك المال.

قال: ثم إنه دخل عليها يوماً فقال: على رِسْلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم، وإن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف تكسي خير من الدنيا وما فيها. فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك. قال: فسمحت ورضيت.

وعن مالك بن دينار قال: لما أتى عمر رضي الله عنه الشام، طاف بكورها، قال: فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا لها فقراءهم، قال: فرفع إليه كتاب فإذا فيه سعيد بن عامر بن خذيم أميرها، فقال: من سعيد بن عامر؟ قالوا: أميرنا. قال: أميركم؟ قالوا: نعم، فعجب عمر، ثم قال: كيف يكون أميركم فقيراً؟ أين عطاؤه، أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين لا يمسك شيئاً. قال: فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرها ثم بعث بها إليه وقال: أقرئوه مني السلام، وقولوا: بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك. قال: فجاء بها إليه الرسول فنظر فإذا هي دنانير، قال: فجعل يسترجع، قال: تقول له امرأته: ما شأنك يا فلان أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أتتني، الفتنة دخلت علي. قالت: فاصنع فيها ما شئت. قال: عندك عون؟ قالت: نعم، قال: فأخذ دريعة فصر الدنانير فيها صراراً ثم جعلها في مخلاة ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين فأمضاها كلها، فقالت له امرأته: رحمك الله لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به، قال: فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأتها ريح مسك»، وإني والله ما كنت لأختارك عليهن. فسكتت.

شكوى أهل حمص

وعن خالد بن معدان قال: استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن خذيم. فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه. وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى، لشكايتهم العمال، قالوا: نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: أعظم بها، قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال: وعظيمة، وقال: وماذا؟ قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيم، قال:

وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة[1] بين الأيام، أي تأخذه موتة.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تفل رأيي فيه اليوم. ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره؟ إنه ليس لأهلي خادم، فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

فقال: ما تشتكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل، قال: ما يقولون؟ قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل. قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال: ما يقولون؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، قال: ما يقولون؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جزع، فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً شيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنظة.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفل فراستي. فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها. قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان. فبقيت منها ذهيبة، فقال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله، فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين.

ذكر وفاة سعيد

عن محمد بن سعد قال: قال الواقدي: مات سعيد في سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه.

٨١ ـ خالد بن سعيد بن العاص

«أول من كتب: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾»

اسمه

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي

(١) الغنظ: الكرب الشديد والمشقة.

الأموي. يكنى أبا سعيد، أمه أم خالد بن حباب بن عبد يا ليل بن ناشب بن غيرة، من ثقيف.

إسلامه

أسلم قديماً، يقال: إنه أسلم بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكان ثالثاً أو رابعاً، وقيل: كان خامساً. وقال ضمرة بن ربيعة: كان إسلام خالد مع إسلام أبي بكر، وقالت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص: كان أبي خامساً في الإسلام. قلت: من تقدمه؟ قالت: علي بن أبي طالب، وأبو بكر، وزيد بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص، رضي الله عنهم.

وكان سبب إسلامه أنه رأى في النوم أنه وقف على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم به، وكان أبوه يدفعه فيها، ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه[1] لا يقع فيها، ففزع وقال: احلف إنها لرؤيا حق، ولقي أبا بكر رضي الله عنه فذكر ذلك له، فقال له أبو بكر: أريد بك خيراً هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، فإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع في النار، وأبوك واقع فيها.

فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد فقال: يا محمد إلى من تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عَبَده ممن لم يعبده». قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه، وتغيب خالد، وعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه من بقي من ولده، ولم يكونوا أسلموا، فوجدوه، فأتوا به أباه أبا أحيحة سعيداً، فسبه وبكَّته وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه، وقال: اتبعت محمداً وأنت ترى خلافه قومه، وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم! قال: قد والله تبعته على ما جاء به، فغضب أبوه ونال منه، وقال: اذهب يا لكع حيث شئت، والله لأمنعنك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت بخالد. فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ، فكان يلزمه، ويعيش معه.

وتغيب عن أبيه في نواحي مكة حتى خرج المسلمون إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فخرج معهم، وكان أبوه شديداً على المسلمين، وكان أعز من بمكة. فقال ابنه خالد عند ذلك: اللهم لا ترفعه. فتوفي في مرضه ذلك.

وهاجر خالد إلى الحبشة ومعه امرأته أميمة بنت خالد الخزاعية، وولد له بها ابنه سعيد بن خالد، وابنته أم خالد، واسمها أمة، وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه

---

(١) حقويه: خاصرتيه.

عمرو بن سعيد، وقدما على النبي ﷺ بخيبر مع جعفر بن أبي طالب في السفينتين، فكلم النبي ﷺ المسلمين، فأسهموا لهم، وشهد مع النبي ﷺ القضية وفتح مكة، وحنيناً، والطائف، وتبوك، وبعثه رسول الله ﷺ عاملاً على صدقات اليمن، وقيل: على صدقات مذحج وعلى صنعاء، فتوفي النبي ﷺ وهو عليها.

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، قالت: أبي أول من كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾.

وعن خالد بن سعيد، أنه أتى رسول الله ﷺ وعليه خاتم فضة، مكتوب عليه محمد رسول الله، قال: فأخذه مني فلبسه، وهو الذي كان في يده.

ورجع خالد وأبان وعمرو أبناء سعيد بن العاص عن عمالتهم حين مات رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم، فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ.

قال موسى بن عقبة: أخبرنا أن خالداً قتل مشركاً ثم لبث سلبه ديباجاً أو حريراً، فنظر الناس إليه وهو مع عمرو، فقال: ما لكم تنظرون؟ من شاء فليفعل مثل فعل خالد ثم يلبس لباسه.

ويروى أن خالداً رضي الله عنه استشهد فقال الذي قتله بعد أن أسلم: من هذا الرجل؟ فإني رأيت نوراً له ساطعاً إلى السماء.

استعمال الرسول ﷺ لخالد بن سعيد على صدقات اليمن

ولم يزل خالد وأخواه عمرو وأبان على أعمالهم التي استعملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي رسول الله ﷺ، فلما توفي رجعوا عن أعمالهم، فقال لهم أبو بكر: ما لكم رجعتم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم، فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبداً. وكان خالد على اليمن كما ذكرنا، وأبان على البحرين، وعمرو على تيماء وخيبر، وقرى عربية، وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه، فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر، طيبو الثمر، ونحن تبع لكم، فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد وأبان.

مع أبي بكر

ثم استعمل أبو بكر خالداً على جيش من جيوش المسلمين حين بعثهم إلى الشام.

وثبت في ديوان عمرو بن معد يكرب أنه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبي ﷺ مصدقاً عليهم بقصيدة يقول فيها:

فقلت لباغي الخير إن تأت خالداً تسر وترجع ناعم البال حامدا

مقتله

قتل بمرج الصفر في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: كانت واقعة مرج الصفر سنة أربع عشرة في صدر خلافة عمر. وقيل: بل كان قتله في وقعة أجنادين بالشام قبل وفاة أبي بكر بأربع وعشرين ليلة، وقد اختلف أصحاب السير في واقعة أجنادين، وواقعة الصفر، وواقعة اليرموك، أيها قبل الأخرى، والله أعلم.

٨٢ ـ عباد بن بشر

«كانت عصاه تضيء له في الليل»

اسمه

عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل، الأنصاري الأشهلي.

قال الواقدي: يكنى أبا بشر، وقال ابن عمارة: يكنى أبا الربيع، وقال إبراهيم بن المنذر: عباد بن بشر يكنى أبا بشر، ويكنى أبا الربيع.

إسلامه

قال أبو عمر: لا يختلفون أن عباداً أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وذلك قبل إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير.

مناقبه

شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان من فضلاء الصحابة. روى أنس بن مالك أن عصاه كانت تضيء له إذا كان يخرج من عند النبي ﷺ إلى بيته ليلاً، وعرض له ذلك مرة مع أسيد بن حضير فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه.

وروى حماد بن سلمة عن ثابت أن أنس قال: كان عباد بن بشر ورجل آخر من الأنصار عند النبي ﷺ يتحدثان في ليلة ظلماء حندس[1] فخرجا من عنده، فأضاءت عصا عباد بن بشر حتى انتهى عباد وذهب فأضاءت عصا الآخر.

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً، كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر.

---

(١) حندس: شديدة السواد.

قال عباد بن عبد الله بن الزبير: والله ما سماني أبي عباداً إلا به، كان عباد بن بشر ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذي رسول الله ﷺ ويحرض على أذاه، وقال عباد بن بشر في ذلك شعراً:

صرخت به فلم يعرض لصوتي ... ووافى طالعاً من رأس جدر
فعدت له فقال من المنادي؟ ... فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها ... لشهرٍ إن وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا ... وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوى سريعاً ... وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد ... مدربة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المردي ... بها الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتاً عليه ... فقطره أبو عبس بن جبر
فكان الله سادسنا فأبنا ... بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام ... همو ناهيك من صدق وبر

والذين قتلوا كعب بن الأشرف محمد بن مسلمة والحرث بن أوس وعباد بن بشر وأبو عبس بن جبر وأبو نائلة سلكان بن وقش الأشهلي.

قال ابن إسحاق: شهد بدراً مع رسول الله ﷺ عباد بن بشر، وقتل يوم اليمامة شهيداً، وكان له يومئذ بلاء وعناء، فاستشهد يومئذ وهو ابن خمس وأربعين سنة، وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عائشة قالت: تهجد رسول الله ﷺ في بيتي فسمع صوت عباد بن بشر فقال: «يا عائشة، صوت عباد بن بشر هذا؟» قلت: نعم، قال: «اللهم اغفر له».

عن عباد بن بشر الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر الأنصار، أنتم الشعار والناس الدثار، فلا أوتين من قبلكم».

وفاته

عن الزهري: قتل عباد بن بشر يوم اليمامة شهيداً عن خمس وأربعين سنة، وكان له بلاء وعناء.

٨٣ ـ الحارث بن هشام بن المغيرة

«يا رسول الله، أخبرني بأمر أعتصم به»

اسمه

الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد الرحمن القرشي، المخزومي.

وأمه أم الجلاس، أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التميمية، وهو أخو أبي جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد، وابن عم حَنْتَمَة أم عمر بن الخطاب، على الصحيح، وقيل: أخوها، وشهد بدراً كافراً، فانهزم، وعُيِّر بفراره ذلك، فمما قيل فيه ما قاله حسان:

إن كنت كاذبة بما حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طِمِرة ولجام

فاعتذر الحارث عن فراره بما قال الأصمعي: إنه لم يسمع أحسن من اعتذاره في الفرار، وهو قوله:

اللَّه أعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مُزْبِدِ

والأبيات مشهورة.

إسلامه

وأسلم يوم الفتح، وكان استجار يومئذ بأم هانىء بنت أبي طالب، فأراد أخوها علي قتله، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «قد أجرنا من أجرت». ولما أسلم الحارث حسن إسلامه، ولم ير منه في إسلامه شيء يكره، وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين كما أعطى المؤلفة قلوبهم، وشهد معه حنيناً.

عن عائشة: أن رسول الله ﷺ سأله الحارث بن هشام: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة: فلقد رأيته في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

روى عنه ابنه عبد الرحمن أنه قال: يا رسول الله، أخبرني بأمر أعتصم به، قال: «املك عليك هذا»، وأشار إلى لسانه، قال: فرأيت ذلك يسيراً، وكنت رجلاً قليل الكلام، ولم أفطن له، فلما رمته فإذا هو لا شيء، أشد منه.

حرصه على الجهاد

روى عبد الله بن المبارك عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن أبي عقرب، قال: خرج الحارث بن هشام من مكة للجهاد، فجزع أهل مكة جزعاً شديداً، فلم يبق أحد يطعم إلا خرج يشيعه، فلما كان بأعلى البطحاء وقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزعهم رقَّ فبكى وقال: يا أيها الناس، إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر فخرجت رجال، والله ما كانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتاتها، فأصبحنا، والله، ولو أن جبال مكة ذهباً، فأنفقناها في سبيل الله، ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمسن أن نشاركهم به في الآخرة، ولكنها النقلة إلى الله تعالى.

مع عمر بن الخطاب

وخرج إلى الشام مجاهداً أيام عمر بن الخطاب بأهله وماله، فلم يزل يجاهد حتى استشهد يوم اليرموك في رجب من سنة خمس عشرة، وقيل: بل مات في طاعون عمواس سنة سبع عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة.

وروى حبيب بن أبي ثابت أن الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعياش بن أبي ربيعة، جرحوا يوم اليرموك، فلما أُثْبِتوا دعا الحارث بن هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمة، فقال: ادفعه إلى عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش، فقال: ادفعه إلى عياش، فما وصل إلى عياش حتى مات، ولا وصل إلى واحد منهم، حتى ماتوا.

ولما توفي تزوج عمر بن الخطاب امرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، أخت خالد بن الوليد، وهي أم عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

٨٤ ـ جابر بن عبد الله بن حرام

«. . . إن جابراً قد صنع سوراً، فحيَّهلا بكم»

اسمه

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة.

يكنى أبا عبد الله. شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم يومئذ، أراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته ـ وكن تسعاً ـ وخلفه أيضاً يوم أحد. ثم شهد ما بعد ذلك.

مشاهده مع رسول الله ﷺ

حدثنا أبو الزبير، أنه سمع جابراً يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع عشرة

غزوة، قال جابر: لم أشهد بدراً ولا أحداً؛ منعني أبي، فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط.

وقال الكلبي: شهد جابر أحداً. وقيل: شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعَمِي في آخر عمره، وكان يحفي شاربه، وكان يخضب بالصفرة.

إطعام جابر بن عبد الله رضي الله عنه

أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية[١] شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيَل[٢] ـ أو أهيم ـ فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت من النبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق[٣]، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر[٤] والبرمة بين الأثافي[٥] قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيِّم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟»، فذكرت له، فقال: «كثير طيب، قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي». فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك! جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم؛ فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا»[٦]، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر[٧] البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: «كلي هذا وأهدي؛ فإن الناس أصابتهم مجاعة». (تفرد به البخاري).

ورواه البيهقي في الدلائل عن جابر أتم منه، قال فيه: لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً: «قوموا إلى جابر»، قال: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله! وقلت: جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق! ودخلت على امرأتي أقول: افتضحت، جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين!! فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟

(١) كدية: الأرض الغليظة الصلبة التي لا تعمل فيها الفأس.
(٢) رملاً كثيراً سائلاً بعضاً فوق بعض.
(٣) العناق: الأنثى من أولاد الماعز لم تبلغ سنة.
(٤) أي تمالك واختمر.
(٥) الأثافي: جمع أثفية، وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها.
(٦) لا تضاغطوا: أي لا تزدحموا.
(٧) يُخمر: يغطي.

قلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فكشفت عني غماً شديداً، قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال: «خدمي ودعيني من اللحم».

وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم، ويخمر هذا ويخمر هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كان؛ ثم قال رسول الله ﷺ: «كلي وأهدي!!» فلم تزل تأكل وتهدي يومها. وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأبسط أيضاً، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة.

وأخرجه البخاري أيضاً من وجه آخر عن جابر نحوه، وفيه: فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً فحيّهلاً بكم». فقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلن برمتك، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء». فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بكَ وبكَ!! فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف» فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو. (أخرجه مسلم).

وأخرج الطبراني عن جابر قال: صنعت أمي طعاماً وقالت: اذهب إلى رسول الله ﷺ فادعه، فجئت النبي ﷺ فساررته، فقلت: إن أمي قد صنعت شيئاً، فقال لأصحابه: «قوموا»، فقام معه خمسون رجلاً، فجلس على الباب، فقال النبي ﷺ: «أدخل عشرة عشرة» فأكلوا حتى شبعوا وفضل نحو ما كان.

عن جابر قال: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله ﷺ، فانفتل الناس فلم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

وفاته

توفي جابر سنة ثمان وسبعين بالمدينة بعد أن ذهب بصره.

٨٥ ـ أبو أيوب الأنصاري

«يا رسول الله، إنه لا ينبغي أن نكون فوقك»

اسمه

خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي.

وأمه هند بنت سعيد بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

مناقبه

شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً نزل عليه، أقام عنده حتى بنى حُجَره ومسجده، وانتقل إليها، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير.

عن ابن إسحاق قال: فأقام رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم خمساً، يعني بني عمرو بن عوف، وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة فاعترضه بنو سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، هلم إلى العدد والعُدة والقوة، انزل بين ظهرانينا، فقال رسول الله ﷺ: «خلوا سبيلها؛ فإنها مأمورة». ثم مر ببني بياضة فاعترضوه فقالوا مثل ذلك، ثم مر ببني ساعدة فقالوا مثل ذلك، فقال: «خلوا سبيلها؛ فإنها مأمورة»، ثم مر بأخواله بني عدي بن النجار فقالوا: هلم إلينا أخوالك، فقال مثل ذلك، فمر ببني مالك بن النجار فبركت على باب مسجده ثم التفتت، ثم انبعثت، ثم كَرّت إلى مبركها الذي انبعثت منه، فبركت فيه، ثم تحلحلت في مناخها ورزمت، فنزل رسول الله ﷺ عنها، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فأدخله بيته، وأمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد.

عن أبي رُهْم السماعي، أن أبا أيوب، حدثهم أن النبي ﷺ نزل في بيته الأسفل، وكنت في الغرفة فهُريق ماء في الغرفة، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء شفقاً أن يخلص إلى رسول الله ﷺ فنزلت إلى رسول الله ﷺ وأنا مشفق، فقلت: يا رسول الله، إنه ليس ينبغي أن نكون فوقك، فانتقل إلى الغرفة، فأمر رسول الله ﷺ بمتاعه فنقل، فقلت: يا رسول الله، كنت ترسل إليّ بالطعام، فانظر فإذا رأيت أثر أصابعك وضعت فيه يدي، حتى كان هذا الطعام الذي أرسلتَ به إليّ، فنظرت فلم أر أثر أصابعك. فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إن فيه بصلاً، فكرهت أن آكل من أجل المَلَك، وأما أنتم فكلوا». وقد روي أن الطعام كان فيه ثوم، وهو الأكثر، والله أعلم.

مع الرسول ﷺ

عن أبي أيوب، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اكتم الخطبة، ثم توضأ، ثم صل ما كتب الله لك، ثم احمد ربك ومجده، ثم قل: اللهم تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، فإن رأيت لي في فلانة ـ تسميها ـ خيراً في ديني ودنياي وآخرتي، فاقدرها لي، وإن كان غيرها خيراً لي منها فأمض لي ـ أو قال: قدرها لي».

حبه الرسول ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ بصفية بات أبو أيوب

على باب النبي ﷺ فلما أصبح فرآه رسول الله ﷺ كبر، ومع أبي أيوب السيف فقال: يا رسول الله، كانت جارية حديثة عهد بعرس، وكنتَ قتلت أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليك. فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً.

وهو القائل لزوجته أم أيوب حين قالت له: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ فقالت: لا والله، فقال: والله لهي خير منك. فأنزل الله تعالى: ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢] الآية.

من مروياته عن النبي ﷺ

عن أبي أيوب الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «إن الرجلين ليتوجهان إلى المسجد فيصليان فينصرف أحدهما وصلاته أوزن من صلاة الآخر، وينصرف الآخر وما تعدل صلاته مثقال ذرة، كان أورعهما عن محارم الله وأحرصهما على المسارعة إلى الخير».

وعن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ لرجل سأله أن يعلمه ويوجز فقال له: «إذا صليت صلاة فصل صلاة مودع، ولا تكلمن بكلام تعتذر منه، واجمع اليأس مما في أيدي الناس».

مع ابن عباس

عن ابن عباس: أن أبا أيوب أتى ابن عباس، فقال له: يا أبا أيوب، إني أريد أن أخرج لك عن مسكني، كما خرجت لرسول الله ﷺ عن مسكنك. وأمر أهله فخرجوا، وأعطاه كل شيء أغلق عليه بابه، فلما كان خلافة علي قال: ما حاجتك؟ قال: حاجتي عطائي، وثمانية أعبد يعملون في أرضي. وكان عطاؤه أربعة آلاف فأضعفها له خمس مرات فأعطاه عشرين ألفاً وأربعين عبداً وكان أبو أيوب ممن شهد مع علي رضي الله عنه حروبه كلها ولزم الجهاد، وقال: قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً ولم يتخلف عن الجهاد إلا عاماً واحداً، فإنه استُعمِل على الجيش رجل شاب فقعد ذلك العام فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول: وما عَلَيَّ من استُعمِل عَلَيَّ.

مع معاوية رضي الله عنه

دخل أبو أيوب على معاوية، فقال: صدق رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «يا معشر الأنصار، إنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا». فبلغت معاوية، فصدقه، فقال: ما أجرأه! لا أكلمه أبداً، ولا يؤويني وإياه سقف. وخرج من فوره إلى الغزو فمرض، فعاده يزيد بن معاوية وهو على الجيش فقال: هل لك من حاجة؟ قال: ما ازددت عنك وعن أبيك إلا غنى.

قبل وفاته

عن رجل من أهل مكة أن يزيد بن معاوية كان أميراً على الجيش الذي غزا فيه أبو أيوب، فدخل عليه عند الموت فقال له: إذا أنا مت فاقرأوا على الناس مني السلام وأخبروهم أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً جعله الله في الجنة»، ولينطلقوا فيبعدوا بي في أرض الروم ما استطاعوا. قال: فحدث الناس لما مات أبو أيوب، فأسلم الناس وانطلقوا بجنازته.

عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال حين حضرته الوفاة: قد كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «لولا أنكم ما تذنبون لخلق الله قوماً يذنبون فيغفر لهم». قال ابن كثير: إن هذا الحديث والذي قبله هو الذي حمل يزيد بن معاوية على طرف من الإرجاء، وركب بسببه أفعالاً كثيرة أنكرت عليه.

قال الواقدي: مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ثنتين وخمسين، ودفن عند القسطنطينية وقبره هنالك يستسقي به الروم إذا قحطوا، وقيل: إنه مدفون في حائط القسطنطينية وعلى قبره مزار ومسجد وهم يعظمونه.

٨٦ ـ عبد الله بن الزبير

«ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما»

اسمه

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، القرشي، الأسدي.

أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق.

ولد عام الهجرة.

مولده

عن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة ونزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فِيهِ فكان أول شيء دخل جوفه ريق النبي ﷺ ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام.

مبايعته النبي ﷺ

ثم جاء بعد وهو ابن سبع أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ أمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه وبايعه، وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وكانت يهود

تقول: قد أخذناهم فلا يولد لهم بالمدينة ولد، فكبر الصحابة حين ولد. (أخذناهم: سحرناهم).

مع النبي ﷺ

عن عبد الله بن الزبير أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد»، فلما برز عن رسول الله ﷺ عمد إلى الدم فشربه فلما رجع قال: «يا عبد الله ما صنعت بالدم» قال: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس قال: «لعلك شربته!» قال: نعم، قال: «ولم شربت الدم؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس» فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم.

عن ابن عباس أنه وصف ابن الزبير فقال: عفيف الإسلام قارىء القرآن أبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه بنت الصديق، وجدته صفية عمة رسول الله ﷺ وعمة أبيه خديجة بنت خويلد.

لما بويع له بالخلافة جدد عمارة الكعبة، فجعل لها بابين على قواعد إبراهيم، وأدخل فيها ستة أذرع من الحجر لما حدثته خالته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ.

في الفتنة

هشام بن عروة قال: أخذ عبد الله بن الزبير من وسط القتلى يوم الجمل وفيه بضع وأربعون جراحة، فأعطت عائشة البشير الذي بشرها لأنه لم يمت عشرة آلاف، ثم اعتزل ابن الزبير حروب علي ومعاوية ثم بايع لمعاوية، فلما أراد أن يبايع ليزيد امتنع وتحول إلى مكة وعاد بالحرم فأرسل إليه يزيد سليمان أن يبايع له فأبى ولقب نفسه عائذ الله.

شجاعة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: لما مات معاوية رضي الله عنه تثاقل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عن طاعة يزيد بن معاوية، وأظهر شتمه، فبلغ ذلك يزيد، فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً وإلا أرسل إليه، فقيل لابن الزبير: ألا نصنع لك أغلالاً من فضة تلبس عليها الثوب، وتبر قسمه؛ فالصلح أجمل بك؟ قال: فلا أبر له قسمه، ثم قال:

ولا ألين لغير الحق أسأله ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجرُ

ثم قال: والله لضربة بسيف في عز أحب إليّ من ضربة بسوط في ذل، ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية، فوجه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش أهل الشام، وأمره بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك سار إلى مكة.

قال: فدخل مسلم بن عقبة المدينة، وهرب منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله ﷺ، وعبث فيها وأسرف في القتل، ثم خرج منها، فلما كان ببعض الطريق مات، واستخلف

حُصَين بن نمير الكندي وقال: يا ابن بَرْذَعة الحمار احذر خدائع قريش، ولا تعاملهم إلا بالثقاف ثم بالقطاف، فمضى حصين حتى ورد مكة، فقاتل بها ابن الزبير رضي الله عنه أياماً.

قال: وبلغ حصين بن نمير موت يزيد بن معاوية، فهرب حصين بن نمير، فلما مات يزيد بن معاوية دعا مروان بن الحكم إلى نفسه ثم مات مروان ودعا عبد الملك لنفسه، وقام فأجابه أهل الشام، فخطب على المنبر وقال: من لابن الزبير منكم؟ فقال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين، فأسكته، ثم عاد فأسكته، ثم عاد فقال: أنا يا أمير المؤمنين! فإني رأيت في النوم أني انتزعت جبته فلبستها، فعقد له ووجهه في الجيش إلى مكة حتى قدمها على ابن الزبير رضي الله عنه، فقاتله بها، فقال ابن الزبير رضي الله عنه لأهل مكة: احفظوا هذين الجبلين، فإنكم لن تزالوا بخير أعزّة ما لم يظهروا عليهما، فلم يلبثوا أن ظهر الحجاج ومن معه على «أبي قُبَيس» ونصب عليه المنجنيق؛ فكان يرمي به ابن الزبير ومن معه رضي الله عنه في المسجد.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما كان قبل قتل عبد الله بن الزبير بعشرة أيام دخل على أمه أسماء وهي شاكية فقال لها: كيف تجدينك يا أمه؟ قالت: ما أجدني إلا شاكية، فقال لها: إن في الموت لراحة، فقالت له: لعلك تمنيته لي، ما أحب أن أموت حتى يأتي علي أحد طرفيك، إما قتلت فأحتسبك، وإما ظفرت بعدوك فتقر عيني. قال عروة: فالتفت إلى عبد الله فضحك. فلما كان في اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت له: يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل، فوالله لضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في الذل، قال: فخرج وجعل له مصراع عند الكعبة فكان تحته، فأتاه رجل من قريش فقال له: ألا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها؟ فقال عبد الله: من كل شيء تحفظ أخاك إلا من نفسه، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم، وهل حرمة المسجد إلا كحرمة البيت. ثم تمثل:

ولست بمبتاع الحياة بِسُبَّةٍ ... ولا مرتق من خشية الموت سلما

قال: ثم شد عليه أصحاب الحجاج، فقال: أين أهل مصر؟ فقالوا: هم هؤلاء من هذا الباب لأحد أبواب المسجد، فقال لأصحابه: اكسروا أغماد سيوفكم ولا تميلوا عني فإني في الرعيل الأول، قال: ففعلوا ثم حمل عليهم وحملوا معه ـ وكان يضرب بسيفين ـ فلحق رجلاً فضربه فقطع يده وانهزموا فجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد، فجعل رجل أسود يسبه، فقال له: اصبر يا ابن حامي، ثم حمل عليه فصرعه، قال: ثم دخل عليه أهل حمص من باب بني شيبة، فقال: من هؤلاء؟ فقالوا: أهل حمص، فشد عليهم، وجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ثم انصرف وهو يقول:

لو كان قرني واحداً كفيته ... أوردته الموت وقد زكيته

مقتله

قال: ثم دخل عليه أهل الأردن من باب آخر، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: أهل الأردن، فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ثم انصرف، وهو يقول:

لا عـهـد لـي بـغـارة مـثـل الـسـيـل ... لا يـنـجـلـي قـتـامـهـا حـتـى الـلـيـل

قال: فأقبل عليه حجر من ناحية الصفا فضربه بين عينيه فنكس رأسه، وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولـكـن عـلـى أقـدامـنـا يـقـطـر الـدم

هكذا تمثل به ابن الزبير، قال:

وحما موليان له وأحدهما يقول:

الـعـبـد يـحـمـي ربـه ويـحـتـمـي

الحجاج وأسماء

قال: ثم اجتمعوا عليه، فلم يزالوا يضربونه حتى قتلوه ومولييه جميعاً، ولما قُتل كبر أهل الشام.

فقال عبد الله بن عمر: المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل.

وقال يعلى بن حرملة: دخلت مكة بعدما قتل ابن الزبير بثلاثة أيام فإذا هو مصلوب فجاءت أمه امرأة عجوز طويلة مكفوفة البصر تقاد، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟!، فقال لها الحجاج: المنافق، قالت: والله ما كان منافقاً ولكنه كان صواماً قواماً بارّاً، قال: انصرفي فإنك عجوز قد خرفت، قالت: لا، والله ما خرفت، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في ثقيف كذاب ومبير» أما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت المبير، قال أبو عمر: الكذاب فيما يقولون: «المختار بن أبي عبيد الثقفي».

غسله وكفنه

وروى سعيد بن أبي عامر عن أبي عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة قال: كنت أول من بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله بن الزبير من الخشبة، فدعت بمركن وشب يمان وأمرتني بغسله فكنا لا نتناول عضواً إلا جاء معنا، فكنا نغسل العضو ونضعه في أكفانه ونتناول العضو الآخر الذي يليه فنغسله ثم نضعه في أكفانه حتى فرغنا منه، ثم قامت فصلت عليه، وكانت تقول قبل ذلك: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته. فما أتت عليها جمعة حتى ماتت. قال أبو عمر: رحل عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان فرغب إليه في إنزاله من الخشبة فأسعفه فأنزله، ثم كان ما وصف ابن أبي مليكة.

وقال علي بن مجاهد: قتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلاً إن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة.

عن مالك قال: ابن الزبير كان أفضل من مروان وكان أولى بالأمر من مروان ومن ابنه. حدثنا سفيان بن عيينة قال: مكث عامر بن عبد الله بن الزبير بعد قتل أبيه حولاً لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه.

وصف عبادته

وعن مجاهد عن ابن جبير قال: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه عبد الله بن الزبير، ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة.

وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يصلي في الحجر خافضاً بصره، فجاء حجر قدامه فذهب ببعض ثوبه فما انتقل.

وعن عمر بن قيس، عن أمه أنها قالت: دخلت على عبد الله بن الزبير في بيته فإذا هو يصلي، قالت: فسقطت حية من السقف على ابنه هاشم فتطوقت على بطنه، وهو نائم، فصاح أهل البيت: الحية، ولم يزالوا بها حتى قتلوها، وعبد الله بن الزبير يصلي ما التفت ولا عجل. ثم فرغ بعدما قتلت، فقال: ما بالكم؟ قالت أم هاشم: أي ـ رحمك الله ـ أرأيت إن كنا هُنَّا عليك أيهون عليك ابنك؟ فقال: ويحك، ما كانت التفاتة، لو التفتها، مبقية من صلاتي.

خطبة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

عن محمد بن عبد الله الثقفي قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، قال: ما شعرنا حتى خرج علينا قبل يوم التروية بيوم، وهو يوم محرم، رجل كهيئة كهل جميل، فأقبل فقالوا: هذا أمير المؤمنين، فرقى المنبر وعليه ثوبان أبيضان، ثم سلم عليهم فردُّوا عليه السلام، ثم لبَّى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنكم جئتم من آفاق شتَّى وفوداً على الله تعالى، فصدقوا قولكم بفعل؛ فإن ملاك القول الفعل، والنية نية القلوب، الله الله في أيامكم هذه؛ فإنها أيام يغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتَّى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجون ها هنا، ثم لبَّى ولبَّى الناس، وتكلم بكلام كثير، ثم قال: أما بعد، فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] وهي ثلاثة أشهر: شوال وذو القَعْدة وعشر من ذي الحجة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ لا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ لا سباب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا مراء ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فأحل لهم التجارة، ثم قال: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ وهو الموقف الذي يقفون عنده حتى تغيب الشمس، ثم يُفيضون منه ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال: وهي الجبال التي يقفون عندها، المزدلفة ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾، قال: ليس هذا بعامٍّ؛ هذا لأهل البلد كانوا يفيضون من

جمع ويفيض الناس من عرفات، فأبى الله لهم ذلك، فأنزل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ إلى ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾ قال: وكانوا إذا فرغوا من حجِّهم تفاخروا بالآباء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

قال: يعملون في دنياهم لآخرتهم ودنياهم، قال: ثم قرأ حتى بلغ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قال: وهي أيام التشريق، فذكر الله فيهن بتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وتمجيد؛ قال: ثم ذكر مَهَلَّ الناس، قال: مَهَلُّ أهل المدينة من ذي الحُلَيفة، ومَهَلُّ أهل العراق من العقيق، ومَهَلُّ أهل نجد وأهل الطائف من قَرْن وأهل اليمن من يَلَمْلَم، وقال: ثم دعا على كَفَرة أهل الكتاب فقال: اللهمَّ عذِّب كَفَرة أهل الكتاب الذين يجحدون بآياتك ويكذبون رسلك ويصدُّون عن سبيلك، اللهمَّ عذبهم، واجعل قلوبهم قلوب نساء فواجر ـ في دعاء كثير ـ ثم قال: إن ها هنا رجالاً قد أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم، يفتون بالمتعة بأن يقدم الرجل من خراسان مُهِلاً بالحج، حتى إذا قدم قالوا: أحلَّ من حجك بعمرة، ثم أهلَّ بحج من ها هنا، والله ما كانت المتعة إلا لمحصر، ثم لبى ولبى الناس، فما رأيت يوماً قط كان أكثر باكياً من يومئذ.

وعن وهب بن كيسان قال: كتب إليَّ عبد الله بن الزبير بموعظة:

أما بعد، فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على البلاء رضي بالقضاء، وشكر النعماء، وذلك لحكم القرآن وإنما الإمام كالسوق؛ ما نفق فيها حمل إليها، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهل الحق، وإن نفق عنده الباطل جاءه أهل الباطل.

تاريخ مقتله

قال الواقدي، عن أشياخ له، قالوا: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة ثنتين وسبعين وستة أشهر وسبع عشرة ليلة، ونصب الحجاج المنجنيق يرمي به أحث الرمي، وألح عليهم بالقتال من كل وجه وحبس عنهم الميرة، وحصرهم أشد الحصار، فقامت أسماء يوماً فصلت ودعت فقالت: اللهم لا تخيب عبد الله بن الزبير، اللهم ارحم ذلك السجود والنحيب والظمأ في تلك الهواجر.

وقتل يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

٨٧ ـ عامر بن فهيرة

«رجل لما قتل رفع بين السماء والأرض»

اسمه

عامر بن فهيرة التميمي، مولى أبي بكر رضي الله عنه.

يكنى أبا عمر، واشتراه أبو بكر وأعتقه قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم؛ فكان من المستضعفين يعذب بمكة ليرجع عن دينه، وشهد بدراً وأحداً.

صحبته رسول الله ﷺ في الهجرة

روى البخاري عن عائشة قالت: لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل، فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، ويدلج من عندهما بسحر، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما، حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

وعن عائشة قالت: لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر، وعامر بن فهيرة، ورجل من بني الديل دليلهم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدمنا المدينة اشتكى أصحاب النبي ﷺ منهم أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة، وكان عامر إذا أصابته الحمى يقول:

إني وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه   كالثور يحمي جلده بروقه

خبر مقتله

عن الزهري قال: أخبرني ابن كعب بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ إلى بني سليم نفراً فيهم عامر بن فهيرة، فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل فأدركوهم ببئر معونة فقتلوهم، قال الزهري: فبلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه. قال: فيرون أن الملائكة دفنته.

وعن عروة أن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجل منكم لما قتل رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة.

وكان ذلك سنة أربع من الهجرة، وكان سنه أربعين سنة.

٨٨ ـ حنظلة بن الربيع

«يا حنظلة، ساعة وساعة»

اسمه

حَنْظَلةُ بن الرَّبيع، وقيل: ابن ربيعة، والأول أكثر، ابن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شُرَيف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي، يكنى أبا ربعي، ويقال له: حنظلة الأسيدي، والكاتب؛ لأنه كان يكتب للنبي ﷺ، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي، وهو ممن تخلف عن علي رضي الله عنه في قتال الجمل بالبصرة.

مع النبي ﷺ

عن حنظلة الأسيدي، وكان من كتاب النبي ﷺ، أنه مر بأبي بكر رضي الله عنه وهو يبكي، فقال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين؛ فإذا رجعنا عافسنا[١] الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً! قال: فوالله إنا كذلك، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فانطلقا، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ما لك يا حنظلة؟»، قال: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة، ونسينا كثيراً، قال: فقال النبي ﷺ: «لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم، ولكن، يا حنظلة، ساعة وساعة».

عن عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ﷺ حنظلة بن الربيع بن صيفي، ابن أخي أكثم بن صيفي إلى أهل الطائف: أتريدون الصلح أم لا؟ فلما توجه إليهم قال رسول الله ﷺ: «ايتَمُّوا بهذا وأشباهه». ثم انتقل إلى قرقيسيا[٢] فمات بها، ولما توفي حنظلة جزعت عليه امرأته، فنهاها جاراتها وقلن لها: يحبط أجرك، فقالت:

تعجبت دعد لمحزونة ... تبكي على ذي شيبة شاحب
إن تسأليني اليوم ما شفني[٣] ... أخبرك قولاً ليس بالكاذب
إن سواد العين أودى[٤] به ... حزن على حنظلة الكاتب

---

(١) عافس: داعب ولاعب ومارس، والضيعة: ما يكون من معاش الرجل.
(٢) قرقيسيا: بلد على الفرات.
(٣) شفه الحزن: أضناه وأضعفه.
(٤) أودى به: ذهب به.

٨٩ ـ معاذ بن جبل

«أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»

اسمه

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أَدَيّ بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج.

السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري، شهد العقبة شاباً أمرد[١].

يكنى أبا عبد الرحمن، وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد العقبة مع السبعين وبدراً والمشاهد مع رسول الله ﷺ وأردفه رسول الله ﷺ وراءه، وبعثه إلى اليمن بعد غزوة تبوك، وشيعه ماشياً في مخرجه وهو راكب.

وكان له من الولد عبد الرحمن، وأم عبد الله، وولد آخر لم يذكر اسمه.

أمه

قال شَبَّاب: أمه هي هند بنت سهل من بني رفاعة، ثم من جهينة، ولأمه ولد من الجد بن قيس.

صفته

قال علي بن محمد المدايني: كان معاذ طوالاً، حسن الثغر، عظيم العينين، أبيض، جعد، قطط[٢].

عن أبي بحرية قال: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس جعد قطط، فإذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقلت: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل.

وعن أبي مسلم الخولاني قال: أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمد ﷺ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا، كلما اختلفوا في شيء ردوه إلى الفتى. قال: قلت لجليس لي: من هذا؟ قالوا: هذا معاذ بن جبل.

وعن الواقدي، عن أشياخ له قالوا: كان معاذ رجلاً طوالاً، أبيض، حسن الشعر، عظيم العينين مجموع الحاجبين، جعداً، قططاً.

---

(١) أمرد: هو من لم تنبت لحيته.

(٢) قطط: القطط القصير الشعر، كثيفه.

إسلامه

قال عطاء: أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة.

وقال ابن إسحاق: ومن السبعين من بني جشم بن الخزرج معاذ بن جبل.

معاذ مع النبي ﷺ

عن معاذ قال: لقيني النبي ﷺ فقال «يا معاذ إني لأحبك في الله»، قلت: وأنا والله يا رسول الله! أحبك في الله. قال: «أفلا أعلمك كلمات تقولهن دبر كل صلاة؟ رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

عن أبي سعيد أن معاذاً دخل المسجد ورسول الله ساجد فسجد معه، فلما سلم قضى معاذ ما سبقه، فقال له رجل: كيف صنعت؟ سجدت ولم تقتد بالركعة، قال: لم أكن لأرى رسول الله ﷺ على حال إلا أحببت أن أكون معه فيها. فذكر ذلك للنبي ﷺ فَسَرَّه وقال: «هذه سنة لكم».

عن مجاهد قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، استخلف عليها عتّاب بن أسيد يصلي بهم، وخلّف معاذاً يقرئهم ويفقههم.

عن معاذ قال: لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن، فلما سرت أرسل في أثري فرددت، فقال: «أتدري لم بعثت إليك؟ لا تصيبن شيئاً بغير علم فإنه غلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] لقد أذعرت فامض لعملك».

عن معاذ قال: لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال لي: «كيف تقضي إن عرض قضاء؟»، قال: قلت: بما في كتاب الله، فإن لم يكن فبما قضى به رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟» قال: أجتهد رأيي ولا آلو(١). فضرب صدري وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله».

عن عاصم بن حميد السكوني أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن خرج يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي ومقامي»، فبكى معاذ خَشِعاً لفراق رسول الله، قال: «لا تبك يا معاذ إن البكاء من الشيطان».

عن عبيد بن صخر أن النبي ﷺ حين ودعه معاذ قال: «حفظك الله من بين يديك ومن خلفك، ودرأ عنك شر الإنس والجن». فسار فقال رسول الله ﷺ: «يبعث له رتوة(٢) فوق العلماء».

---

(١) لا آلو: لا أقصر.

(٢) رتوة: الرتوة: الحظوة والشرف.

معاذ مع أبي بكر

عن عبد الرحمن بن كعب قال: كان معاذ شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، حتى كان عليه دين أغلق ماله كله، فسأل رسول الله ﷺ أن يكلم له غرماءه ففعل، فلم يضعوا له شيئاً، فلو تُرك شيء لكلام أحد لترك لمعاذ لكلام رسول الله ﷺ. فدعاه النبي ﷺ فلم يبرح حتى باع ماله وقسمه بينهم. فقام معاذ ولا مال له، ثم بعثه على اليمن ليجبره، فكان أول من تجر في هذا المال. فقدم على أبي بكر فقال له عمر: هل لك يا معاذ أن تطيعني؟ تدفع هذا المال إلى أبي بكر فإن أعطاكه فاقبله. فقال: لا أدفعه إليه وإنما بعثني نبي الله ليجبرني. فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال: خذ منه ودع له. قال: ما كنت لأفعل، إنما بعثه رسول الله ﷺ ليجبره، فلما أصبح معاذ انطلق إلى عمر فقال: ما أراني إلا فاعلاً الذي قلت. لقد رأيتني البارحة، أظنه قال، أجر إلى النار وأنت آخذ بحجزتي[1]. فانطلق إلى أبي بكر بكل ما جاء به حتى جاءه بسوطه. قال أبو بكر: هو لك لا آخذ منه شيئاً، وفي لفظ: قد وهبته لك، فقال عمر: هذا حين حل وطاب. وخرج معاذ عند ذلك إلى الشام.

عن جابر بن عبد الله قال: كان معاذ من أحسن الناس وجهاً، وأحسنه خلقاً، وأسمحه كفاً، فادان، فلزمه غرماؤه، حتى تغيب أياماً. وذكر الحديث وقال فيه: فقدم بغلمان.

الأعمش، عن شقيق: قدم معاذ من اليمن برقيق، فلقي عمر بمكة فقال: ما هؤلاء؟ قال: أهدوا لي. قال: ادفعهم إلى أبي بكر. فأبى فبات فرأى كأنه يجر إلى النار وأن عمر يجذبه. فلما أصبح قال: يا ابن الخطاب! ما أراني إلا مطيعك. إلى أن قال: فدفعهم أبو بكر إليه، ثم أصبح فرآهم يصلون، قال: لمن تصلون؟ قالوا: لله، قال: فأنتم لله.

معاذ مع عمر

وعن نيار الأسلمي: أن عمر كان يستشير هؤلاء. فذكر منهم معاذاً.

وروى موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، قال: خطب عمر الناس بالجابية فقال: من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل.

عن أبي سفيان، قال: حدثني أشياخ منا أن رجلاً غاب عن امرأته سنين، فجاء وهي حبلى. فأتى عمر فهم برجمها، فقال له معاذ: إن يك لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل. فتركها. فوضعت غلاماً بان أنه يشبه أباه قد خرجت ثنيتاه، فقال الرجل: هذا ابني! فقال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، لولا معاذ لهلك عمر.

---

(١) حجزتي: الحجزة موضع شد الإزار من الوسط.

وقال: كان عمر يقول حين خرج معاذ إلى الشام لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وفيما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى علي وقال: رجل أراد وجهاً، يعني الشهادة، فلا أحبسه. قلت: إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه.

عن سعيد بن المسيب أن عمر بعث معاذاً ساعياً على بني كلاب أو غيرهم، فقسم فيهم حتى لم يدع فيها شيئاً، حتى جاء بحلسه[1] الذي خرج به على رقبته.

وعن نافع قال: كتب عمر إلى أبي عبيدة ومعاذ: انظروا رجالاً صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم.

مناقبه رضي الله عنه

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وأُبَي، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة».

قال عمر: لو أدركت معاذاً ثم وليته ثم لقيت ربي فقال: من استخلفت على أمة محمد؟ لقلت: سمعت نبيك وعبدك يقول: يأتي معاذ بن جبل بين يدي العلماء برتوة.

عن أنس مرفوعاً: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة».

عن أبي خيثمة عن أبيه قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين: عمر، وعثمان، وعلي. وثلاثة من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ، وزيد.

عن شهر بن حوشب، قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبة منه.

عن مالك أن عمر رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار، فقال لغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة، ثم تَلَهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع. قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه، فقال: وصله الله ورحمه. ثم قال: تعالي يا جارية! اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، فأرسله بها إليه، فقال معاذ: وصله الله يا جارية! اذهبي إلى بيت فلان بكذا، ولبيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا دينارين قد جاء بهما إليها، ورجع الغلام فأخبر عمر فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

---

(١) الحلس: كل ما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت المتاع.

ذكر نبذ من ورعه

عن يحيى بن سعيد قال: كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماء.

وعن يحيى بن سعيد: أن معاذ بن جبل كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم[1] الذي بالشام، والناس في شغل، فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر.

وعن الشعبي قال: حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً، فقيل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠]، فقال: ما نسيت، هل تدري ما الأمة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله عز وجل وللرسول. وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير، وكان مطيعاً لله عز وجل ورسوله.

نبذ من أقواله وأفعاله

عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إليّ يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

عن ابن عمر قال: مر عمر بمعاذ وهو يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «إن أدنى الزنا شرك، وأحب العبيد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، أولئك مصابيح العلم وأئمة الهدى».

عن أبي قلابة وغيره أن فلاناً مر به أصحاب النبي ﷺ فقال: أوصوني، فجعلوا يوصونه. وكان معاذ بن جبل في آخر القوم، فقال: أوصني يرحمك الله، قال: قد أوصوك فلم يألوا، وأني سأجمع لك أمرك، اعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك إلى الآخرة أفقر، فابدأ بنصيبك من الآخرة فإنه سيمر بك على نصيبك من الدنيا فينتظمه، ثم يزول معك أينما زلت. عن معاذ قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله.

قالوا: يا أبا عبد الرحمن! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

عن أم سلمة أن أبا عبيدة لما أصيب استخلف معاذ بن جبل، يعني في طاعون

---

(١) المرض ويقصد به الطاعون.

عمواس، اشتد الوجع فصرخ الناس إلى معاذ: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز، قال: إنه ليس برجز ولكن دعوة نبيكم، وموت للصالحين قبلكم، وشهادة يخص الله من يشاء منكم. أيها الناس، أربع خلال من استطاع أن لا تدركه، قالوا: ما هي؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويأتي زمان يقول الرجل والله ما أدري ما أنا، لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة.

عن أبي إدريس الخولاني، أن معاذ بن جبل قال: إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والصغير والكبير، والأحمر والأسود، فيوشك قائل أن يقول: ما لي أقرأ على الناس القرآن فلا يتبعوني عليه فما أظنهم يتبعوني عليه حتى أبتدع لهم غيره. إياكم وإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة واحذروا زيغة الحكيم فإن الشيطان يقول: عليّ في الحكيم كلمة الضلالة، وقد يقول المنافق كلمة الحق فاقبلوا الحق فإن على الحق نوراً. قالوا: وما يدرينا رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟ قال: هي كلمة تنكرونها منه وتقولون ما هذه؟ فلا يثنكم، فإنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون.

وعن عبد الله بن سلمة قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علمني، قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص. قال: صم وأفطر، وصل ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

وعن معاوية بن قرة قال: قال معاذ بن جبل لابنه: يا بني إذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنة قدمها وحسنة أخرها.

وعن أبي إدريس الخولاني قال: قال معاذ: إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك معتد ذلك رغبات. (رواهما الإمام أحمد).

وعن محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعونه، فقال: إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفِظْت، إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فآثر من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظم لك انتظاماً فتزول به معك أينما زلت.

وعن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ فقال: اجلسوا بنا نؤمن ساعة.

وعن أشعث بن سليم قال: سمعت رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل قال: ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب، ولبسن رياط[1] الشام وعصب اليمن، فاتبعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد.

---

(١) رياط الشام: جمع «ريطة» وهي الملاءة قطعة واحدة.

عن إسماعيل بن عبيد الله قال: قال معاذ بن جبل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم، ويكون فيه داء كالدمل أو كالوخزة، يأخذ بمراق[1] الرجل، فيشهد أو فيستشهد الله بكم أنفسكم ويزكي بها أعمالكم». اللهم إن كنت تعلم أن معاذاً سمعه من رسول الله ﷺ فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر منه. فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد. فطعن في اصبعه السبابة، فكان يقول: ما يسرني أن لي بها حمر النعم.

عن شهر بن عبد الرحمن بن غنم، قال: وقع الطاعون بالشام، فخطب الناس عمرو بن العاص فقال: هذا الطاعون رجز ففروا منه في الأودية والشعاب. فبلغ ذلك شرحبيل ابن حسنة فغضب وجاء يجر ثوبه ونعلاه في يده، فقال: صحبت رسول الله ﷺ، ولكنه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم. فبلغ ذلك معاذاً فقال: اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر. فماتت ابنتاه فدفنهما في قبر واحد، وطعن ابنه عبد الرحمن فقال ـ يعني لابنه ـ لما سأله: كيف تجدك؟ قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ [آل عمران: ٦٠]، قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] قال: وطعن معاذ في كفه فجعل يقلبها ويقول: لهي أحب إليّ من حمر النعم. فإذا سرى عنه قال: رب! غم غمك، فإنك تعلم أني أحبك.

ورأى رجلاً يبكي، قال: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنيا كنت أصبتها منك، ولكن أبكي على العلم الذي كنت أصبته منك، قال: ولا تبكه، فإن إبراهيم صلوات الله عليه كان في الأرض وليس بها علم فأتاه الله علماً، فإن أنا مت فاطلب العلم عند أربعة: عبد الله بن مسعود، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن سلام، وعويمر أبي الدرداء.

عن طاوس قال: قدم معاذ أرضنا قال: وقيل له: لو أمرت فجمع من هذا الصخر والخشب فنبني لك مسجداً، قال: إني أخاف أن أكلف حمله يوم القيامة على ظهري.

عن أبي الزبير قال: أخبرني من سمع معاذاً وهو يقول: ما من شيء أنجى لابن آدم من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: ولا السيف في سبيل الله ثلاث مرات، قال: ولا أن يضرب بسيفه في سبيل الله عز وجل حتى ينقطع.

قال معاذ بن جبل رحمه الله: من علم أن الله عز وجل حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة.

وفاته

عن سعيد بن المسيب قال: قبض معاذ وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

عن خالد بن معدان أن عبد الله بن قرظ قال: حضرت وفاة معاذ بن جبل فقال:

---

(١) مراق: ما رق من الإنسان ولان.

روحوني ألقى الله مثل سن عيسى ابن مريم ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة. قلت: يعني عندما رفع عيسى إلى السماء.

قال ضمرة بن ربيعة: توفي معاذ بقصير خالد من الأردن.

قال يزيد بن عبيدة: توفي معاذ سنة سبع عشرة.

وقال المدائني وجماعة: سنة سبع أو ثمان عشرة.

وقال ابن إسحاق والفلاس: سنة ثمان عشرة.

وقال أبو عمر الضرير: وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.

وكذا قال الواقدي في سنه، وقال: توفي سنة ثمان عشرة رضي الله عنه.

٩٠ ـ عمرو بن معديكرب

«ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي»

اسمه

عمرو بن معديكرب بن عبد الله بن عمرو بن خضم بن عمرو بن زبيد الزبيدي، يكنى أبا ثور، قدم على رسول الله ﷺ في وفد زبيد فأسلم وذلك في سنة تسع، وقال الواقدي: في سنة عشر.

قدوم عمرو بن معديكرب على النبي ﷺ وإسلامه

قدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معديكرب في أناس من بني زُبَيْد، فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ـ حين نهى إليهم أمر رسول الله ﷺ ـ يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر أن رجلاً من قريش يقال له محمد، قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه. فأبى عليه قيس ذلك، وسفه رأيه، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم وصدقه، وآمن به، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً وتحطم عليه[1] وقال: خالفني وترك رأيي! فقال عمرو بن معديكرب في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعاء[2] أمراً بادياً رشده ... أمرتك باتقاء اللّه والمعروف تتعده

خرجت من المنى مثل الحُمَيِّر غزه وتده ... تمناني على فرس عليه جالساً أسده

---

(١) تحطم عليه: اشتد عليه.

(٢) ذو صنعاء: بلدة باليمن، وهي صنعاء. والعرب يزيدون «ذو» في كثير من أعلام البلدان.

على مفاضة كالنهي أخلص ماءَهُ جَدَده(١) ترد الرمح منثني السنان عوائراً قصده(٢)
فلو لاقيتني للقيت ليثاً فوقه لبده(٣) تلاقي شَنْبثاً شَثْن البراثن ناشزاً كتده(٤)
يسامي القرن إن قرن تيممه يعتضده(٥) فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده(٦)
فيدمغه فيحطمه فيخضمه فيزدرده ظلوم الشرك فيما أحرزت أنيابه ويده

فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد، وعليهم فروة بن مسيك.

قال ابن عبد البر: قام بالمدينة برهة، ثم شهد عامة الفتوح بالعراق وشهد مع أبي عبيد بن مسعود، ثم شهد مع سعد القادسية.

من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: علمنا رسول الله ﷺ التلبية «بلبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، قال شرحبيل بن القعقاع: سمعت عمرو بن معد يكرب يقول: رأيتنا منذ قريب ونحن إذا حججنا في الجاهلية نقول:

لبيك تعظيماً إليك عذراً هذي زبيد قد أتتك قسرا
تعدو بها مضمرات شزراً يقطعن خبتاً وجبالاً وعرا
قد تركوا الأوثان خلوا صفرا

فنحن والحمد لله نقول اليوم كما علمنا رسول الله ﷺ.

قال الشافعي: وجه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهما إلى اليمن قال: «إذا اجتمعتما فعلي أمير وإن افترقتما فكل منكما أمير، فاجتمعا وبلغ عمرو بن معديكرب مكانهما، فأقبل في جماعة من قومه فلما دنا منهما قال: دعوني حتى آتي القوم فإني لم أسم لأحد قط إلا هابني. فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثور عمرو بن معد يكرب، فابتدره علي وخالد وكلاهما يقول لصاحبه: خلني وإياه، ويفديه بأبيه وأمه، فقال عمرو إذ سمع قولهما: العرب تفزع مني وأراني لهؤلاء جزراً.

أعاذل عدتي بدني ورمحي وكل مقلص سلس القياد

---

(١) المفاضة: الدرع الواسع. والنهى: الغدير. والجدد: الأرض الصلبة.
(٢) عوائر: أي متطايرة. والقصد، بكسر القاف وفتح الصاد: جمع قصدة، وهو ما تكسر من الرمح.
(٣) اللبد، بكسر ففتح: جمع لبدة، وهي ما على كتفي الأسد من الشعر.
(٤) الشنبث، بزنة جعفر: الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله. وشثن: أي غليظ الأصابع. والبراثن: جمع برثن، وهو للسبع بمنزلة الاصبع للإنسان. وناشزاً: مرتفعاً، والكتد: ما بين الكتفين.
(٥) يسامي القرن: يعلوه ويرتفع عليه. والقرن، بالكسر: الذي ينازلك في الشجاعة. وتيممه: قصده ويعضده: يجعله تحت عضده، معناه يفوقه ويتغلب عليه.
(٦) يقتصده: يقتله.

أعاذل إنما أفنى شبابي ... إجابتي الصريخ إلى المنادي
مع الأبطال حتى سل جسمي ... وأقرح عاتقي حمل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي ... ويفنى قبل زاد القوم زادي

وفيها يقول:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

شجاعة عمرو بن معديكرب الزبيدي رضي الله عنه

أخرج ابن عائذ في المغازي، عن مالك بن عبد الله الخثعمي رضي الله عنه، قال: ما رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك، فخرج إليه علج[١]، فقتله، ثم آخر، فقتله، ثم انهزموا وتبعهم، ثم انصرف إلى خباء له عظيم، فنزل ودعا بالجفان، ودعا من حوله فقلت: من هذا؟ قال: عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن عائذ، وابن السكن، وسيف بن عمر، والطبراني وغيرهم بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه، قال: شهدت القادسية فكان سعد رضي الله عنه على الناس، فجعل عمرو بن معد يكرب يمر على الصفوف ويقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسوداً أشداء، فإن الفارسي إذا ألقى رمحه يئس، فرماه إسوار[٢] من الأساورة بنشابة[٣]، فأصاب سية[٤] قوسه فحمل عليه عمرو فطعنه فدق صلبه، ونزل إليه فأخذ سلبه.

وأخرجه ابن عساكر من وجه آخر أطول من هذا، وفي آخرها: إذ جاءته نشابة فأصابت قربوس[٥] سرجه، فحمل على صاحبها فأخذه كما تؤخذ الجارية، فوضعه بين الصفين، ثم اجتز رأسه وقال: اصنعوا هكذا.

وروى الواقدي من طريق عيسى الخياط قال: حمل عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه يوم القادسية وحده، فضرب فيهم، ثم لحقه المسلمون، وقد أحدقوا به وهو يضرب فيهم بسيفه، فنحوهم عنه.

وأخرج الطبراني عن محمد بن سلام الجمحي رضي الله عنه قال: كتب عمر إلى سعد رضي الله عنه: إني أمددتك بألفي رجل: عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد رضي الله عنه.

---

(١) عِلْج: العلج: كل جاف شديد من الرجال.
(٢) إسوار هو قائد الجيش.
(٣) نشابة: واحدة النشاب: وهو النبل.
(٤) سية قوسه: هي ما عطف من طرفي القوس.
(٥) قربوس: الجزء المرتفع المقوس من السن.

مع عمر بن الخطاب

قال أبو مخنف لوط بن يحيى: لما قدم عمرو بن معد يكرب من الكوفة على عمر سأله عن الحرب فقال: سألت عنها خبيراً، هي والله يا أمير المؤمنين مرة المذاق، إذا شمرت عن ساق، من صبر فيها ظفر، ومن ضعف فيها هلك، ولقد أحسن واصفها فأجاد:

الحرب أول ما تكون فتية   تبدو بزينتها لكل جهول
حتى إذا حميت وشب ضرامها   عادت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت   مكروهة للشم والتقبيل

ثم سأله عن السلاح، فأخبره بما عرف حتى بلغ السيف، قال: هنالك قارعتك أمك عن ثكلها، فعلاه عمر بالدرة، وقال: بل أمك قارعتك عن ثكلها، والله إني لأهم أن أقطع لسانك، فقال عمرو: الحمى أضرعتني لك اليوم، وخرج من عنده وهو يقول:

أتوعدني كأنك ذو رعين   بأنعم عيشة أو ذو نواس؟
فكم قد كان قبلك من مليك   عظيم ظاهر الجبروت قاس
فأصبح أهله بادوا، وأمسى   ينقل من أناس في أناس
فلا يغررك ملكك، كل ملك   يصير مذلة بعد الشماس

قال: فاعتذر عمر إليه وقال: ما فعلت ما فعلت إلا لتعلم أن الإسلام أفضل وأعز من الجاهلية، وفضله على الوفد.

عمرو يحدث عمر عن فراره ذات مرة

وقد كان عمر آنس عمراً بعد ذلك، وأقبل يسأله ويذاكره الحروب وأخبارها في الجاهلية، فقال له عمر: يا عمرو، هل انصرفت عن فارس قط في الجاهلية هيبة له؟ قال: نعم، والله ما كنت أستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحله في الإسلام؟ لأحدثنك حديثاً لم أحدث به أحداً قبلك، خرجت في جريدة خيل لبني زبيد أريد الغارة، فأتينا قوماً سراة، فقال عمر: وكيف عرفت أنهم سراة؟ قال: رأيت مزاودو قدروا مكفأة وقباب أدم حمراً ونعماً كثيراً وشاء، قال عمرو: فأهويت إلى أعظمها قبة بعدما حوينا السبي، وكان متبدداً من البيوت، وإذا امرأة بادية الجمال على فرش لها، فلما نظرت إلي وإلى الخيل استعبرت، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: والله ما أبكي على نفسي، ولكني أبكي حسداً لبنات عمي يسلمن وأبتلى أنا من بينهن، فظننت والله أنها صادقة، فقلت لها: وأين هن؟ قالت: في هذا الوادي، فقلت لأصحابي: لا تحدثوا شيئاً حتى آتيكم، ثم

همزت فرسي حتى علوت كثيباً، فإذا أنا بغلام أصهب[١] الشعر أهدب أقنى[٢] أقب[٣] يخصف نعاله وسيفه بين يديه وفرسه عنده، فلما نظر إلى رمي النعل من يده ثم أحضر غير مكترث، فأخذ سلاحه وأشرف على ثنية، فلما نظر إلى الخيل محيطة ببيته ركب ثم أقبل نحوي وهو يقول:

أقول لما منحتني فاها وألبستني بكرة رداها
إني سأحوي اليوم من حواها فليت شعري اليوم من دهاها

فحملت عليه وأنا أقول:

عمرو على طول الردى دهاها بالخيل يبقيها على وجاها
حتى إذا حل بها حواها

ثم حملت عليه بالفرس فإذا هو أروغ من هر، فراغ عني، ثم حمل علي فضربني بسيفه ضربة جرحتني، فلما أفقت من ضربته حملت عليه، فراغ والله، ثم حمل علي، ثم صرعني، ثم استلق ما في أيدينا، ثم استويت على فرسي، فلما رآني أقبل وهو يقول:

أنا عبيد اللّه محمود الشيم وخير من يمشي بساق وقدم
عدوه يفديه من كل السقم

فحملت عليه وأنا أقول:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم أنا ابن ذي الإكليل قتال البُهَم
من يلقني يودي كما أودت إرم أتركه لحماً على ظهر وضم

فراغ والله عني، ثم حمل علي فضربني ضربة أخرى، ثم صرخ صرخة، ورأيت الموت والله يا أمير المؤمنين ليس دونه شيء، وخفته خوفاً لم أخف قط أحداً مثله، وقلت له: من أنت ثكلتك أمك؟ فوالله ما اجترأ عليّ أحد قط إلا عامر بن الطفيل لإعجابه بنفسه، وعمر بن كلثوم لسنه وتجربته ـ فمن أنت؟ قال: بل من أنت؟ خبرني وإلا قتلتك، قلت: أنا عمرو بن معد يكرب، قال: وأنا ربيعة بن مكدم، قلت: اختر مني إحدى ثلاث خصال: إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز منا، وإن شئت اصطرعنا، وإن شئت السلم، وأنت يا ابن أخي حَدَثٌ وبقومك إليك حاجة، قال: بل هي إليك، فاختر لنفسك، واخترت السلم.

ثم قال: انزل عن فرسك، قلت: يا ابن أخي قد جرحتني جراحتين ولا نزول لي،

---

(١) أصهب: ذو لون أصفر ضارب إلى شيء من الحمرة والبياض.
(٢) أقنى: ارتفع وسط قصبة أنفه وضاق منخراه.
(٣) أقب: ضامر البطن.

فوالله ما كف عني حتى نزلت عن فرسي، فأخذ بعنانه، ثم أخذ بيدي في يده وانصرفنا إلى الحي وأنا أجر رجلي، حتى طلعت علينا الخيل، فلما رأوني همزوا خيولهم إليّ فناديتهم: إليكم، وأرادوا ربيعة، فمضى والله كأنه ليث حتى شقهم، ثم أقبل علي فقال: يا عمرو، لعل أصحابك يريدون غير الذي تريد، فصمت والله القوم ما فيهم أحد ينطق، وأعظموا ما رأوا منه، فقلت: يا ربيعة بن مكدم لا يريدون إلا خيراً، وإنما سميته ليعرفه القوم، فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: وما تريد؟ قد جرحت فارس العرب، وأخذت سيفه وفرسه، ومضى ومضينا معه حتى نزل فقامت إليه صاحبته وهي ضاحكة تمسح وجهه، ثم أمر بإبل فنحرت، وضربت علينا قباب، فلما أمسينا جاءت الرعاء ومعهم أفراس لربيعة لم أر مثلها قط، فلما رأى نظري إليها قال: كيف ترى هذه الخيول؟ قلت: لم أر مثلها قط، قال: أما لو كان عندي بعضها ما لبثت في الدنيا إلا قليلاً، فضحكت وما ينطق أحد من أصحابي، فأقمنا يومين ثم انصرفنا.

عمرو بن معد يكرب يغير على بني كنانة

وقد كان عمرو بن معد يكرب بعد ذلك بزمان أغار على كنانة في صناديد[1] قومه، فأخذ غنائمهم، وأخذ امرأة ربيعة بن مكدم، فبلغ ذلك ربيعة ـ وكان غير بعيد ـ فركب في الطلب على فرس عُرْي ومعه رمح بلا سنان حتى لحقه، فلما نظر إليه قال: يا عمرو، خل عن الظعينة وما معك فلم يلتفت إليه، ثم عاد عليه، فلم يلتفت إليه، فقال: يا عمرو، إما أن تقف لي وإما أن أقف لك، فوقف عمرو، وقال: لقد أنصف القارة من راماها، قف لي يا ابن أخي، فوقف له ربيعة، فحمل عليه عمرو وهو يقول:

أنا أبو ثور ووقاف الزلق لست بمأفون ولا فيَّ خُرُق
وأسد القوم إذا احمر الحدق إذا الرجال عضهم ناب الفرق
وجدتني بالسيف هتاك الحلق

حتى إذا ظن أنه خالطه السنان إذا هو لبب لفرسه، ومر السنان على ظهر الفرس، ثم وقف له عمرو، فحمل عليه ربيعة وهو يقول:

أنا الغلام ابن الكناني لا بذخ كم من هِزَبْرٍ قد رآني فانشدخ

فقرع بالرمح رأسه، ثم قال: خذها إليك يا عمرو، ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك، فقال عمرو: لا ينصرف إلا أحدنا، فقف لي، فحمل عليه حتى إذا ظن أنه قد خالطه السنان إذا هو حزام لفرسه ومر السنان على ظهر الفرس ثم حمل عليه ربيعة فقرع بالرمح رأسه أيضاً، وقال: خذها إليك يا عمرو ثانية، وإنما العفو مرتان، وصاحت به امرأته: السنان لله درك، فأخرج سناناً من سِنْخ[2] إزاره كأنه شعلة نار، فركبه على

---

(١) صناديد: شرفاء شجعان. (٢) سنخ: أصل.

رمحه، فلما نظر إليه عمرو، وذكر طعنته بلا سنان قال له عمرو: يا ربيعة خذ الغنيمة، قال: دعها وانج، فقال بنو زبيد: أتترك غنيمتنا لهذا الغلام؟ فقال لهم عمرو: يا بني زبيد، والله لقد رأيت الموت الأحمر في سنانه، وسمعت صريره في تركيبه، فقال بنو زبيد: لا يتحدث العرب أن قوماً من بني زبيد فيهم عمرو بن معد يكرب تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام، قال عمرو: إنه لا طاقة لكم به، وما رأيت مثله قط، فانصرفوا عنه، وأخذ ربيعة امرأته والغنيمة وعاد إلى قومه.

وفاته

قال ابن عبد البر: قتل عمرو يوم القادسية، وقيل: بل مات عطشاً.

وأخرج الدولابي عن أبي صالح بن الوجيه رضي الله عنه قال: في سنة إحدى وعشرين كانت وقعة نهاوند فقتل النعمان بن مُقَرِّن، ثم انهزم المسلمون، وقاتل عمرو بن معد يكري رضي الله عنه يومئذ حتى كان الفتح، فأثبتته الجراحة، فمات بقرية روذة، فقال بعض شعرائهم:

لقد غادر الركبان يوم تحملوا   بروزة شخصاً لا جباناً ولا غمرا
فقل لزبيد، بل لمذج كلها   رزئتم أبا ثور قريعكم عمرا

خاتمة

بفضل الله ومنّه تمَّ ما جمعناه من أخبار بعض أصحاب رسول الله ﷺ راجين المولى سبحانه أن يشملنا برعايته، ويعيننا على الحق، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

فهرس المحتويات